البهجة السنية

في آداب

الطريقة العلية النقشبندية الخالدية

تأليف

الشيخ العالم العلامة محمد بن عبد الله بن مصطفى

الخالدي النقشبندي

المتوفى ١٢٧٩ هـ

ضبطه

أحمد فريد المزيدي



منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Marfat.com

Marfat.com

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



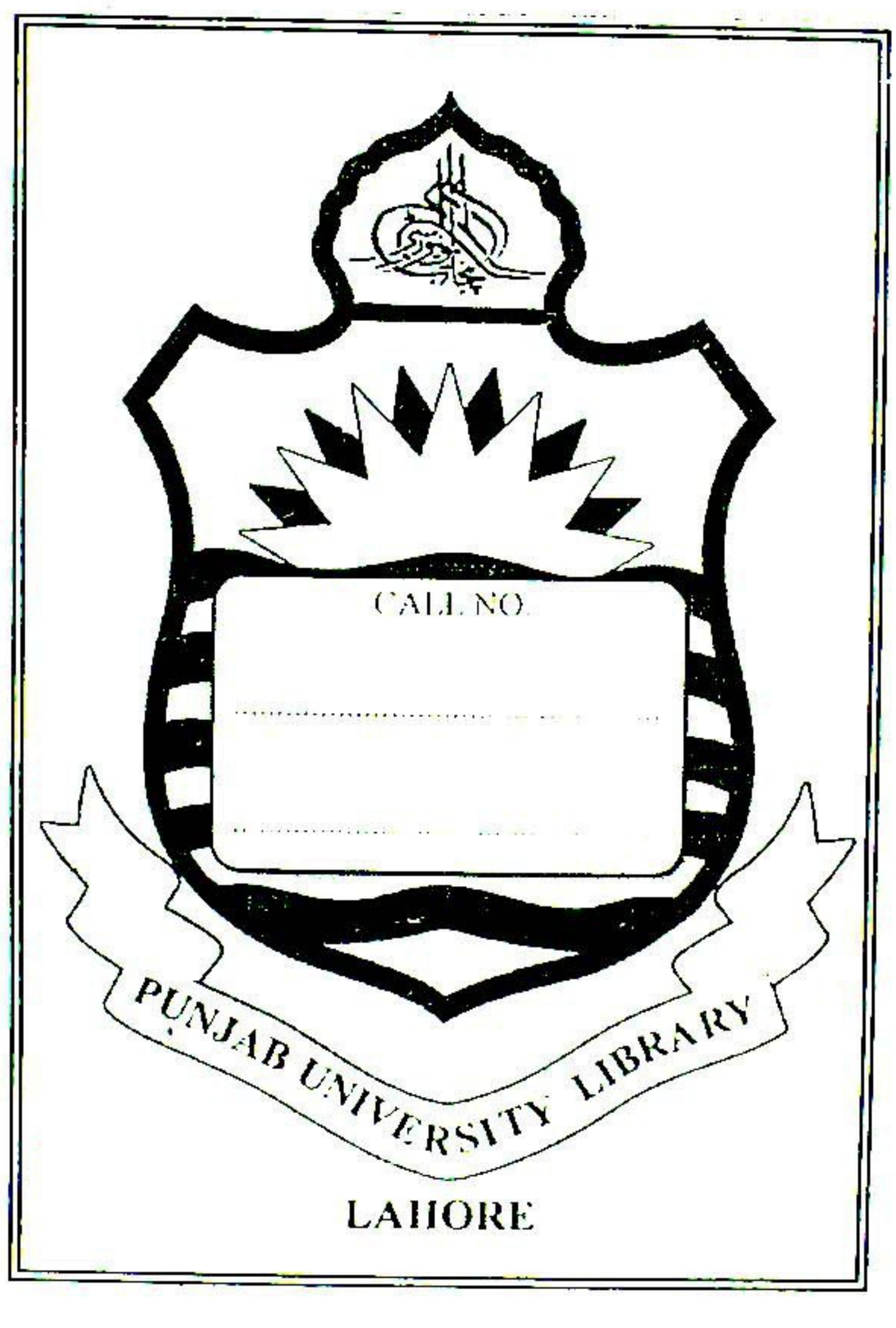
Marfat.com

Marfat.com

ذخیرۂ پروفیسر محمد اقبال مجددی

جو 2014ء میں پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو

ہدیہ کیا گیا۔



Marfat.com

Marfat.com

٤٥٦

البهجة السنية

في آداب

الطريقة العلية النخالدية النقشبندية

تأليف

الشيخ العالم العلامة محمد بن عبد الله بن مصطفى
الخاني الخالدي النقشبندي
المتوفى ١٢٧٩ هـ



ضبطه
أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Marfat.com

Marfat.com

130966

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signee de l'éditeur.

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري بناية ملكارت
الادارة العامة: عرمون - القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٠٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3865-0
9 782745 138651 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

Marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المصنف

هو الشيخ العلاّمة الفقيه الصوفي: محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني الشافعي، الخالدي، النقشبندي، صوفي من أهل الطرق، ولد في خان شيخون من أعمال حلب، وارتحل إلى حماة، ثم قدم إلى دمشق واستوطنها، وتوفي بها سنة ١٢٧٩هـ.

من آثاره العلمية:

١ ـ البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، كِتابنا هذا.

٢ ـ الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية.

٣ ـ السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية.

وانظر:

١ ـ حلية البشر للبيطار (٣/ ٢٣، ٢٨).

٢ ـ معجم المؤلفين لكحالة (٣/ ٤٦٠).

٣ ـ روض البشر للشطي (٢٠٩، ٢١٠).

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

من قلم صوفي زمانه وعلامة أقرانه الإنسان الكامل والمرشد الواصل

أكبر أنجاله الشيخ محمد بن محمد الخاني

بلّغه الله أعلى الأماني بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله

هو سيدنا ومولانا وعمدتنا وملاذنا ومرشدنا ووالدنا محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني مولداً، الشافعي مذهباً، الخالدي النقشبندي طريقة ومشرباً، الأشعري معتقداً.

ولد قدس الله سره وأناله بقربه تمام المسرّة في خان شيخون محل مشهور في طريق حلب على مرحلة من حماة منه سيدنا ومولانا الشيخ قاسم الخاني صاحب كتاب سير السلوك إلى ملك الملوك» وشرح «عنقاء مغرب لخاتم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محيي الدين قدس الله سره ورزقنا رضاه وبرّه آمين.

كان أبوه عبد الله عزيزاً في قومه موقراً في أهله دمث الأخلاق حسن الأوصاف، توفي هذا العزيز ووالدنا في سن التمييز، واشتغل بقراءة القرآن والكتابة وهو في حجر والدته الصالحة الأوّابة التوّابة الصوّامة القوّامة الذاكرة الشاكرة السيدة حليمة بنت السيد الشيخ محمد ابن السيد الشيخ يوسف الكيالي، وسند نسبه في تلك الديار من أعلى

توفيت في دمشق الشام ودفنت في تربة مولانا خالد خلف [illegible] مشتغلاً بالطريقة الكيالية العلية وله مريدون كثيرون وزاوية [illegible] على آلات الذكر الكافية مقصوداً من كل الجهات لما له من صالح الدعوات

ثم ارتحل سيدنا الوالد الماجد مع والدته إلى حماة المحمية واشتغل بالعلوم الشرعية والآداب المرضية ولازم العبد الصالح الشيخ فارس الذي كان في حلبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوّل فارس وذلك مدة ست سنوات، ثم أخذ الفقه

Marfat.com

Marfat.com

القادرية من السيد الشيخ محمد الكيلاني الأزهري قدّس الله روحه الزكية، واشتغل بها وبتعليم الناس الأحكام الشرعية وكان جلوسه في جامع الجامع للعلوم والعرفان الولي الكامل بلا دفاع الشيخ عبد الرحمٰن علوان الحموي قدس الله سره.

وإقامته كانت في زاويته وحصل له بذلك مدد عظيم من روحانيته، ثم أخذ الطريقة العلية الخالدية النقشبندية من قطب دائرة الإرشاد وبحر الهداية والإمداد مولانا خالد قدس الله سره العزيز كما ذكره في رسالته هذه البهجة السنية واشتغل بها اشتغالاً مفرطاً بهمة قوية وصدق نية وخلوص طوية، ثم طلبه حضرة شيخه المومي إليه إلى الشام فرحل سنة أربعين ومائتين وألف بأهله من حماة إليها واتخذها بإشارة شيخه له دار المقام وأذن له بالإرشاد في حياته في جامع المرادية وناوله صك الخلافة المختوم بخاتمه الشريف بيده المباركة الخالدية ونصّه:

الحمد لله الكريم الوهّاب والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا وملاذنا محمد الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم المآب.

وبعد، فقد أجزت الأخ في الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الله الخاني بالتوجه والإرشاد وتلقين الذكر في الطريقة العلية النقشبندية قدس الله تعالى أسرار أهاليها السنية، وما أجزته إلا بعد الاستخارة الشرعية من أرواح سادات السلسلة الزكية وأوصيه بتقوى الله بالسر والإعلان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيثما كان بقدر الإمكان، وأن لا يرى النجاة إلا بالصدق والسلامة إلا باتباع سيدنا محمد سيد الخلق صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان في كل وقت وأوان آمين.

حرر سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف والحمد لله رب العالمين.

(أضعف العباد)

خالد النقشبندي المجددي

القادري السهروردي

الكبروي الجشتي

Marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع منشور ولايته على مفارق أهل الرقائق، وألبس خلع القبول والرضا والتسليم كواهل من انتهج في سلوكه أحسن الطرائق، وأدخل من شاء في حضرته يتلقى كلماته التي هي أصل الأصول وحقيقة الحقائق، أحمده وبحمده أستفتح أبواب الخيرات الإلهية، وأشكره وبشكره أستنشق نسمات زهور الأسماء الإحاطية، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد شهادة جامعة للخيرات الربانية، مانعة من الشهوات الشيطانية، معدودة من الأسباب الرحمانية السبحانية، وأشهد أن سيدنا وسندنا محمداً عبده ورسوله المختار من رسله الكرام، صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وعلى عامة الأولياء والصالحين ومشايخنا ومن نسب إليهم ما اهتز غصن وصدح حمام.

(أما بعد) فيقول العبد الضعيف الذليل الفاني، محمد بن عبد الله الخاني مولداً، الشافعي مذهباً، الأشعري معتقداً، الخالدي المجددي النقشبندي طريقاً ومشرباً.

قد سألني بعض الأحبة قيضنا الله وإياهم لطلب السعادة الكبرى، ورشحنا وإياهم للعروج إلى الذروة العليا، وكحل بنور الحقيقة بصائرنا، ونقى مما سوى الحق سرائرنا، أن أكتب لهم شيئاً من آداب السلوك في طريقة سادتنا النقشبندية، قدس الله تعالى أسرارهم العلية، فأجبتهم إلى سؤالهم وإن لم أكن أهلاً لذلك، اعتماداً على فضل الكريم المالك، وما أجبتهم إلا بعد الاستخارة الشرعية النبوية، والاستجازة من روحانية سادة السلسلة العلية النقشبندية، أمدّنا الله بأنفاسهم الطاهرة، وجعلهم شفعاء لنا في الدارين والآخرة.

فأقول: **(اعلم)** أيها الطالب أن كتب الطريقة كثيرة، والصحة شهيرة، ولكن لا بد كما قال بعضهم لكل عصر من مترجم يترجم كلام أهل العصر الذي قبله، حتى يفهمه أهل العصر الذي بعده، ولولا هذا الذي ذكرناه لما كثرت التصانيف وبلغت هذا العدد، لأن الكتاب والسنة متكفلان ببيان جميع الأحكام والمسائل وأحسن كتاب ألف في بيان طريقتنا الخالدية النقشبندية، قدس الله تعالى أسرار أهاليها السنية، كتاب الحديقة الندية،

Marfat.com

Marfat.com

الذي ألّفه العالم العلامة، والحبر البحر الفهامة، سيدي الشيخ محمد بن سليمان البغدادي، الخالدي النقشبندي، لأنه ألّفه في حياة جناب حضرة سيدنا ومولانا قطب العارفين وغوث الواصلين، أبي البهاء ضياء الحق والحقيقة والدين، شيخنا ومرشدنا الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدّس الله تعالى سره، وأفاض علينا وعلى العالمين فيضه وبرّه، حتى أنه قدّس الله سره مرة سألني ما تقرأ للمريدين فقلت كتاب الحديقة الندية، فقال هل هي فصيحة العبارة. فقلت: لا يكون في الدنيا أفصح منها، فقال قدّس سره: كلها من عبارتي فتحقق عندي أنه كان قدّس سره يجمع العبارات والشيخ محمد بن سليمان يرقمها ويعزوها لنفسه.

لكن لما كان كتاب الحديقة المذكورة موضوعاً لإثبات وجوب تعلم علم الباطن وإثبات فضل الطريقة العلية النقشبندية، ولدفع شبه المنكرين من أهل الجد على حضرة شيخنا قدّس سره، كان في أخذ الآداب منها صعوبة على المبتدىء، والآن ولله الحمد قد تقرر الطريق، وانخذل أهل الحسد والعناد والتعويق، فأحببت أن ألخصها في أوراق لطيفة، وأزيد عليها بعض فوائد نفيسة وآداب منيفة، ترغيبا للمريدين وطلباً للثواب من رب العالمين.

(وسميتها) البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية، قدّس الله تعالى أسرار أهاليها الزكية ولم أبالغ في تدقيق العبارات، لأن مقصد أهل الطريق تصفية القلب وتصحيح النيات، خصوصاً وأكثر كلام أهل هذه الطريقة العلية، معرّب من اللغة الفارسية، فتبركاً بألفاظهم قيدتها بهيئتها الأصلية، فأقول وبالله التوفيق، ومنه أستمد الهداية إلى سواء الطريق.

Marfat.com

Marfat.com

مقدمـة

اعلم أيها الطالب لمعرفة الله تعالى وفقنا الله وإياك أن معتقد سادتنا النقشبندية، قدّس الله أسرارهم الزكية هو معتقد أهل السنة والجماعة ومبنى طريقهم على حفظ أحكام الشريعة المطهرة كما قال إمامنا الغوث الصمداني، والقطب الرباني، مجدد الألف الثاني، الشيخ أحمد الفاروقي قدّس الله سره في رعاية الشريعة.

اعلم أن رعاية أدب من الآداب والاجتناب عن كراهة ولو تنزيهية أفضل من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب نعم إذا جمع هذه الأمور مع تلك الرعاية فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا يحصل ذلك بدون دوام العبودية إذ المقصود من خلق الإنسان إنما هو أداء وظائف العبودية، وأما العشق والمحبة في الابتداء فتعلقه بهما لأجل قطعه عما سوى جناب الحق تعالى وليسا من المقاصد بل لأجل تحصيل مقام العبودية إذ لا يكون عبداً لله إلا إذا انقطع عما سواه والعشق والمحبة وسيلة الانقطاع، فلهذا كانت العبودية نهاية مراتب الولاية وليس في درجات الولاية مقام فوق العبودية ودوامها لا يتصور بدون أداء العبادة إذ هي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى بلا شعور الغير بل مع الذهول عن صنعة الحضور بوجود الحق عز وجل، ولا تحصل هذه السعادة العظيمة بغير تصرف الجذبة الإلهية ولا سبب لك في تحصيل الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة.

(وقال) الشيخ العارف بالله أبو علي الدقاق قدّس سره الشجرة التي تنبت بنفسها لا ثمرة لها، وإن كان لها ثمرة تكون بغير لذة وسنة الله جارية على أنه لا بد من [illegible] فكما أن التوالد والتناسل الصوري لا يحصل بغير الوالد والوالدة كذلك [illegible] حصوله بغير التربية متعذر.

وقال في الرسالة المكية: من لا شيخ له فالشيطان شيخه.

وقال في الحديقة الندية: اعلم أسعدك الله بالتوفيق، وحلاك بالتصديق، أن تعلم علم الباطن من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرض عين على كل من لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهي، والعلم اللدني، والنفس القدسية الفطرية وقليل

Marfat.com

الذي ألّفه العالم العلامة، والحبر البحر الفهامة، سيدي الشيخ محمد بن سليمان البغدادي، الخالدي النقشبندي، لأنه ألّفه في حياة جناب حضرة سيدنا ومولانا قطب العارفين وغوث الواصلين، أبي البهاء ضياء الحق والحقيقة والدين، شيخنا ومرشدنا الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدّس الله تعالى سره، وأفاض علينا وعلى العالمين فيضه وبرّه، حتى أنه قدّس الله سره مرة سألني ما تقرأ للمريدين فقلت كتاب الحديقة الندية، فقال هل هي فصيحة العبارة. فقلت: لا يكون في الدنيا أفصح منها، فقال قدّس سره: كلها من عبارتي فتحقق عندي أنه كان قدّس سره يجمع العبارات والشيخ محمد بن سليمان يرقمها ويعزوها لنفسه.

لكن لما كان كتاب الحديقة المذكورة موضوعاً لإثبات وجوب تعلم علم الباطن وإثبات فضل الطريقة العلية النقشبندية، ولدفع شبه المنكرين من أهل الجد على حضرة شيخنا قدّس سره، كان في أخذ الآداب منها صعوبة على المبتدىء، والآن ولله الحمد قد تقرر الطريق، وانخذل أهل الحسد والعناد والتعويق، فأحببت أن ألخصها في أوراق لطيفة، وأزيد عليها بعض فوائد نفيسة وآداب منيفة، ترغيبا للمريدين وطلباً للثواب من رب العالمين.

(وسميتها) البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية، قدّس الله تعالى أسرار أهاليها الزكية ولم أبالغ في تدقيق العبارات، لأن مقصد أهل الطريق تصفية القلب وتصحيح النيات، خصوصاً وأكثر كلام أهل هذه الطريقة العلية، معرّب من اللغة الفارسية، فتبركاً بألفاظهم قيدتها بهيئتها الأصلية، فأقول وبالله التوفيق، ومنه أستمد الهداية إلى سواء الطريق.

Marfat.com

Marfat.com

مقدمة

اعلم أيها الطالب لمعرفة الله تعالى وفقنا الله وإياك أن معتقد سادتنا النقشبندية، قدّس الله أسرارهم الزكية هو معتقد أهل السنة والجماعة ومبنى طريقهم على حفظ أحكام الشريعة المطهرة كما قال إمامنا الغوث الصمداني، والقطب الرباني، مجدد الألف الثاني، الشيخ أحمد الفاروقي قدّس الله سره في رعاية الشريعة.

اعلم أن رعاية أدب من الآداب والاجتناب عن كراهة ولو تنزيهية أفضل من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب نعم إذا جمع هذه الأمور مع تلك الرعاية فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا يحصل ذلك بدون دوام العبودية إذ المقصود من خلق الإنسان إنما هو أداء وظائف العبودية، وأما العشق والمحبة في الابتداء فتعلقه بهما لأجل قطعه عما سوى جناب الحق تعالى وليسا من المقاصد بل لأجل تحصيل مقام العبودية إذ لا يكون عبداً لله إلا إذا انقطع عما سواه والعشق والمحبة وسيلة الانقطاع، فلهذا كانت العبودية نهاية مراتب الولاية وليس في درجات الولاية مقام فوق العبودية ودوامها لا يتصور بدون أداء العبادة إذ هي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى بلا شعور الغير بل مع الذهول عن صنعة الحضور بوجود الحق عز وجل، ولا تحصل هذه السعادة العظيمة بغير تصرف الجذبة الإلهية ولا سبب لك في تحصيل الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة.

(وقال) الشيخ العارف بالله أبو علي الدقاق قدّس سره الشجرة التي تنبت بنفسها لا ثمرة لها، وإن كان لها ثمرة تكون بغير لذة وسنة الله جارية على أنه لا بد من [illegible] فكما أن التوالد والتناسل الصوري لا يحصل بغير الوالد والوالدة كذلك [illegible] حصوله بغير التربية متعذر.

وقال في الرسالة المكية: من لا شيخ له فالشيطان شيخه.

وقال في الحديقة الندية: اعلم أسعدك الله بالتوفيق، وحلاك بالتصديق، أن العلم علم الباطن من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرض عين على كل من لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهي، والعلم اللدني، والنفس القدسية الفعلية وقليل

Marfat.com

Marfat.com

ما هم وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب وتعلم علم الظاهر لا يغني عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من الحنفية كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي محشي الأشباه وأمثالهم.

ومن الشافعية كسلطان العلماء العز بن عبد السلام والإمام الغزالي وتاج الدين السبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري والعلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي المكي وأضرابهم.

ومن المالكية كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين اللقاني والشيخ العلامة المحقق العارف أحمد زرّوق البرلسي وغيرهم.

ومن الحنابلة كالشيخ عبد القادر الجبلي وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم.

فإن هؤلاء العلماء الأجلة بعد التضلع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص والتخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل كما نقل بعض العلماء.

قال رأيت الإمام الغزالي في البرية وعليه مرقّعة وبيده عكّاز وركوة، فقلت له: يا إمام أليس التدريس في بغداد أفضل من هذا، فنظر إليّ شزراً وقال لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة وجنحت شمس العقول إلى مغرب الوصول:

تركت هوى ليلى وسعيد بمعزل وعدت إلى مصحوب أوّل منزل
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

(وقال) الإمام العارف المتضلع من العلوم الشرعية والحقيقية الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدّس الله سره النوراني في كتابه مشارق الأنوار القدسيّة في العهود المحمدية، وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتّخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولا شك أن علاج أمراض الباطن من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحقد والحسد والغل والنفاق، كله واجب كما تشهد له الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعد بالعقاب عليها، فاعلم أن كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ورسوله ﷺ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج بغير شيخ، ولو حفظ ألف كتاب في العلم فهو كمن يحفظ كتاباً

Marfat.com

Marfat.com

في الطب ولا يعرف ينزل الدواء على الداء، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنه طبيب عظيم ومن رآه حين يُسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال إنه جاهل.

فاتخذ لك يا أخي شيخاً واقبل نصحي وإياك أن تقول طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة، فإنه كفر فإنها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها.

(وقال أيضاً) في هذا الكتاب أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نغترّ بحفظ العلم الذي يطلب منا العمل به من غير عمل كما عليه غالب الناس اليوم وما هكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم، ثم قال ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ليرقيه إلى درجات المراقبة لله تعالى والخوف من عذابه كما كان عليه العلماء العاملون.

(وسمعت) شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى يقول: كل فقيه لا يجتمع بالقوم فهو كالخبز الحاف بلا أدم.

(وسمعت) سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل طالب العلم إلا بالاجتماع على أحد من أشياخ الطريق ليخرجه من رعونات النفوس ومن خطرات تلبيس النفس، ومن لم يجتمع على أهل الطريق فمن لازمه غالباً التلبيس ودعوى العمل بما علم وكل من نسبه إلى قلة العمل أقام له الأدلة التي لا غشي عند الله تعالى ومن شك في قولي هذا فليجرب.

فاسلك يا أخي على يد شيخ والزم خدمته واصبر على جفائه لك وتغرباته عليك فإن الذي يريد أن يطلعك عليه أمر نفيس لا يقابل بالأعراض الدنيوية فإن للعلم رياسة عظيمة وللنفس فيه دسائس.

فربما خفيت على مشايخ العلم فضلا عن الطلبة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(وقال) العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس سره في مفتاح المعية: فمن لم له شيخاً يسلكه في طريق الله تعالى يلزمه أن يرى شيخه باباً من أبواب الله تعالى وهي مرتبة كما قال الشيخ محمد البكري رضي الله تعالى عنه من أبيات له في مدحه ﷺ

وأنت باب الله أيّ امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

فيعتقد أن جميع ما يظهر له من شيخه ظاهر من الله تعالى خيراً وشراً فالخير لهدايته والشر لامتحانه في مقام الإرادة والسلوك، أو أن يرى شيخه مظهراً لصفات الله وأسمائه فيتأدب معه تأدب المكلف مع أحكام ربه في الأمر والنهي، وهي أوسط مرتبة أو لا يرى شيخه بالكلية وإنما يرى الله الذي لا إله إلا هو يهدي من يشاء ويضل من

Marfat.com

Marfat.com

يشاء وهي أعلى مرتبة وكان فيها الصدّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه مع النبي ﷺ لما كان يتعلم منه ويأخذ عنه.

وقد أظهر ذلك بعد موت النبي ﷺ فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت.

وفي هذه الحالة يقول الملاّ جلال الدين الرومي في أستاذه شمس تبريز قدّس الله سرهما العزيز (شمس من خداي من عمر ومن بقاي من أزنو بحق رسيد أم أي حق حق كذا ومن) وليس المراد أن الشيخ الظاهر للتلميذ بصورته ونفسه وروحه وعقله هو الله تعالى، وإنما المراد أن الظاهر للتلميذ من وراء صورة الشيخ ونفسه وعقله هو الله الذي لا إله إلا هو، والشيخ كله أثر من آثار الله تعالى لا تأثير له ولا حركة ولا سكون إلا بالله تعالى العلي عن مشابهته العظيم عن إدراكه.

وإذا لم يكن التلميذ مع الشيخ في واحدة من هذه المراتب وخرج عن مقامات إرادة الله تعالى وصار يريد صورة شيخه لا الله تعالى كان لا شيخ له، وكان شيخه الشيطان الذي غفل عن شهود الله تعالى في شهوده وعن أفعال الله تعالى في أفعاله فهو عنده في شهوده غير باب الله وغير صفات الله عز وجل وغير الله فقد غشا هذا التلميذ عن ذكر الرحمن في شيخه فيقيض الله له شيطانا هو صورة شخصه في بصيرته لا في حقيقة الشيخ في نفسه فهو له قرين يضله بتمكين ما في بصيرته من اعتقاد غير ما ذكرنا وهو يحسب أنه يهديه.

واعلم، أن المشايخ الموصلين إلى الله تعالى المسلكين للمريدين كثيرون، ولكن المريدون قليلون فإن كل شيء من حيث أنه فعل من أفعال الله تعالى شيخ كامل مرشد إلى الله تعالى ولكن أين المريد الصادق في إرادته فإن المرشد إلى الله تعالى فعله تعالى لا غير، والكل أفعاله فإن الإنسان وغيره سواء في ذلك.

ولهذا قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدّس سره في كتابه روح القدس.

ومن جملة أشياخنا الذين انتفعنا بهم في طريق الآخرة من هذه الأمم ميزاب رأيته بمدينة فاس في حائط ينزل منه ماء السطح مثل ميزاب الكعبة فوقفت على عبادته واجتهدت بنفسي عسى أجري معه في ذلك ومنهم ظلي الممتد من شخصي أخذت منه عبادتين قد آخذ نفسه بهما وأشباه ذلك، وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة والبازي والهرة والكلب والفهد والنحلة وغير ذلك. فما قدرت قط أن أتّصف بعبادتهم على حدّ ما هم عليها فيها وغايتي أن أقدر على ذلك في وقت دون وقت وهم في كل لحظة مع اعتقادهم سيادتي عليهم

Marfat.com

يوبخوني ويعتبوني ولقد ألقى منهم شدة لما يرون من نقص حالي في عبادة ربهم. وربما يغتاظ بعضهم عليّ حتى تحجبه غيرته في دين الله تعالى من أجل تقصيري فيهم بإذايتي ويعيّب علي سيادتي عليه لمعصيتي وسوء معاملتي مع الله تعالى فتزول طاعتي من عليهم وأعذرهم في ذلك وأسلم لهم في إخلاصهم فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد قال: لما ولي الخلافة أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ﷺ فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم.

وقال الحق إلى آخر كلام ابن عربي رضي الله تعالى عنه فانظر كيف لم يقتصر في المشايخ على الكاملين من جنس ابن آدم فإن الصادق في طلب الحق تعالى يجد كل شيء شيخاً له مرشداً كاملاً موصلاً إلى الله تعالى ومن لم يكن صادقاً في إرادة الله تعالى لا يصل إلى الله تعالى ولو اجتمع بألف مرشد كامل أرأيت النبي ﷺ الذي هو أكمل المرشدين إلى الله تعالى صدق معه قوم ووصلوا إلى الله تعالى وكذب قوم فتفقر وأعرض قوم فهلكوا، مع أنه أرشدهم كلهم إلى الله تعالى بالأقوال والأفعال ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم اهـ.

قلت: وهو معنى قول بعض السلف رحمهم الله تعالى لله طرق بعدد أنفاس الخلائق والله أعلم.

وقال في الحديقة ما ملخصه والطرائق إن استوت كلها بالنسبة للدلالة على الله تعالى لكنها تختلف وتتفاوت بالنسبة لأقربية الدلالة والوصول إلى الله تعالى، فأقرب الطرائق وأسهلها على المريد للوصول إلى أعلى درجات التوحيد الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرار أهاليها السنية لأن مبناها على التصرف والقاء المحبة المقدسة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته ﷺ في قوله ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وهو وسيلة هذا العقد وقد سلك هذا المجد وعلى اتباع السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلي عن الرذائل والتحلّي بمحاسن الأخلاق والفضائل.

وهذا الذي ذكرناه هو معنى قول إمامنا وقدوتنا إلى الله تعالى بهاء الحق والدين الشيخ محمد الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند قدس الله سره دفع عن طريقتنا على خطر من دينه، ولكون مبناها على التصرف والقاء المحبة المقدسة كما ذكره.

قال قدّس سره معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لم تكن عند بهاء الدين يزيد البسطامي قدّس سره.

قال الخواجة عبيد الله أحرار أن اعتقاد السلف قد يذهب ما يعرض إلى بعض

Marfat.com

Marfat.com

الكلام مع أنه لا ينافي أمراً من أمور الشرع بل حديث أمّتي مثل المطر لا يدرى أوّله خير أم آخره يدل على ذلك اهـ.

(**وقال**) الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدّس سره في بعض مكاتبه التي عرّبها الشيخ يونس ومن خواص هذه الطريقة أيضاً تقدم الجذبة فيها على السلوك، وإن ابتدا مسيرها من عالم الأمر لا من عالم الخلق بخلاف أكثر الطرق وكون قطع منازل السلوك فيها مندرجاً في ضمن طي معارج الجذبة وتيسر سير عالم الخلق في سير عالم الأمر، فلهذا لو قيل إن قطع منازل السلوك في هذا الطريق مندرج البداية في النهاية لساغ ذلك أيضاً، فعلم أن سير الابتداء في هذا الطريق مندرج في سير الانتهاء لا إنه يتنزل في سير الانتهاء إلى سير الابتداء، وبعد تمام سير النهاية يكون سير البداية، ومن خواص هذه الطريق أيضاً أنها أقرب الطرق وأنها موصلة البتة، قال الشاه نقشبند قدّس سره طريقنا أقرب الطرق.

وقال أيضاً طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة البتة وقد أجيبت دعوته كما في الرشحات عن عبيد الله أحرار قدّس سره وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج في ابتدائها فالمحروم من يدخل هذا الطريق ولا يستقيم ويروح لا نصيب له وما ذنب الشمس إذا لم تكن هناك عين تبصر.

نعم إذا وقع طالب في يد ناقص فأي ذنب للطريق وأي تقصير للطالب إذ الموصل في الحقيقة في هذه الطريق هو المرشد لا نفس الطريق، ومن خواص هذه الطريق أيضاً أنه يكون في ابتدائها الحلاوة والوجدان وفي انتهائها عدم اللذة والفقدان الذي هو من لوازم اليأس بعكس سائر الطرق. إذ في ابتدائها عدم اللذة والفقدان وفي انتهائها الحلاوة والوجدان، وكذا يكون في هذه الطريق في ابتدائها القرب والشهود وفي انتهائها البعد والحرمان.

ومن هنا يعلم تفاوت الطرق وعلو شأن هذه الطريق إذ القرب والشهوة والحلاوة والوجدان يخبر عن الهجر والبعد والحرمان وعدم اللذة والفقدان يخبر عن نهاية القرب فهم من فهم. ويكفي في شرح هذا السر أنه لا أقرب إلى الإنسان من نفسه فالقرب والشهود والحلاوة والوجدان بالنسبة إليه مفقود وبالنسبة إلى غيره موجود والعارف تكفيه الإشارة. وأن أكابر هذه الطريق جعلوا الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية والأذواق والمعارف خادمة للعلوم الدينية لا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال ولا يغترّون بترهات الصوفية ولا يفتنون بها ولا يريدون الأحوال التي تحصل من ارتكاب المحظورات الشرعية ومن مخالفات السنة

Marfat.com

Marfat.com

السنية ولا يقبلونها، ومن هنا لا يجوّزون السماع والرقص ولا يقبلون على الذكر الجهري حالهم على الدوام ووقتهم على الاستمرار التجلي الذاتي الذي لغيرهم كالبرق لهم دائم والحضور الذي يعقبه غيبة ساقط عن حيّز الاعتبار عند هذه السادات الأخيار بل كارخانتهم أعلى عن الحضور كما أشار إليه عبيد الله أحرار.

وقال: إن سادة هذه السلسلة العلية ما لهم نسبة إلى كل زراق ورقاص كازخانتهم أعلى اهـ.

وفي الحديقة وقال بعض أكابر شراح الحكم العطائية السالكون على قسمين سالك مجذوب ومجذوب سالك.

فالأوّل يشهد الآثار أوّلاً ثم يستدل بها على الأسماء ويستدل بالأسماء على ثبوت الأوصاف وبثبوت الأوصاف على وجود الذات لأنه محال أن يقوم الوصف بنفسه وهذا هو شأن العموم وأكثر ما في الكتاب والسنة يشير إلى ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤] الآية.

والثاني يشهد الذات أوّلاً وينكشف له ما يليق باستعداده ثم يرد إلى شهود الصفات ثم يرجع إلى التعلق بالأسماء ثم إلى شهود الآثار عكس ما كان السالك الأوّل عليه فنهاية السالك المجذوب بداية المجذوب السالك لا بمعنى واحد فإن مراد السالك المجذوب شهود الأشياء لله ومراد المجذوب السالك شهود الأشياء بالله تعالى **فالأوّل** عامل بتحقق الفناء والمحو، **والثاني** مسلوك بطريق البقاء والصحو.

ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم منه التفاوتهم في السير هذا في الترقي وهذا في التدلي.

ومن هنا تعلم أن المجذوب السالك أعلى من السالك المجذوب لاشتراكهما في العبور في المنازل وزيادة المجذوب السالك بأنه يشهد الأشياء بالله تعالى وهذا أعلى ممن يشهدها لله تعالى كما لا يخفى.

وأيضاً إن السالك المجذوب ينتهي إلى الفناء وهذا ينتهي إلى ما فوق الفناء وهذا أكمل من الأول لأنه مقام الأنبياء ووارثهم من العلماء العاملين بمقتضاه الإرشاد لا يصح ولا يصلح إلا لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء. فلا بد للقسم الأول من الرجوع إلى هذا المقام حتى يصح منه الإرشاد وغالب طريقة السادة النقشبندية أخذ أوّلاً ثم السلوك وهذا يعرفه من ذاق طريقهم، فاجتهد أيها الأخ في تحصيله لكل من الملوك. وهو بحث نفيس.

(قلت): ومنه يظهر للمتأمل معنى قول بعض سادتنا النقشبندية قدس الله أسرارهم

Marfat.com

السنية سلوكنا مستدير وسلوك غيرنا مستطيل اهـ.

(**وذكر**) العلامة المتبحر الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في خاتمة الفتاوى الطريقة العلية النقشبندية مستطرداً من بحث آخر معبراً عنها بقوله الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية وهي طريقة النقشبندية اهـ.

وناهيك بمثل هذا التعبير من مثل هذا النحرير.

(**وقال**) العلامة الشيخ علي القاري الحنفي في شرح حديث من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة من الحصن الحصين، ولعل وجه هذه الفضيلة لخصوص السوق أنها محل الغفلة. فالذاكر فيهم كالمجاهد في الغازين وهذا دليل لما اختاره السادة النقشبندية من أكابر الصوفية حيث قالوا الخلوة في الجلوة والعزلة في الخلطة.

فالصوفي كائن بائن وغريب قريب وعرشي فرشي ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله ببركاتهم. ومن تتبع أحاديث رسول الله ﷺ وعرف أخباره وأحواله وعلم أقواله وأفعاله تبين له أن هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البعثة وبعث أمّته على هذه الحالة وتبعه أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهمْ دون ما ابتدعه المبتدعة ولو كان بعضها مستحسنة في الجملة.

(**وقال**) العارف المحقق الشيخ محمد مراد الأزبكي قدّس سره في مطلع رسالته: إن الغاية القصوى من سر الإيجاد إنما هو التحقق بكمال الإيمان والإسلام والإحسان المعبر عنه بحق اليقين المحقق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك المنعكس جماله من مجالي المتحققين به اصطفاء واجتباء إلى الكائنين معهم والمرتبطين بهم حباً وصحبة واتباعاً. ولقد سبقت تلك الحسنى من مجلاها الجامع للحافين به انعكاساً وانصباغاً وتسلسلت بها الصوفية عموماً وخصّت معها سابقة العناية صديقهم بزيادة جذبة المحبة الذاتية المندرجة النهاية في البداية وتسلسلت بها النقشبندية خصوصاً فتزينوا لها بالعمل على السنة والعزيمة وتطهروا لها بالاجتناب عن البدعة والرخصة ووقفوا لانعكاسها على دوام الحضور وكمال الاتباع وعكفوا لانصباغها على تشرب الانتفاء في المجالي بتمام الإقبال فتجلت لهم صباحتها وانجلت إليهم ملاحتها، فطوبى لمن استمسك بهذه العروة الوثقى وقال فيها بعد عبارة اعلم أن الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرار أهاليها السنية طريقة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا وهي عبارة عن

Marfat.com

دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال الالتزام للسنة والعزيمة وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات، مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك فهي طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حباً مع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان وفي إفاضتها الأحياء والأموات ومندرج انتهاؤها في ابتدائها وابتداؤها انتهاء غيرها لما فيها من انجذاب المحبة للذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه، ولها أصلان أصيلان من أعطيهما أعطى كل شيء كمال اتباع النبي ﷺ ومحبة الشيخ الكامل لكنها ليست توجد بالتكلف بل التكلف فيها زندقة بل هي من إعطاء الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده، فالصحبة بشروطها مع هذين الأصلين كافية للانعكاس والانصباغ انتهى.

(وقال): الغوث الصمداني والإمام الرباني سيدي الشيخ أحمد الفاروقي قدس سره في الترغيب على متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية.

(اعلم) أن أكابر هذه الطريقة العلية النقشبندية التزموا متابعة السنة السنية واختاروا العمل بالعزيمة. فإن شرفوا مع هذا الالتزام والاختيار بالأحوال والمواجيد فيعرفون أن ذلك النعمة العظمى وإن وجدوا في هذا الإلزام والاختيار فتوراً فليست تلك الأحوال والمواجيد ممدوحة عندهم ولا يعرفون في ذلك الفتور، سوى الخراب والقصور، إذ براهمة الهند والجوكية وفلاسفة اليونان لهم كثير من قسم التجليات الصورية والمكاشفات المثالية والعلوم التوحيدية وليس لهم من نتائجها سوى الفساد والفضيحة ولا نصيب لهم من الرحمن سوى البعد والحرمان.

أيها الأخ لما دخلت بالفضل الرباني في سلك إرادة هذه الأكابر، فلا بد لك من متابعتهم واحذر عن مخالفتهم حتى تسعد بكمالاتهم وتتشرف بحالاتهم فأنبئك بحسب عليك، **أولاً**: تصحيح المعتقدات على وفق عقائد أهل السنة والجماعة، **وثانياً** [illegible] بالأحكام الشرعية من الفرض والواجب والسنة والمندوب والحلال والحرام والمشتبه المذكورة في علم الفقه. **وثالثاً**: العمل بمقتضى هذا العلم [illegible] الصوفية وما دام لم تصحح هذين الجناحين أعني الظاهر والباطن والفقه والحقيقة لن عالم القدس ولا تتيسر الأحوال والمواجيد بدون حصول هذين الجناحين فتسعى أن تعرف خرابك في ذلك وهلاكك هنالك، وينبغي استعاذتك من تلك الأحوال [illegible] انتهى.

قال في الحديقة وبالجملة والتفصيل فشأن هذه الطريقة العالية [illegible]

Marfat.com

خطير، لأن مبناها على اتباع السنة السنية وقمع البدعة الردية فلا تلم أيها الناظر الماهر، هذا الفقير القاصر، على الإطناب في هذه الخصائص والمآثر، والإكثار من تلك المناقب والمفاخر، فإن هذه الطريقة الأنيقة جوهرة نفيسة لا يعرف ثمنها إلا المنصف الحاذق الوثيق، كيف ومؤسسها بالتهذيب والتنقيح، أفضل الأمة بعد الأنبياء على التحقيق أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ومشيدها بالنظر الرجيح، والكشف الصحيح، والنقل الصريح من بدايته النهاية ونهايته ليس لها غاية شيخ مشايخ الإسلام، بهاء الحق والحقيقة والدين النقشبند الإمام قدّس سره وقد قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهي أمّ الطرائق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق، فلا جرم ترى منكري الأولياء لاستقامتها واعتدالها لها مذعنين فضلاً عن الموقفين المعتقدين، لنحرزها عن الشطح والرقص وسفاسف السماع، وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوفة وزخارف الرقاع والابتداع، وتخليها من السنة السنية بالاتباع، وغلبة العلم والاستماع له في الاتباع، وهو مما جرىَ على قبوله الوفاق، وأقرّ بفضله علماء الآفاق والمحبّ الواله المحروق، لا يسأم من وصف المعشوق.

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فهي الطريق الأقرب، الأسلم الأحكم للواضح، والمشرب الأعذب، الأصفى المصون عن قدح كل قادح.

لا يدرك الواصف المطري خصائصه وإن يكن سابقاً في كل ما وصفا

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم، بطابع أنوار أسرار العلوم، ورحم الله أمرأً عرف الحق فأنصف، ووقف على الحدود وما تعسف، فإن الحق أحق أن يتّبع، والباطل عن هؤلاء السادة قد اندفع، حشرنا الله تعالى تحت ألويتهم الظاهرة ونفعنا بمدد أرواحهم الطاهرة في الدنيا والآخرة، آمين يا رب العالمين. انتهى.

ووصف هذه الطريقة الأنيقة يكل عنه اللسان، فلنمسك عنه يراع البيان، ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب الطريقة العلية، فإنه يجني من ثمار الفوائد رطباً جنياً.

(ثم اعلم) وفقنا الله وإياك أنه لا بد للمريد الصادق من معرفة آبائه وأجداده في الطريق كما قال العارف الرباني، سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، قدّس الله سره النوراني، في كتابه مدارج السالكين:

اعلم أيها الطالب المريد وفقنا الله وإياك لمرضاته أنه من لم يعلم آباءه وأجداده في

Marfat.com

Marfat.com

الطريق، فهو أعمى وربما انتسب لغير أبيه فيدخل في قوله ﷺ لعن الله من انتسب لغير أبيه.

(وقال) سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى:

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوي

وذلك لأن الروح ألصق بك من حقيقتك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده فكان ذلك أحق بأن ينتسب إليه دون أب الجسم، وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب إلى القوم فهو لقيط في الطريق، لا أب له ولا يجوز له التصدّر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته في الطريق، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ثم بعد كلام يسير قال فيه أيضاً: اعلم يا أخي أن السر في التلقين إنما هو لارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ولا يجيبه أحد إذا حرك السلسلة.

(فأقول) ولله مزيد الحمد والمنّة قد تشرفت بأخذ هذه الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله أسرار أهاليها، وكثر محبيها ومواليها، بعمومها وخصوصها، ومنهومها ومنصوصها، على شيخ الوقت والطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، قطب دائرة الإرشاد، ورحلة الإبدال والأوتاد، ذي الجناحين، وغوث الثقلين، شيخ المشايخ وقطب الأقطاب السائر في الله الراكع الساجد، الخاشع المجتهد، حضرة مولانا وشيخنا ضياء الدين أبي البهاء الشيخ خالد النقشبندي المجددي، القادري نسبة، الدهلوي الكشميري الجشتي العثماني قدّس الله سره، وأفاض على السائلين فيضه وبركاته ومنحه [illegible] على ما أفاد في الحديقة ما دون ومخلف بالخلافة التامة المطلقة [illegible] له كذلك بالطرائق الخمس المذكورة إلى حضرة مجمع البحرين، ومنبع الحقائق، معدن الصدق والصفا، سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ وإنما اقتصر في الشدة على الطريقة النقشبندية واشتهر بها لما تحقق بالتجربة والعيان، لدى أساطين العلم والكشف والشهود والعرفان، من أنها أقرب وأسهل على المريد، للوصول إلى درجات التوحيد، وهو أخذها بعد تحصيل العلوم، والتضلع من مادة المعقول والمنقول، والجمع

Marfat.com

Marfat.com

والأصول بالمنطوق والمفهوم، بشدّ الرحل، وقطع مسافة نحو سنة إلى دار سلطنة الهند بلدة دهلي المعروفة بجهان أباد عمن هو فيها قطب الأولياء الأفراد جامع الكمال الصوري والمعنوي الشيخ عبد الله شاه الدهلوي، قدّس سره، عن المعلى المزكى المصفى المطهر شمس الدين حبيب الله خان جانان المظهر قدّس سره عن المتشرف بالتجلي الذاتي والصفاتي والشؤني السيد نور محمد البداووني قدّس سره، عن المستغرق في لجة بحر حق اليقين سلطان الأولياء الشيخ سيف الدين قدّس سره عن شيخه ووالده أمين سره المكتوم شيخ المشايخ العروة الوثقى محمد المعصوم قدّس سره عن شيخه ووالده مظهر العجائب ومنبع الأسرار والمعاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي المعروف بالإمام الربّاني مجدد الألف الثاني قدّس سره، عن القطب الذي لصهباء الحب الذاتي هو الساقي مؤيد الدين الرضي الشيخ محمد الباقي قدّس سره، عن الولي الكريم السني مولانا خواجكي السمرقندي الأمكنكي قدّس سره، عن شيخه ووالده المكرم الممجد شيخ المشايخ مولانا الدرويش محمد قدّس سره عن شيخه وخاله الراكع الساجد شيخ المشايخ مولانا محمد الزاهد، قدّس سره عن مروّج الدين ومقوّي المشرب النقشبندي المعروف بخواجة أحرار الشيخ عبيد الله السمرقندي قدّس سره، عن المورد لتواتر عنايات الباري مولانا يعقوب الجرخي الحصاري قدّس سره، عن مفتاح خزائن الأسرار قطب الأقطاب الشيخ محمد البخاري المعروف بعلاء الدين العطار قدّس سرّه، عن إمام الطريقة وغوث الخليقة وشمس فلك الحقيقة ذي الفيض الجاري والنور الساري المعروف بشاه نقشبند بهاء الحق والحقيقة والدين الشيخ محمد الأويسي البخاري قدّس سره، عن منبع المعارف والكمال سيد السادات حضرة ميركلال قدّس سره، عن المقبل على الله ولما سواه ناسي قطب الأولياء الشيخ محمد السماسي قدّس سره، عن الواله في محبة مولاه الغني المعروف بحضرة عزيزان خواجة علي الراميتني قدّس سره، عن المعرض عن المراد الدنيوي والأخروي شيخ المشايخ الشيخ محمود الأنجير فغنوي قدّس سره، عن المتسلق عن الحجاب البشري قطب الأولياء الشيخ عارف الريوكري قدّس سره، عن القطب الرباني غوث الخلائق الشيخ عبد الخالق الفجدواني قدّس سره، عن الغوث الصمداني الشيخ يوسف الهمداني قدّس سره، عن النشوان من رحيق الحب الصمدي قطب الأولياء أبي علي الفارمدي قدّس سره، عن المحبوب السبحاني غوث الواصلين أبي الحسن الخرقاني قدّس سره، عن المؤيد بالتأييد الإلحاقي سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدّس سره، عن إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه عن والد أمه أحد الفقهاء

Marfat.com

Marfat.com

الشيعة الإمام الهمام المؤيد بالتوفيق قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، عن الصحابي المعدود من آل الرسول سلمان الفارسي المكرّم المقبول رضي الله عنه، عن أفضل الأئمة على التحقيق خليفة رسول الله ﷺ ورفيقه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن منبع الصدق والصفا أفضل الخلائق محمد المصطفى ﷺ، والنقشبند عن روحانية الفجدواني إلى آخر النسبة والفارمدي أيضاً عن الشيخ أبي القاسم البكركاني عن الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاتب عن الشيخ أبي علي الروذباري عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي عن سري السقطي عن معروف الكرخي عن الإمام علي الرضى عن والده الإمام موسى الكاظم عن والده الإمام جعفر عن والده الإمام محمد الباقر عن والده زين العابدين عن والده الإمام حسين عن والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن سيد المرسلين محمد ﷺ وعليهم وعلى سائر الآل والأصحاب أتم الصلاة والتسليم.

وهذه النسبة تسمى سلسلة الذهب والكرخي أيضاً عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن سيد الكونين عليه وعلى سائر الآل والأصحاب أتم الصلاة وأتم التسليم وعليّ أيضاً عن الصدّيق عن النبي ﷺ وعليهم وعلى سائر الآل والأصحاب أجمعين.

كما ذكره خواجة محمد بارسا في قدسيته قدّس سره أحيانا الله على محبتهم وأماتنا عليها وحشرنا معهم ورزقنا من بركاتهم الفوز برضائه ولقائه بالحسنى والزيادة آمين.

(فائدة) قال في الحديقة اعلم أن ألقاب السلسلة تختلف باختلاف القرون فمن حضرة الصديق رضي الله عنه إلى حضرة الشيخ طيفور بن عيسى أبي يزيد البسطامي قدّس سره، تسمى صديقية، ومن حضرة رئيس الخواجكان الشيخ عبد الخالق الفجدواني قدّس سره، تسمى طيفورية، ومنه إلى حضرة عبد الصديق ذي النفس الجاري والنور الساري الشيخ بهاء الدين محمد الأويسي البخاري قدّس سره سمي خواجكانية، ومنه إلى حضرة الغوث الأعظم الخواجة عبيد الله أحرار قدّس سره سمي نقشبندية، أي منسوبة إلى نقشبند ومعناه ربط النقش وهو صورة الحق سبحانه المريد وكان ذكرهم في الأول إلى زمان الشيخ بهاء الدين النقشبند قدّس سره الله تعالى في الانفراد خفية وفي الجميع جهراً، فأمرهم الشيخ بهاء الدين بالخفية لأنه من روحانية الخواجة عبد الخالق الفجدواني شيخ مشايخه في عالم السير فكان سره في الذكر انفراداً وجمعاً هو وجماعته فيصير من ذكرهم كذلك في قلب المريد تأثير جمع فكان يقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر بند أي ربط والنقش هو صورة الشيخ في قلب

Marfat.com

به على شمع ونحوه وربطه بقاؤه من غير محو.

قلت: ومما يؤيد ذلك ما ذكره صاحب مفتاح المعية، وهو أن صفات الله تعالى هي المتوجهة على خلق آدم عليه السلام وبنيه بتوجه من الذات العلية الأزلية حيث لا كيف ولا أين فظهر آدم عليه السلام، وظهرت بنوه بعده على صورة مخصوصة مسماة بأسماء المتوجه تعالى موصوفة بأوصافه لها ذات يصح نسبة ذلك إليها ولها أفعال كما له أفعال ولها أحكام منها على غيرها كما له أحكام كذلك. فكذلك نقش الذات والصفات والأسماء والأفعال والأحكام ظهر بظهور آدم وبنيه ولكن من بنيه من محا بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة فيه، ومنهم من كمل نقشه فيسمى نقشبند أي لازم النقش ومربوط النقش وهذه الكلمة صالحة لغير ذلك أيضاً. انتهى.

ومنه إلى حضرة مجمع الأسرار والمعاني قطب الطرائق وغوث الخلائق الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدّس سره نقشبندية وأحرارية ومنه إلى جنات المعلى المزكى المصفى المطهر، شمس الدين حبيب الله جان جانان الحنفي الدهلوي المظهر تسمى مجددية، ومنه إلى شيخنا قدّس الله سره تسمى مجددية ومظهرية، ووقع الاصطلاح، بين إخوان الطريقة والصلاح، على تسميتها منه خالدية إلى أن تتصل من محض فضل الله وكرمه، وجزيل إحسانه ونعمه، بتوفيقه النجيح، على حسب ما بشر وبشر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الصحيح بحضرة المهدي صاحب الزمان، عليه الرضوان، لأن هذه الطريقة هي الملامية المناسبة لما يكون عليه من الصحو الصديقي، والرجوع إلى البقاء الأتم الحقيقي، بدعوة الخلق وهدايتهم إلى الحق برياستي الظاهر والباطن، وفتح القلاع والمواطن، وهي متصلة بحبل الله المتين، إلى يوم الدين، حشرنا الله وإخواننا وأحبابنا تحت لوائهم المنشور، إلى يوم النشور، آمين اهـ.

(تنبيه) قد قدمنا أن الإمام بهاء الدين النقشبندي أخذ الذكر الخفي عن روحانية الشيخ عبد الخالق الفجدواني ولم يجتمع معه في عالم الأجسام لأن بين الإمام بهاء الدين والإمام عبد الخالق الفجدواني قدّس سرهما خمسة وسائط من رجال السلسلة العلية، وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني المتقدم ذكره أخذ الطريقة المرضية عن روحانية الإمام أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي قدّس سره وذلك في ظهوره له في عالم السير إلى الله تعالى، فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام وأرواح الخلق كلهم الأحياء والأموات في ذلك العالم، منهم من يدبر الله له جسماً في عالم الأجسام وهم الأحياء،

130966

Marfat.com

Marfat.com

ومنهم من لا يدبر الله له شيئاً من الأجسام وهم الأموات ومن لم ينفخ فيه الروح، مما لم يسوّ جسمه ولما كان هذا الأخذ عن الروحانيات نبهنا عليه لأن أبا الحسن الخرقاني قدّس سره لم يجتمع بجسمانية أبي يزيد البسطامي قدّس سره، لأن بينه وبينه زماناً بعيداً.

فإن أبا يزيد مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين وأبو الحسن ولد بعده بكثير وأبو يزيد قدّس سره أيضاً، لبس خرقة الطريق ظاهراً وباطناً من روحانية الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه كما تقدم في الشيخ أبي الحسن والمعروف بين بعض أهل الطريق من خدمة الشيخ أبي يزيد قدّس سره للإمام جعفر الصادق وصحبته له غير صحيح لأن وفاة الإمام جعفر رضي الله تعالى عنه قبل ولادة الشيخ أبي يزيد قدّس سره، وكل من أخذ عن الروحانيات كهؤلاء الأئمة يسمى أويسياً في اصطلاح ساداتنا النقشبندية قدّس الله أسرارهم العلية قاله في مفتاح المعية.

(تتمة) قال سيدي الشيخ عبد الكريم الجيلي قدّس الله سره في كتابه الأسفار شرح رسالة الأنوار وأنا أريد أن أوصيك بأمور تيقنت حقيقتها فإن الدين النصيحة لله تعالى فاعتمد عليها وألزم نفسك الإتيان بها إن كنت ممن يريد نجاة نفسه وراحة قلبه وبدنه.

(وصية) يا أخي رحمك الله، قد سافرت إلى أقصى البلاد وعاشرت أصناف العباد فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشرّ ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدّعي أنها من كمل الصوفية وتنسب نفسها إلى الكمل وتظهر بصورتهم ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية وتقرر أصول الرسل وما جاؤوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم.

فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة لقوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: الآية ٢٥] أي لا تعاشرهم أن لا تراهم ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم، هذا ما ظهر لي فعلى قدر نصحت نفسك والله الهادي.

(وصية) يا أخي لا تجادل فقهاء الشريعة رضوان الله تعالى عليهم على تضييق ما الله فإنهم أهل حق وقفوا عند الظاهر لأن استعدادهم الغير المجعول أعطى ذلك، وإن جادلتهم فجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.

Marfat.com

Marfat.com

(وصية) عليك باعتقاد أهل الحديث واجهد أن تكون منهم فإنهم هم ورثة الأنبياء، وإياك وتقليد أهل الكلام، فإنهم ملعبة للشيطان ولا تكفّر أهل القبلة ولا تتكلم فيهم إلا بالخير.

(وصية) إياك والتأويل فإنه دهليز الإلحاد والزندقة وإذا أوّلت على طريق أهل الإشارة فإياك أن تنفي الظاهر فإنه هو مراد الشارع بلا شك ومن نفاه فقد كفر بلا شبهة وليكن حالك في المتشابهات حال مالك رضي الله تعالى عنه حين سئل عن الاستواء.

فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

واحذر أن تكون من الذين يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقف عند ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٧] وإياك أن تكون على خلاف هذه الحالة فتكون من الذين في قلوبهم زيغ، وإذا وفقت لما أمرتك به فلا تأمن مكر الله فتكون من الخاسرين، وقل: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

(وصية) عليك بالعزلة كما سنبينه لك إن شاء الله تعالى، واعرف زمانك وإخوانك وعاملهم معاملة يستحقونها، واغلق بابك دون الخلق، واغتنم الوحدة وكف جوارحك عن الفضول وتعرض لنفحات الله تعالى فإن لربك في أيام دهرك نفحات وإياك والاختلاط بأهل الدنيا وأعرض عنهم وقل لهم عني أنفسهم قولاً بليغاً، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وعاقبها قبل أن تعاقب ومت بالاختيار حتى تجيء عند نزول هاذم اللذات.

(وصية) احفظ الله يحفظك واتق الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله تعالى في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جفّ القلم بما هو كائن، ولو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الخلق على أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وفيما أوردناه كفاية لأرباب العناية فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو الفعال لما يريد. انتهى.

Marfat.com

(كتاب الآداب)

جمع أدب وهو لغة الشيء المستحب واصطلاحاً عند السادة الصوفية أن لا تنظر إلى من فوقك ولا تحقرن من دونك.

(واعلم) أن للمريد آداباً في نفسه وآداباً مع شيخه وآداباً مع إخوانه الفقراء وغيرهم.

فأما آداب المريد في نفسه فهي كثيرة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فنذكر منها ما لا بد منه.

فمنها أن يبني أمره على الصدق مع الله تعالى ليصح له البناء على أصل صحيح فإن الشيوخ قالوا إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول. وقال وكيع بن الجراح طريق الله بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق فتجب البداءة بتصحيح عقده بينه وبين الله تعالى. صاف عن الظنون والشبه، خال عن الضلالة والبدع، صدر عن البراهين والصحيح. لخبر: إنما الأعمال بالنيات، وصحة الاعتقاد بموافقة ما عرف بالأدلة الصحيحة في أحكم بينه وبين الله تعالى عقدة فيجب عليه أن يحصل من علم الشريعة ما يتحقيق وإما بالسؤال من الأئمة ما يؤدي به فرضه لأن حقيقة الإرادة نهوض القلب في طلب الرب في طريق العلم الشرعي والعمل السني بامتثال أمره واجتناب نهيه والتحلي بـ باتباع حبيبه ﷺ في المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل وصحبة العلماء العاملين والاستفادة منهم لما يجب تعلمه ومجانبة علماء السوء، فإنهم قطاع طريق الخلق عن جواب السؤال فتاوى الفقهاء يأخذ منها بالأحوط، كأن قال له واحد في شيء حلال، وقال له الآخر مكروه، فيأخذ بقول الثاني ويقصد بالأخذ بالأحوط الخروج من الخلاف وقد أجمعوا على أن من طلب الطريق وعلمه الله تعالى عن علم فهو مستهزىء بالطريق وإذا كان من يقبل على الطريق بكليته لا يظفر منها إلا بعضها فكيف بمن تكون كليته لغيرها.

فاعلم ذلك قال الإمام الربّاني والغوث الصمداني محمد الألف الثاني قدس سره الذي يجب علينا وعليكم.

Marfat.com

Marfat.com

أولاً: تصحيح العقائد بمقتضى الكتاب والسنة على طبق ما فهم علماء أهل الحق شكر الله سعيهم تلك العقائد من الكتاب والسنة وأخذوا منهما فإن فهمنا وفهمكم ساقط عن حيز الاعتباران لم يوافق إفهام هذه الأكابر الأخيار، إذ كل مبتدع وضال يفهم أحكامه الباطلة من الكتاب والسنة ويأخذ منهما والحال أنه لا يغني من الحق شيئاً.

وثانياً: العلم بالأحكام الشرعية من الحلال والحرام والفرض والواجب.

وثالثاً: العمل بمقتضى هذا العلم.

ورابعاً: السلوك في طريقة التصفية والتزكية المختصة بالصوفية الكرام قدس الله أسرارهم فما دام لم يصحح العقائد فلا يفيد العلم بالأحكام الشرعية وما دام لم يتحقق هذان فلا ينفع العمل وما دام لم تتيسر هذه الثلاثة فحصول التصفية والتزكية محال.

وبعد هذه الأركان الأربعة مع متمماتها ومكملاتها فما عداها من الفضول كائناً ما كان وداخل في دائرة ما لا يغني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه واشتغاله بما يعنيه. انتهى.

ومنها التوبة وهي أهمها لأن طريق القوم طاهر منزه لا يقبل من كان ملوّثاً بالقاذورات فيجب على المريد أن يتوب إلى الله تعالى من كل زلة فيدع جميع الزلات سرها وجهرها صغيرها وكبيرها ويجتهد في إرضاء الخصوم، أولاً، ومن لم يرض خصومه لم يفتح له من هذه الطريقة شيءٌ يعتدّ به لعدم تخلصه من حقوقهم فيجب ردها لهم إن كانوا أو إلى ورثتهم وعلى هذا النحو جروا.

قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي الأنصاري قدّس الله سرّه قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: الآية ١١] ، فأسقط اسم الظلم عن التائب والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك.

وشرائط التوبة ثلاثة أشياء: الندم والاعتذار والإقلاع.

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء: تعظيم الجناية واتهام التوبة وطلب أعذار الخليقة.

وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء: تمييز التقية من العزة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبداً لأن التائب دخل في الجميع في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النُور: الآية ٣١] فأمر التائب بالتوبة ولطائف أسرار التوبة ثلاثة أشياء:

أولها: أن تنظر إلى الجناية والقضية فتعرف مراد الله تعالى فيها إن خلاك وإتيانها فإن الله عز وجل إنما يخلي العبد والذنب لأحد معنيين.

Marfat.com

Marfat.com

أحدهما: أن يعرف عزته في قضائه وبره في ستره وحلمه في إمهال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته.

الثاني: ليقيم على عبده حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته. انتهى.

ثم بعد هذا يعمل المريد في حذف العلائق والشواغل الدنيوية غير الضرورية فإن بناء هذا الطريق على فراغ القلب من العلائق وهي ما يعلق بالقلب، وإذا أراد الخروج عنها فأولها الخروج عن حب المال، فإن ذلك هو الذي يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرّته تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج، فإذا خرج عن حب المال فيجب عليه الخروج من حب الجاه أيضاً. فإن ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة، وما دام لم يستو عند المريد قبول الخلق وردّهم لا يجيء منه شيء يعتدّ به بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرك به وهو بعد لم يصحح الإرادة. وإذا تخلص من هذين بقي عليه تخلصه من حب الرياسة في كونه زاهد في الدنيا فيكون قد زهد في أمر دنيوي واستعوض عنه ما هو أضر منه في دينه فإن الزهاد جاههم أكمل من جاه أبناء الدنيا والسلاطين، فإنهم يذلون للزهاد ويقبلون أيديهم ويتبرّكون بهم ومتى شربت النفس من هذا الخمر جرعة خشي عليها التلف منها، فإن فيها من اللذات ما تدعو لطلبها وكان بشر الحافي رضي الله تعالى عنه، يقول: غنيمة الفقير في هذا الزمان غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم. فإن لقاء غالب الناس خسران وكل مريد في قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز وإذ بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه الدنيوي فيريد أن يخص به جهة من جهات البر أو شخصاً دون شخص فهو متكلف في حاله وفي الخطر الحاصل بذلك يخشى عليه أن يعود سريعاً إلى الدنيا فلا يخص بذلك عمارة مسجد ولا رباط ولا فقير من هذه غيرهم لأن قصد المريد في حذف العلائق المشغلة لقلبه الخروج منها ليتفرغ لله بصدده من خلوص قلبه لربه وكمال شغله به عن غيره لا ليسعى في أعمال له فيها من الدنيا وأعرض فليعرض عنها إعراضاً كلياً حتى لا يبقى لنفسه بها تعلق فإن ذلك أفرغ لقلبه وأعون له على غرضه فمقصوده بذلك [illegible] المبرّات.

وقبيح بالمريد أن يخرج هو من معلومه أني من رأس ماله وقنيته ثم يكون همه حرفة دنيوية غير ضرورية لأن ذلك يشغل قلبه ويمنعه أدبه وينبغي أن يستوي عنده وجود ذلك المعلوم وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيراً ولا يضايق به أحداً ولو محاسبياً ويكون الأولى عنده تعوّد الصبر حتى يكون فقره وصبره رأس ماله فيكون حاله [illegible]

Marfat.com

Marfat.com

إذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة وإن أيسروا عادوا سريعاً إلى الفقر

قال سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس سره وسمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول: أوّل سلوك الطريق زهد المريد في الدنيا والآخرة فلا تصير نفسه تميل إلى شهوة من شهوات الدنيا والآخرة إلا بإذن خاص من ربه عز وجل.

(**وسمعت**) الشيخ محمد المغربي تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى يقول: مجموع الطريق لفتة وسكتة أي لفتة إلى مرضاة الله تعالى وسكتة عن النطق بشيء مما عرفه من الطريق إلا لحاجة، وكان يقول: لا يصح لعبد أن يضع قدمه في طريق السير إلى حضرة الله عز وجل حتى يقطع ثلاثة منازل يزهد في نعيم الدنيا ثم يزهد في نعيم الآخرة، ثم يرضى عن الله عز وجل إذا ضربه بالبلاء الذي يقطع أوصاله فبعد ذلك يبتدىء المريد للطريق إلى حضرة الله في طريق السير. انتهى.

والطريقة تعرف أهلها ولو هربوا منها تبعتهم، ومنها أن يعتقد أن طريقه أشرف الطرق، فإنه إن لم يعتقد هذا تشوّفت نفسه إلى ما هو أشرف منه وما ثم طريق أشرف منه فإنه طريق الملائكة والخلفاء من النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين وحلية الملائكة المقرّبين، وهؤلاء الأصناف هم أعلم الخلق بالعلوم الإلهية التي هي أشرف العلوم وأجلّها.

قال الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه المسمّى بالمنقذ من الضلال: ثم إنني لما فرغت من العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية والقدر الذي أذكره لينتفع به أنني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أحسن الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق فلو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم ويبدّلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوّة وليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نور يستضاء به.

ومن ثم قال الشيخ أبو المواهب محمد الشاذلي رحمه الله: من لم يؤدّبه الصوفية فليس بأديب.

وبالجملة ماذا يقول القائلون في طريق أوّل شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله تعالى وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى هذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختيار. ومنها أن يكون الغالب عليه الصمت وقلة الكلام فلا يتكلم إلا عن

Marfat.com

Marfat.com

ضرورة كأن يسأله رفيقه عن حاجة أو يرد عليه غريب لا يعرف أحداً فيكلمه على وجه الملاطفة ويقبل عليه بكليته فإن آفات اللسان كثيرة منها الغيبة والنميمة والهمز واللمز والكذب والاستهزاء وكذبه في الأحكام وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق وغيرها فلا بد من تثبت العبد.

ومن ثم قال وهب بن منبه: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت.

وقال الفضيل لا حج ولا رباط ولا جهاد أشدّ من حبس اللسان.

وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب.

قال ابن المبارك معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب، وهو صريح في أن الكف عن المعصية أفضل من أعمال الطاعة. ومما أنشدوه في ذلك.

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

وبالجملة الصمت سلامة وهي الأصل وعليه ندامة[1] إذا ورد عليه الزجر قالوا يجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي والسكوت في وقته صفة الرجال كأن يسكت خوفاً من وقوعه في الزلل كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال كأن أمر بتغيير منكر أو يتكلم بكلمة حق عند من يخاف منه أو يرجى.

(وروى) ابن عباس رضي الله تعالى عنهما آخذاً بثمرة لسانه يقول له قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، فحفظ اللسان غالباً من أهم الأمور لأنه ترجمان ما في القلب وسلامته من الزلل تستلزم تثبته بقلبه.

قال بعضهم من لم يستغنم السكوت أي لم يعلم فضيلته ويعده غنيمة فربما نطق نطق بلغو وينبغي التحفظ مما يقوم مقام اللسان من إشارة وكتابة.

قال لي أبو بكر الفارسي إذا كان العبد ناطقاً فيما يعنيه وفيما لا بد له منه فهو حد الصمت لا فضول عنده، وإذا كان ناطقاً فيما لا يعنيه فليس بصامت وإن كان من المصري من أصون الناس لنفسه، فقال: أصونهم لساناً.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما من شيء يطول الشجن أحق من لسان، أي هو أحق منه وقيل مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك، ومنها أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر فيودع كل نفس بما يصلح له، فلا يضيع له

---

(١) قوله: (وعليه ندامة) هكذا في الأصل، وانظر فلعل هنا تحريفاً اهـ مصححه

Marfat.com

نفس ومنها أن لا يكون له نظر في عيوب الناس، ومنها أنه لو وصل إلى أي محل وصل لا يرى نفسه إلا في أوّل قدم من الطريق وهذه إحدى وصيتين مأثورتين عن سيدي الخواجة بهاء الدين النقشبند للسالك، وثانيتهما أنه لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلا أقل من نفس فرعون بمائة مرة، وإن لم يرها كذلك فليس له في السلوك نصيب فانظر إلى هاتين الوصيتين يا أخي تجد السالك محتاجاً إليهما كاحتياجه للسمع والبصر، بل أشد وأكثر فإنه متى أخطأهما أصابه العجب وهو أشد المهلكات كما شهد بذلك ﷺ حيث قال: ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فهوى متبّع، وشحّ مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن وفقني الله وإياك يا أخي وسائر السالكين لنيل هذه الأذواق آمين.

(واعلم) أن الاعتماد على العمل أوّل عائق يعرض لأصحاب السلوك في بدايتهم وذلك من غلبة الوهم على وجودهم وتراكم الخيال على مرايا عقولهم فلا يخرجون عن ذلك إلا بنور الكشف بأنه تعالى خالق لأعمالهم وإذا فتح على السالك فتح التعرف لا يبالي قل العمل أو كثر ومنها هجر إخوان السوء، ثم إذا أراد ذلك فليهجر أخلاقه السوء أوّلاً قبل أن يهجرهم، فإن نفسه أقرب إليه والأقربون أولى بالمعروف. قال لبيد:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه القرين الصالح

وقد جربوا فوجدوا النظر إلى وجوه العصاة يغشي البصر والبصيرة ويورث قساوة القلب عكس رؤية أهل الخير والصلاح.

فإياك يا أخي ثم إياك أن تنظر إلى وجوه الكفار أو تمكث في مواضع الغضب والسخط كمواضع الكؤوس وقبور الظالمين وكل مكان فيه معصية بل أسرع في المشيء وهرول، ومنها عدم إجابته لنفسه إذا أضيف إليه نقص وعدم تنقيص الصالحين من أهل زمانه إذا ذكروا.

قال الشيخ أبو المواهب محمد الشاذلي: الفقراء يراؤون بالأحوال والفقهاء يراؤون بالأقوال.

قال الشيخ علي الخوّاص: ما أجاب أحد عن نفسه ولم يكتف بعلم الله فيه إلا سقط من عين رعاية الله عز وجل إلا أن يكون ممن يقتدى به كالعلماء العاملين والأولياء المرشدين فإن أحدهم ربما ترجح بالاجتهاد عنده أن إجابته عن نفسه أكثر نفعاً للناس فيجيب عن نفسه بقصد نفع الناس بإرشاده إذا اعتقدوا تنزيهه عن النقائص والأعمال بالنيات.

Marfat.com

وبالجملة فرأس مال المريد الاحتمال من كل أحد بطيبة النفس وتلقي ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة للناس في القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل معهم السوق ويكتسب الشهوات كمكسبهم فإن من اشتهى ما تشتهيه الناس فالواجب عليه أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كد اليمين وعرق الجبين وإذا فعل ذلك خرج عن مقصوده بالكلية وأعرض عن طريقته بالجملة والعياذ بالله تعالى.

(وقال) الشيخ أبو المواهب محمد الشاذلي من المحال أن ينفتح باب الملكوت والمعارف وبالقلب شهوة كما أن من المحال أن ينفتح باب العلم بالله تعالى من حيث المشاهدة وفيه لمحة للعالم بأسره الملكي والملكوتي انتهى.

(وقال) بعض المشايخ إذا رأيت المريد قائماً مع الشهوات طالباً لحظوظ النفس فاعلم أنه كذاب وإذا رأيت من يشير إلى المعرفة متساهلاً عن تحفظ قلبه ومراعاة أحواله فاعلم أنه كذاب، وإذا رأيت من يشير إلى المعرفة يميز بين المدح والذم والقبول والرد فاعلم أنه كذاب.

وقال الجنيد لولا العلامات لادّعى كل إنسان سلوك الطريقة. قال الله تعالى فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ومنها أن لا يُعرّج في مباح أصلاً فإنه تضييع للوقت ومن دخل هذه الطريقة وهو متزوّج فلا يُطلق أو أعزب فلا يتزوّج حتى يكمل فإن كمل فهو في ذلك على ما يلقى إليه.

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في الإحياء اعلم أن المريد في ابتداء أمره لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزوّج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره إلى الإنس بالزوجة ومن أنس بغير شغل عن الله تعالى ولا يغرّنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة على الحدادين.

وكذلك قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه من تزوّج فقد [illegible] وقال ما رأيت مريداً تزوّج وثبت على ما كان وقيل له ما أخرجك إلى [illegible] فقال: لا آنسني الله بها أي أن الإنس بها مشؤوم ثم قال فشغل المريد [illegible] الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة وهذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته فليقمعها بالجوع الطويل والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ فرجه مثلاً وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة. انتهى. وأدبهم في ذلك أن لا يتزوّج للدنيا ولا بذات اليسار بل للسنة والعفة والدين ثم يقوم بما لا بد له من

Marfat.com

Marfat.com

الكفاية بحسب الطاقة فإن عجز وطلبت فوق الطاقة خيرها بين الوفاق على المسكنة أو طلاق الفرقة اقتداءً برسول الله ﷺ حيث أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٨] الآيتين وكنّ تسعاً فخيرهن رسول الله ﷺ وبدأ بعائشة رضي الله تعالى عنها. وقال: إني محدثك بحديث واستشيري فيه أبويك فلما أخبرها به، قالت: أو فيك أستشير أبوي فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، فقالت لا تخبر نساءك بهذا، فقال: والله لا يسألنني عن ذلك إلا أخبرتهن فلما أخبرهن اخترن الله ورسوله فشكرهن الله على ذلك، ثم أنزل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٢] الأمر بمجانبة التزوج بعد الآية.

قال السهروردي في آداب المريدين والأولى في زماننا مجانبة التزوج وقع النفس بالرياضة والجوع والسهر والسفر وقيل لبعض الصالحين: ألا تتزوّج فقال لي نفس لو تمكّنت من تطليقها لطلقتها أضم إليها أخرى. ومنها أن لا يقطع الذكر إذا افتتحه حتى تحصل له الغيبة عن الحاضرين وجميع الأكوان ويحضر مع الحق تعالى وذلك لأن الفتح الإلهي لا يكون قط إلا لمن غاب عن إحساسه لأنه حينئذ استحق دخول الحضرة الإلهية.

وأما من لم تحصل له غيبة فذكره حسنات لا درجات، فما دام يشهد الكائنات فهو محجوب وهي كلها فقيرة تسأل الله كما يسأله هو وليس عندها شيء من الخلع تخلعه عليه ولذا كان الحضور مع الله مرة صعباً على أمثالنا لعدم بلوغ أحدنا في طهارة ظاهرة وباطنه إلى الحد الذي يصح به دخول الحضرة الإلهية.

قال الشيخ علي المرصفي رحمه الله تعالى مقام الحضور مع الله تعالى خاص بمن عرف الحق تعالى في سائر مراتب التنكرات حتى صار لا يخفى عليه شيء من تجليات الحق الماضية والآتية وأنى لأمثالنا الوصول إلى معرفة ذلك.

قال الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى مقام حضور الغيبة مع الله عزيز وجوده اللهم إلا أن يصل إلى مقام معرفة الحق تعالى في سائر مراتب التنكرات فمثل ذلك يمكن أن يصح له الحضور مع الله عز وجل وإذا كان كل شيء خطر ببال العبد فالله تعالى بخلافه فكيف يصح له الحضور معه تعالى على أنه مقام الأنبياء وكمل ورثتهم فإذا اللائق بنا الحذر من دعوى الحضور مع الله تعالى في الصلاة أو في غيرها ومنها أن يجعل له أوقاتاً يحاسب فيها نفسه ولا أقل من ثلاثة: وقت إذا أصبح بتذكر ما ضيع وصنع في ليله، ووقت بعد صلاة الظهر يستعرض فيه على نفسه ما صنعه في أوّل النهار إلى ذلك الوقت، ووقت عقب صلاة المغرب كذلك فإن وجد هفوة بادر إلى الاستغفار

Marfat.com

Marfat.com

بلسان مفتقر وقلب منكسر ووجود مضمحل سائلاً الحق الحفظ والعناية ومنها ترك التيه والصولة.

قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوقك قحة وعلى من هو مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز. وقال بعضهم من ولي ولاية فتاه فيها أخبر أن قدره دونها ومن تواضع فيها أخبر أن قدره فوقها وقيل: إن عجب المرء أصل فساد عقله وقال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

وقال سيدي علي الخواص خصلة واحدة إذا شهدها العبد من نفسه صار وراء الناس في المرتبة عند الله وعند خلقه وهي أن يشهد نفسه أفضل من سائر أقرانه في العلم والفضل والصلاح اهـ.

وليحذر المتأدب أن يحقر أحداً من المسلمين أو يزدري أحداً من العصاة فإنه لولا فضل الله تعالى عليه لكان أسوأ حالاً منهم أو أن يخطر على باله أنه أحسن حالاً من أحد من الفسقة فضلاً عن أهل الخير والصلاح.

وبالجملة فاحتقار الناس مرض عظيم لا يداوى ومنها كثرة تفقده لظاهره وباطنه كلما قرب قيام الصلاة فينظر ما فيه من الآفات الباطنة كالكبر والغل ومحبة الدنيا ونحو ذلك ليتطهر من أفعاله وصفاته الخبيثة عندها إن كان لها وجود يتوب منها ويستغفر ربه ليقوم إلى الصلاة ويناجي ربه بقلب سليم وبدن طاهر ويمكنه خداه الحضرة الإلهية من دخولها فإن الملائكة واقفون على باب الحضرة الإلهية لا يمكنونه من دخولها وبه مرض باطن من حسد أو غل أو حقد أو مكر أو خديعة أو حب الدنيا.

ونحو ذلك كان الشيخ أبو بكر الكتاني يقول: يقول الله عز وجل ما من شخص أصبح في الدنيا وفي قلبه همان إلا وأنا بريء منه هم المعاصي وهم الموت ثم يأتي وليصل قلبه مع جسده ويحضر بين يدي ربه بقلب سليم ومن كان بقلبه مضغة يحب فيها ما يحب الله تعالى فهو ممن لم يأت ربه بقلب سليم ومثال من يراعي ظاهره دون باطنه مثال من به ظهر به جرب فأمره الطبيب بإطلائه بالعقاقير وبشرب الدواء الذي يقطع مادته من الباطن فترك شرب الدواء وصار يطلي ظاهره فكلما برئ من شيء ظهر له جرب آخر.

وإذا كانت الخبائث كامنة في قلب العبد فلا بد من أن يظهر أثرها على الجوارح من الرياء والنفاق وغير ذلك، شاء العبد أم أبى.

وهذا حال غالب الموسوسين، فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها ومهما رأى في باطنه عيوباً في مشهده كلما ارتفعت درجته وقرب من حضرة الله عز وجل فكلما رأى من عيوبه

Marfat.com

Marfat.com

القوم. فكلما ازداد أحدهم علماً أو عملاً ازداد في نفسه كمالاً ودعوى وذلك لأن علوم أهل الله تعالى موضوعة في قلوبهم وأزواجهم فلا يزدادون بها إلا تواضعاً وهضماً لنفوسهم وعلوم غيرهم موضوعة في نفوسهم فلا يزدادون بها إلا دخاناً وظلمة فكلما كثرت علومهم كثرت الظلمة في قلوبهم.

وما هكذا شأن علماء السلف رضي الله عنهم إنما كان أحدهم يزداد بكثرة علمه خوفاً من الله تعالى حتى ربما يرى أنه قد استحق الخسف به من سنين عديدة، فحكم أحدهم حكم من كان في ظلام وهو لابس ثوباً ملطخاً عذرة مفرقة في ثوبه وهو لا يشعر فصار كلما قرب من النور تظهر له تلك الطراطيش من العذرة في ثوبه شيئاً فشيئاً. فالنور مثال للقرب من حضرة الله تعالى والظلام مثال للبعد عنها.

إذا ازداد علم المرء زاد تواضعاً وإن زاد جهل المرء زاد ترفّعا

وفي الغصن من حمل الثمار مثاله وإن يعز عن حمل الثمار تمنعا

قال الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه إخواني ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم، ولكن وصلت إلى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر. دل كلامه نفعنا الله تعالى به على أن الكرم هو الأساس، وأن التواضع يتم به للسالك الغراس، وإذا تم له هذان الأمران سلم صدره من العلائق، فزال عن طريقه كل عائق، ولذلك ورد في الحديث أن في الجنة لغرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام.

فتأمل هذا الحديث يا أخي حيث بدأ ﷺ فيه بإلانة الكلام وهو إشارة إلى التواضع ثم بإطعام الطعام وهو إشارة إلى الكرم، ثم أتى بعد ذلك بالصلاة والصيام، يدل على ما أشار إليه الشيخ عبد القادر قدس سره ومنها كثرة مخالفته لنفسه ما دام في السلوك فإذا وصل إلى مقام الكمال صارت نفسه لا تأمره إلا بخير وتحب ما يحبه الله وتكره ما يكرهه الله، فحينئذ يجوز له موافقتها، بل ربما يجب ذلك عليه في بعض المواضع، صرح بذلك الشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ أحمد الرفاعي قدس سرهما، وخالفهما الجنيد قدس سره وأصحابه، فأوجبوا على العبد مخالفة نفسه ولو بلغ أعلى مقامات الرجال، لأن الجزء البشري الذي وجب على العبد مخالفة نفسه لأجله، يبقى ولا ينقطع، فلو تأمل الكامل في ذلك الجزء أيحجبه عن ربه بأكل الشهوات مثلاً لوجده موجوداً وما خرج عن هذا الحكم إلا المعصومون، فافهم ذلك فإنه تحقيق عظيم مؤيد بالكتاب والسنة، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ

Marfat.com

﴿ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: الآيتان ٤٠، ٤١] ولم يستثن أحداً من الناس.

(وفي) شرح المنفرجة لشيخ الإسلام زكريا قدس سره قال العلماء: مخالفة النفس رأس العبادة.

(وقال) الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره وأفضل الأعمال مخالفة النفس والهوى ودوام التوجه إلى الله تعالى مع الإعراض عما سواه، ومنها دوام سيره في مقامات الطريق وعدم وقوفه في مقام من مقاماتها حتى يصل إلى خيام ليلى لكن سيره يكون بالجسم ما دام لم يصل إلى الخيام والروح تكون بحكم التبع للجسم وبعد الوصول إلى خيام ليلى يكون سيره بالروح والجسم بحكم التبع للروح ومن هنا جهل أكثر الناس مقام العارف وصار عندهم غريباً، وربما قدموا عليه في المقام من لا يصلح أن يكون تلميذاً له من السالكين لكثرة ما يرونه من العبادات والمجاهدات لذلك السالك بخلاف الكامل لا يكاد أحد منهم يرى منه عملاً إلا بقدر ما يقتدي الناس به فيه لا غير، وما عدا ذلك فهو عمل قلبي لا يطّلع عليه إلا الله تعالى وربما تكون الذرة من هذا العمل أرجح من القناطير فيصدق عليه هذا البيت:

فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلاع تطير

قال الشيخ علي الخواص قدس سره القوم كلهم سائرون مع الأنفاس، لكن منهم من يشعر بسيره ومنهم من لا يشعر. وقد كان الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى يقول: لا أحب من أولادي إلا من كان دائماً مع الأوقات لا يهدأ ولا ينام حتى يصل إلى خيام ليلى وتجيبه ليلى وتقول له: لا خيّب الله مسعاك طالما تعبت وتعنيت، طالما جعت وظمئت ومشيت، طالما رجع غيرك من الطريق وجئت أنت اليوم عندنا مكين أمين، ويوم ضيافتنا لا ينتهي. انتهى.

وكان يقول من أقام نفسين معاً وهو غافل عن ذكر الله واقف في مقامه حتى فليس هو من أولادي، انتهى.

(وفي) كلام سيدي الشيخ مبارك بن سلمة القيسي أعاد الله علينا من على المريد السائر إلى الله تعالى أن يصلي العصر في مكان متدثراً بثوب الهمة راكباً جواد العزم قاطعاً للمنازل والأوطان حتى يصل إلى الأصلي، انتهى.

وقالوا: من لم تكن له في بدايته قومة لم تكن له في نهايته جلسة، أي من لم يكن له اجتهاد في مباديه مع قوة شبيبته وصحته في بدنه على ما يروم من الحسنات لم يقدر على ذلك بعد عجزه وهنا تحتاج إلى أن تعرف طبقات أهل التصوف

Marfat.com

Marfat.com

فاعلم أنهم على ثلاث طبقات. مريد طالب، ومتوسط سائر، ومنته واصل.

فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب نفس، وأفضل الأشياء عندهم عدّ الأنفاس.

وقالوا: عمل المريد يسير ولو كان أمثال الجبال وعمل العارف كثير وإن كان كمثقال ذرة. فالمريد المبتدىء في السلوك الذي يرى له وجوداً وعملاً متعوب في طلب المراد والمتوسط مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين وهو عند القوم عبارة عن تحويل حال السالك من تجلّ إلى تجلّ آخر، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وهو في الزيادة والمنتهى الواصل محمول قد جاوز المقامات. وهو في محل التمكين وهو عندهم عبارة عن دوام كشف الحقيقة، لأن اطمئنان القلب بقربه لا تغيره الأحوال ولا تؤثر فيه الأهوال. كما قيل عن زليخا لما كانت صاحبة تمكين في شأن يوسف عليه السلام لم تؤثر فيها رؤية يوسف عليه السلام، كما أثّرت في اللواتي قطعن أيديهن وإن كانت أتم في حبه منهن، فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ وما للناس فيه منفعة.

(**سئل**) الحسين بن منصور الحلاّج عن المريد، فقال هو الرامي بأوّل قصده إلى الله تعالى فلا يعرج حتى يصل، انتهى. ومقام المتوسط ركوب الأهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الأحوال، واستعمال الأدب في المقامات ومقام المنتهى الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه. قد استوى في حالة الشدة والرخاء والمنع والعطاء والجفاء والوفاء أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وكل ذلك منقول من أحوال النبي ﷺ وأصحابه وآله كان يتخلى في غار حراء ثم صار مع الخلق، فلا فرق عنده بين الخلوة والجلوة وكذلك أصحاب الصفة صاروا في حالة التمكين أمراء ووزراء، فإن المخالطة لا تؤثر فيهم.

(**واعلم**) أن هذه المقامات وغيرها مما ذكرناه أو سنذكره لا يعرفها حقيقة إلا من وصل إليها وذاقها وتحقق بها ولسنا بتلك المثابة ولا قاربناها ولا شممنا منها رائحة غير أننا نذكر بحسب التطفل على فضلهم والأخذ من كلامهم ونستغفر الله تعالى من الزلل والتجريء على ذكر ما لسنا له بأهل.

رجال لهم سرّ مع الله صادق فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا
نحوم على الدنيا ونبغي تزهداً فلا أنت معدود هناك ولا أنا

وبالجملة فعليك بالعمل وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق العلماء.

Marfat.com

Marfat.com

فقد قال سيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي أعاد الله تعالى علينا من بركات معارفه الله خصم من شهر نفسه بطريقتنا ولم يقم بحقها واستهزأ بنا وكان يقول من خان لا كان ومن لم يتعظ بكلامنا فلا يمش في ركابنا ولا يلم بنا ولا نحب من أولادنا إلا الشاطر المليح الشمائل. وذلك حتى يصلح لوضع السر فيه فيا أولادي ناشدتكم الله تعالى لا تسيؤوا طريقي ولا تلعبوا في تحقيقي ولا تدلسوا ولا تلبسوا وأخلصوا تتخلصوا فكما أحببناكم واخترناكم فلا تكدروا علينا ولا تذموا طريقتنا بالكلام فكما وفينا لكم حقكم في التربية والنصح فوفوا لنا بالاستماع والاتعاظ وإنما أمرتكم بما أمركم ربكم فهو أمر الله لا أمري فإن نقضتم العهد فإنما هو عهد الله تعالى وإن كنتم لا تأخذون منا إلا أوراقاً فلا حاجة لنا بكم. انتهى.

وقد كان ﷺ يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقام حتى تقطرت قدماه ثم تبعه أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك فكان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إذا تنهّد يشم لكبده رائحة الكبد المشوي، وأنفق ماله في سبيل الله تعالى كله، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شديد العمل والكد حتى رقع دلقه بالجلود ولف رأسه بقطعة خيش، وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يختم القرآن قائماً كل ليلة على قدمه، وكان علي رضي الله تعالى عنه من زهاد الصحابة ومجاهديهم حتى فتح أكثر بلاد الإسلام، هؤلاء خواص الصحابة مع قربهم من رسول الله ﷺ هذا كله عملهم وهكذا كان اجتهادهم وزهدهم وجوعهم.

فاحكم يا أخي الشريعة والحقيقة، ولا تفرط إن أردت أن تقتدي بهم وإنما سميت الحقيقة حقيقة لكونها تحقق الأمور بالأعمال وتنتج الحقائق من بحر الشريعة ومنهم أن لا يكون عنده التفات إلى مراعاة المخلوقين له في الحرمة والجاه، كما مر، والقيام والقعود والقبول والإعراض وغير ذلك من الأحوال الظاهرة لأنه لا يراعي إلا الله تعالى.

(قال) الشيخ أبو عبد الله القزاز رحمه الله تعالى لن يدخل نور المعرفة في القلوب حتى يؤثر صاحبه الحق تعالى على كل شيء، وكان أبو عبد الله محمد بن منازل بن شيخ الملامية بنيسابور رحمه الله تعالى يقول لو صح أحدهم على عمله نفس واحد من غير رياء ولا شك ولا شرك كفاه ذلك إلى آخر الدهر. انتهى.

(قال) الشيخ علي الخواص ومن علامات كون أرض المريد سبخة أن تتقاعس الشيخ أنه يريد بصحبته أن يصير من أصحاب الأحوال والكشف ونحو ذلك، وإن كان ولا بدّ زارعاً في أرضه فليستطبها أولاً من الغلب والشوك ومن كل شيء غير القوت من حضرة الله تعالى ثم يبذر فيها بعد ذلك.

Marfat.com

وقال أيضاً من علامة طيب أرض المريد أن تكون دليل النفس منكس الرأس يفرح بكل شيء يذل نفسه قاله في منار الإرادة.

(باب فيما يلزم المريد من الشرائط والآداب مع الشيخ)

وهي كثيرة ولكن نذكر منها ما لا بد منه للمريد.

(قال) العلامة ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في خاتمة الفتاوي من المسائل المنشورة والأخذ عن مشايخ متعددين يختلف الحال فيه بين من يريد التبرّك ومن يريد التربية والسلوك. **فالأوّل** يأخذ ممن شاء إذ لا حجر عليه، وأما **الثاني** فيتعين عليه على مصطلح القوم السالمين من المحذور واللوم حشرنا الله تعالى في زمرتهم أن لا يبتدىء إلا بمن جذبه إليه حاله قهراً عليه بحيث اضمحلت نفسه بقاهر حال ذلك الشيخ المحق وتخلّت له عن شهواتها وإراداتها. فحينئذ يتعين عليه الاستمساك بهديه والدخول تحت جميع أوامره ورسومه حتى يصير كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء فإن لم يجذبه حال شيخ كذلك فليتحرّ أورع المشايخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ويدخل تحت إشاراته ورسومه. كذلك ومن ظفر بشيخ بالوصف الأوّل والثاني فحرام عليه عندهم أن يتركه. انتهى.

فإذا وجد الأعلى فالأدنى منهما يصحبه بالخدمة البدنية والمالية والقلبية مع الشرائط والآداب في حضوره وغيبته إذ خاصية سوء الأدب زوال البركة وتبدل النور بالظلمة والحجاب والبعد المعنوي والضرر تغير طبع الشيخ أو لم يتغير كما نقل أن الإمام زفر رحمه الله تعالى، كان يتوضأ فمر عليه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، فلم يقم له ولم يعظمه فلأجل ذلك صارت روايته في المذهب ضعيفة وإلا فقد كان من أجلّة أصحاب الإمام علماً وأكثرهم ملازمة.

فأما الشرائط التي لا بد منها للمريد فهي على ما في الحديقة أحد عشر منها أن لا يعترض في القلب على أفعال الشيخ ومهما قدر على تأويلها يؤوّلها وألا ينسب نفسه إلى القصور في الفهم ويتأسى بقصة موسى والخضر عليهما السلام، لأن الاعتراض أقبح من كل قبيح والمعترض لا يكون معذوراً فالحجاب الذي ينشأ من الاعتراض ليس له علاج ورفعة متعذّر ومن خواصه سدّ مجاري الفيض على المريد.

فاجتنب يا أخي هذا الداء العضال ومنها أن يظهر الخواطر خيراً أو شراً لشيخه ليعالجه فإن الشيخ كالطبيب فإذا حصل له الاطلاع على أحوال المريد يتوجه إلى إصلاحه ورفع أمراضه، ولا يعتمد في عدم إظهارها على كشف الشيخ لأن الكشف قد

Marfat.com

يتلوّن وقد يخطىء والخطأ الكشفي عند الأولياء بمنزلة الخطأ الاجتهادي، إلا أنه لا يعمل به أحد ولو صح ولا يبنى عليه حكم عندهم ما لم يساعده الظاهر فاحفظه فإنه نفيس، ومنها الصدق في الطلب فلا تغيره المحن والشدائد ولا يفتره العذل والمكايد والمحبة المفرطة الصادقة لشيخه أكثر من نفسه وماله وولده معتقداً أنه لا يحصل له المقصود من الملك المعبود إلا بتوسط شيخه ومنها أن لا يقتدي بجميع أفعال شيخه العادية إلا أن يأمره بها بخلاف الأقوال لأن الشيخ قد يعمل بعض الأعمال بحسب مقامه وحاله وذلك العمل يكون على المريد سماً قاتلاً.

(ومنها) المبادرة بإتيان ما أمره به من غير تأويل ولا تسويف فإنهما من أعظم القواطع.

(ومنها) العمل بما لقنه شيخه من ذكر أو توجه أو مراقبة وترك جميع الأوراد الغير المأثورة لأن فراسة الشيخ اقتضت تخصيصه به بذلك وهي من نور الله تعالى.

(ومنها) أن يرى نفسه أحقر من جميع الخلائق ولا يرى لنفسه حقاً على أحد ويخرج من عهدة حقوق غيره بالأداء والتوفية وقطع العلائق عما سوى المقصود.

(ومنها) عدم الخيانة لشيخه في أمر من الأمور واحترامه وتعظيمه على أقصى الوجوه وتعمير قلبه بالذكر الملقن به وطرد الغفلة والخواطر.

(ومنها) أن لا يكون مراده من الدنيا والآخرة غير الذات الأحدية ولو من حال أو مقام أو فناء أو بقاء وإلا فهو طالب لكمال نفسه وأحوالها فينبغي أن يكون كالميت بين يدي الغسال وأن لا يرد كلام الشيخ وإن كان الحق مع المريد بل يعتقد أن خطأ الشيخ أقوى من صوابه ولا يشير للشيخ بشيء إن لم يسأله.

(ومنها) أن يكون منقاداً مستسلماً لأمر الشيخ ولمن يقدمه عليه من الخلفاء والمريدين، وإن كان ممن عملهم[1] أقل من عمله الظاهري.

(ومنها) أن لا يظهر حاجته إلى أحد غير شيخه فإن لم يكن شيخه حاضراً وحصلت له الضرورة فليسأل من صالح سخي متق.

(ومنها) أن لا يغضب على أحد لأن الغضب يميت نور [illegible] والمباحثة بالجدال مع طلبة العلم لأن المناظرة تورث النسيان والكدورات وإذا وقع منه الغضب أو المباحثة مع أحد يستغفر ويطلب منه العذر وإن كان هو محقاً، ولا ينظر إلى أحد بنظر الحقارة بل من رآه يحسبه أنه الخضر عليه السلام أو ولي من أولياء الله تعالى

---

(١) قوله: (عملهم) الخ. كذا في نسخة بتقديم الميم على اللام وفي أخرى عكس ذلك ه

Marfat.com

الكرام فيطلب منه الدعاء.

(وفي) التاجية الكبرى للشيخ العالم العارف المحقق تاج الدين الهندي الحنفي النقشبندي نزيل مكة المشرفة المدفون بها قدس سره.

(اعلم) أن مكافأة بعض حقوق الشيخ لا تتيسر إلا برعاية حسن الأدب فالتعظيم لمشايخ الطريقة من معظمات حقوقهم والإهمال عين التقصير والخسران لأن له نسبة الأبوة المعنوية. اهـ.

(قلت) وهذه النسبة عند أهل المحبة الإلهية أشرف من نسبة الأبوة الظاهرية وهي التي جعلت بلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وصهيباً الرومي رضي الله تعالى عنهم من أهل البيت وأبعد عنها أبو طالب ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهلية لما حجبته المشيئة الإلهية. وإلى هذه النسبة أشار سلطان العاشقين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس سره الفائض بقوله:

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوي

(وأما) الآداب المتعينة على المريد مع الشيخ المتّفق عليها عند الجمهور فهي بطريق الإجمال خمسة عشر أدباً.

(منها) أن يكون اعتقاده مقصوراً على شيخه معتقداً أنه لا يحصل مطلوبه ومقصوده إلا على يد هذا الشيخ وإذا تشتت نظره إلى شيخ آخر حرم من شيخه وانسدّ عليه الفيض.

(ومنها) أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن لأن جوهر الإرادة والمحبة لا يتبين إلا بهذا الطريق ووزن الصدق والإخلاص لا يعلم إلا بهذا الميزان.

(ومنها) أن يسلب اختيار نفسه باختيار الشيخ في جميع الأمور كلية كانت أو جزئية عبادة أو عادة.

(ومنها) الفرار من مكاره الشيخ بأقصى الوجوه وكراهة ما يكره الشيخ طبعاً وعدم ارتكابها اغتراراً بحسن خلق الشيخ وكمال حلمه.

(ومنها) عدم التطلع إلى تعبير الوقائع والمنامات والمكاشفات. وإن ظهر له تعبير فلا يعتمد عليه وبعد عرض الحال على الشيخ لا يكون منتظراً لجوابه من غير طلب وإن سأل أحد الشيخ عن مسألة فإياه والمبادرة بالجواب في حضرة الشيخ.

(ومنها) غض الصوت في مجلس الشيخ لأن رفع الصوت عند الأكابر سوء أدب فينبغي له أن لا يفتح باب البسط في الأفعال والأقوال والسؤال والجواب مع الشيخ لأنه

Marfat.com

يزيل احتشام الشيخ عن قلب المريد فيحجب.

(ومنها) معرفة أوقات الكلام معه فلا يكلمه إلا في البسط بالأدب والخشوع والخضوع من غير زيادة على الضرورة بقدر مرتبته ودرجته وحاله مصغياً بتوجه تام إلى جواب الشيخ، وإلا فيحرم من الفتوح وما حرم منه لا يرجع إليه مرة أخرى إلا نادراً.

(ومنها) كتمان أسرار الشيخ التي يجب كتمانها.

(ومنها) أن لا يكتم شيئاً من الأحوال والخواطر والواقعات والكشوفات والكرامات مما وهبه الله تعالى عن الشيخ.

(ومنها) أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس إلا بقدر أفهامهم وعقولهم.

(ومنها) إذا حصلت العقيدة بالشيخ يقول عنده جئت إليكم لطلب معرفة الله تعالى، وبعد قبول الشيخ لا يلتمس شيئاً بل يخدمه بالميل والرغبة حتى يحصل له القبول التام عند الشيخ، فإذا لقّنه شيئاً فيشتغل به على الدوام من غير إخطار خاطر ولو كان خيرياً.

(ومنها) أن لا يتحمل أمانة تبليغ سلام الغير إلى الشيخ لأنه من سوء الأدب كما ذكر في آداب المريدين.

(ومنها) أن لا يتوجه إلا لما أراده الشيخ رافعاً نظره عن الغير فانياً في أقوال الشيخ وأفعاله وصفاته بل وذاته لما قيل إن الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله.

(ومنها) أن لا يتوضأ بمرأى من الشيخ ولا يرمي البزاقة والمخاطة في مجلسه ولا يصلي النوافل في حضوره بل معه.

(ومنها) أن يبادر بإتيان ما أمره به الشيخ بلا توقف ولا إهمال ولا تأويل من غير استراحة ولا سكون قبل إتمام ذلك الأمر.

(وهذا) أنموذج الآداب مجملاً، ويندرج تحته جزئيات منها لا تكاد تحصر تعرف بالتأديب الإلهي والذوق والوجدان الوهبي أدبنا الله تعالى بها أحسن تأديب، ما [illegible] أوفر نصيب.

(تتمة) قال الإمام الرباني سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره النوراني في نفحاته القدسية وقد حبب لي أن أختم هذا الباب بخاتمة لخصتها من كلام سيدي إبراهيم الدسوقي وسيدي علي بن وفا قدس سرهما وغيرهما سرداً. فأقول وبالله التوفيق كان سيدي إبراهيم الدسوقي قدس سره يقول من لم يكن مجتهداً في بدايته لا يفلح له مريد في نهايته. فإنه إذا نام نام مريده وإذا قام قام مريده.

(وكان) قدس سره يقول يجب على المريد أن لا يتكلم في محفل قط إلا بدسه

Marfat.com

شيخه إن كان جسمه حاضراً وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقّى إلى هذا المقام في حق الله عز وجل فإن المريد إذا راعى الشيخ هذه المراعاة رباه الشيخ بلطيف الشراب وسقاه من ماء التربية ولاحظه بالسر المعنوي الآتي فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه ويا شقاوة من أساء.

(وكان) قدس سره يقول إذا صدق المريد في معاملة الله تعالى بالسرائر جعله على الأسرة والحظائر وإذا خلص من الاعتكاس سلم من الانتكاس.

(وكان) قدس سره يقول من لم يكن نظيفاً شريفاً فليس من أولادي ولو كان ابني الصلبي ومن كان ملازماً للطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع فهو ولدي وإن كان من أقصى البلاد.

(وكان) قدس سره يقول يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأدية فرضه ونفله ولا ينبغي له الاشتغال بالفصاحة والبلاغة حتى ينتهي سيره فإن ذلك شغل له عن مراده بل يفحص عن آثار الصالحين في العمل ويواظب على الذكر ليلاً ونهاراً.

(وكان) قدس سره يقول من علامة المريد الصادق أن لا يكون له مناقشة ولا جدال في شريعة ولا حقيقة لأنه عمال في طريق الترقي لا التفات له وللجدال أهل وللطريق أهل وقد ذهب الصدق من أكثر أهل زماننا هذا كما ترى.

(وكان) قدس سره يقول من شرط المريد الصادق أن يخرج في أوّل دخوله للطريقة عن النفس والحظ ويرضى بالتلف والضيق وذلك لأن الفلاح والنجاح لا يصح إلا لمن ترك الحظ وقابل الأذى والشر بالاحتمال والخير.

(وكان) قدس سره يقول من شرط المريد الصادق أن لا يكون له فعل رديء ولا يصرفه عن الطريق صارف ولا ترده عنها السيوف والمتالف.

(وكان) قدس سره يقول المريد الصادق لا يكون عنده دعوى ولو صادقة ولا يكون بينه وبين الأحداث ودّ ولا إخاء إنما ذلك للأشياخ.

(وكان) قدس سره يقول من شأن المريد أن يكون عمالاً ببدنه وقلبه ليس عنده شقشقة بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها.

(قال) وقد رضي أهل زماننا هذا بالشقشقة وتركوا العمل فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(وكان) قدس سره يقول من شأن المريد الصادق أن يفتش عن الحل في اللقمة وما دام لسانه يذوق الحرام فلا تفي أعماله بأن تزيل تدنسه وتلطخه بالحرام.

Marfat.com

(وكان) قدس سره يقول من شرط المريد الصادق أن لا يلتفت لتزكية الناس له بل يفتش نفسه فربما كتب الشيخ إجازة لبعض المريدين أيام الاستقامة ثم غير المريد وبدل فما تنفعه تلك الإجازة وهو قد غير وبدّل أحوال أهل الطريق بحيث لو عرض ما وقع فيه من الزلاّت على الشيخ ما كان يجيزه قط.

(وكان) قدس سره يقول إذا اشتغل المريد بالفصاحة والبلاغة فقد تودّع منه الطريق لا سيما أن صاحب غير الفقراء من أبناء الدنيا الغافلين عن الله عز وجل وما اشتغل أحد بذلك إلا وقطع به.

(قال) وأما مطالعة حكايات الصالحين وأحوالهم فهي للمريد جند من جنود الله تعالى ما لم يقنع بها في الطريق.

(وكان) قدس سره يقول ليعلم المريد الصادق أن الطريق إلى الله تعالى تفني الجلاّد وتفتت الأكباد وتضني الأجساد وتدفع السهاد وتسقم القلب وتذيب الفؤاد.

(وكان) قدس سره يقول رأس مال المريد الصادق المحبة والتسليم وإلقاء عصا المعاندة والمخالفة والسكون تحت مراد شيخه وأمره، فإذا كان المريد كل يوم في زيادة محبة لشيخه وطريقه وزيادة تسليم له أمن القطع فإن عوارض الطريق وعقبات الالتفات والإرادات هي التي تقطع عن الإمداد وتحجب المريد عن الوصول إلى المراد.

(باب في بيان آداب المريد
مع إخوانه لمسيس الحاجة إليه)

قال في الحديقة فمنها أن لا ينظر لهم قط إلى عورة ظهرت ولا عثرة سبقت فيه معرّض للوقوع في مثلها كما وقعوا.

(وقد قال) العارفون كل فقير كشف له عن شيء من عيوب الناس فهو صاحب كشف شيطاني لا يعبأ الله به، ومن نظر إلى عورات الناس وحملهم على المحامل السيئة قل نفعه وخرّب سره وعدم الانتفاع بشيخه.

(ومنها) أن ينفق على نفسه وعلى إخوانه كل ما فتح الله عليه به ولا فرق بين أن كانت فجلة أو خيارة.

(ومنها) أن لا يزاحم على الإمامة قط في الزاوية وغيرها.

(ومنها) أن ينبّه إخوانه في أوقات الخيرات والمواسم كالأسحار وليالي الجمع والأعياد والقدر، ثم ينبغي للفقير إذا تنبّه قبل إخوانه ورأى نفسه أكثر عبادة منهم أن لا يرى نفسه عليهم بل يرى نومهم أخلص من عبادته هو لأن النائم لا يكتب عليه شيء

(ومنها) أن لا يكون مقداماً لإخوانه قط في سوء الأدب مع الشيخ أو مع أحد من إخوانه كأن يخرج من تحت يدي شيخه وتربيته ويطلب وظائف الدنيا ويجمع معلومها ويوسع على نفسه في المأكل والملبس فيسيء في حق الشيخ وفي حق إخوانه ويصير كل من تبعه في ذلك يحتجّ بفعله فتتلف ضعفاء المريدين بالكلية.

(ومنها) أن لا يرمي بنفسه إلى الكسل والخمول ويمتنع من مساعدة الفقراء في قضاء حوائج الزاوية.

(ومنها) أن يكون مقداماً لإخوانه في كل عمل شاق.

(ومنها) أن لا يغفل عن خدمة من مرض في الزاوية من إخوانه الذين لا أهل لهم ولا قرابة ولا أصحاب يخدمونهم.

(ومنها) أن يحسن لإخوانه إذا بغى بعضهم على بعض بالأخذ على يد الظالم وتصبير المظلوم.

(ومنها) أن يراقب قلبه من جهة إخوانه فمهما حدث له تغير في قلبه من أحد من المسلمين فليسع في إزالته وليظن بأخيه خيراً.

(ومنها) أن لا يغفل عمن حضرته الوفاة من إخوانه وليسهر عنده إلى الصباح ليودّعه على وفاء الحقوق التي له عليه.

(ومنها) أن لا ينسى إخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة والمسامحة كلما قام من الليل وفي سجوده ليقول الملك ولك مثل ذلك.

(ومنها) أن لا يذكر الفقير أخاه قط إلا بخير لا سيما أيام غيظه عليه ولا يتوقف على مواطأة قلبه للسانه.

(ومنها) أن يقدم خدمة إخوانه وقضاء الحوائج في مهماتهم على جميع نوافله.

(ومنها) مبادرة الفقير لتنظيف المستراحات من القذر والأذى لا سيما إن أمره الشيخ بذلك.

(ومنها) أن يتّخذ عنده الموسى والسكين والمقص والإبرة والمخرز ونحو ذلك ليرفع مؤنته عن إخوانه لئلا يحتاج إلى أحد منهم فيمنعه فيقع في عرضه.

(ومنها) أنه إذا وقع في سوء أدب مع أحد من إخوانه أو غيرهم أو في حق شيخه والعياذ بالله تعالى أن يكون استغفاره بكشف الرأس والوقوف في صف النعال واضعاً يده اليمنى على اليسرى نادماً على ما وقع منه في حق أخيه أو شيخه فإن لم يقبل استغفاره فالأدب أن لا يقعد بل يبقى قائماً إلى أن يرحموه ويقول أنا ظالم.

Marfat.com

(ومنها) أن يحث إخوانه كلهم على الأدب.

(ومنها) أن لا يأكل فرادى قط إلا لعذر هذا إجمال من تفصيل والموفق يكفيه القليل والممقوت والعياذ بالله تعالى لا يفيده التطويل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل اهـ.

(ومنها) التلطف بالنصيحة لأخيه إذا رأى منه مخالفة قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

(ومنها) أن لا يهجر أخاه إذا رآه في معصية بل ينصحه ويحرص على إنقاذه من تلك المعصية أكثر من قبل وقوعه لأنه في ذلك الوقت أحوج إلى من ينقذه من تلك المعصية.

فقد جاء في الأثر عن سيدنا الإمام عمر بن الخطاب رضي عنه رب الأرباب أنه كان له أخ آخاه في الله تعالى فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخي، قال: ذاك أخو الشيطان، قال: مه. قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذني فكتب له عند الخروج إليه. بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: الآيات ١ ـ ٣] الآية. ثم عاتبه تحت ذلك وعزّره، فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر وتاب ورجع.

(وروي) في الإسرائيليات أن أخوين عابدين في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحماً بدرهم فرأى بغياً عند اللحام فرمقها فعشقها فوافعها ثم أقام عندها ثلاثاً، واستحى أن يرجع إلى أخيه من جنايته قال: فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه لفرط الاستحياء منه، وقال: قم يا أخي قد غفرت ذلك وقصتك، وما كنت قط أحب إليّ ولا أعز عندي من ساعتك هذه. فلما لم يسقطه من عينه قام وانصرف معه.

فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي الدرداء وغيره فإن [illegible] عما كان عليه فابغضه من حيث أحببته.

(وأما) أبو الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه إذا تغير أخوك وحاله عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى.

Marfat.com

(وقال) إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً.

(وقال) أيضاً لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل مرة ثم يتركها.

(فأقول) أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والتعطف والاستمالة المفضي إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه من الصحبة أصرّ واستمر وأما كونه أفقه فمن حيث أن الأخوّة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء أن لا يهمله أيام فقره وحاجته وفقر الدين أشد من فقر الدنيا وقد أصابته جائحة وألمّت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتلطّف به ليعان على الخلاص عن الواقعة التي ألمّت به والأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب.

(وحكي) أن أخوين ابتلي أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال إني قد اعتللت فإن شئت أن لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبداً ثم عقد أُخوة بينه وبين الله أن لا يشرب ولا يأكل حتى يعافي الله أخاه من هواه فطوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك، فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالاً وضراً.

(وحكي) عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف به في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه هذا كله في زلة في دينه أما زلّته في حقك بما يوجب إيحاشك منه فلا خلاف أن الأولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة.

(فقد) قيل ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً فإن لم يقبله قلبك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المتعنّت لا أخوك أفاده العارف الشعراني في كتاب حقوق الإسلام.

أقول قد صرنا في زمان إذا كان الفعل منا يحتمل سبعين وجهاً صحيحاً ويحتمل وجهاً واحداً فاسداً ولو بعيداً يحمله أصحابنا على الوجه الفاسد ويحققونه فيه ويشنّون الغارة على إخوانهم ويثلبون أعراضهم ويغنمون الفرصة في رفع نفوسهم وتحقير إخوانهم ويتركون الوجوه السبعين. ومع ذلك كله يدّعونه طاعة. وأنه لتحذير المسلمين وليس كما يزعمون بل هو من تلبيس الشيطان وفساد الزمان إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم

Marfat.com

اقبضنا إليك غير مفتونين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(قال) ﷺ إن الله تعالى خلق ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك الصالحين.

(قال) النبي ﷺ ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة.

وقال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات.

(وقال) الفضيل الفتوّة الصفح عن زلّات الإخوان وكذلك قال عليه الصلاة والسلام استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره وفي رسالتنا كشف اللثام زيادة على ذلك فاطلبه.

(باب في بيان المشيخة وآدابها)

(اعلم) وفقنا الله وإياك لمرضاته أن الشيوخ عند المحققين ثلاثة، شيخ الخرقة وشيخ الذكر وشيخ الصحبة. والشيخ الحقيقي عندهم هو شيخ الصحبة لأنه الممدّ للمريد بحاله دون واسطة شيء آخر. وأما شيخ الخرقة فأوّلاً يسري حاله في الخرقة ثم يسري في المريد، فخرقته التي أمدّت المريد، وكذلك شيخ الذكر ذكره الذي أمد المريد لا هو، فهما شيخان مجازاً والأوّل شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد.

قال الإمام الربّاني قدس سره وفي هذه الطريقة المشيخة والإرادة بتعليم الطريقة وتعلمها لا بالقلنسوة والشجرة كما صار ذلك رسماً في أكثر طرق المشايخ حتى أن المتأخرين منهم حصروا المشيخة والإرادة في القلنسوة والشجرة، ومن هنا لا يجوّزون تعدد المشايخ. ويسمون معلم الطريقة مرشداً ولا يسمونه شيخاً ولا يراعون أدب المشيخة في حقه، وهذا من غاية الجهالة من عدم وصولهم. وما علموا أن نفس المشايخ قالوا إن شيخ التعليم شيخ وشيخ الصحبة شيخ وجوّزوا التعدد بل في حياة الشيخ الأوّل إذا رأى الطالب رشده في موضع آخر يجوز له من غير إنكار الشيخ الأول أن يذهب إليه ويأخذ عليه ويتخذه شيخاً ثانياً.

(نعم) إذا أخذ من شيخ خرقة الإرادة لا يجوز له أن يأخذ من غيره خرقة الإرادة وإن أخذ يأخذ للتبرّك فلا يلزم من هذا أن لا يتخذ له شيخاً آخر، بل يجوز له أن يأخذ خرقة الإرادة من واحد، ويأخذ الطريقة من واحد آخر ويصحب مع ثالث، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة من واحد فيا لها من نعمة فيجوز استفادة التعليم والصحبة مع مشايخ متعددة وينبغي أن يعلم أن الشيخ هو الذي يدل المريد على الحق تعالى، وأكثر ما يلاحظ هذا المعنى وأوضح في تعليم الطريقة وشيخ التعليم أستاذ الشريعة وذلك

Marfat.com

الطريقة بخلاف شيخ الخرقة فينبغي أن يكون مراعاة آداب شيخ التعليم أكثر وهو باسم المشيخة أحق اهـ.

(وآداب المشيخة كثيرة) ولكن نذكر منها جملة صالحة إن شاء الله تعالى.

(فمنها) أنه ينبغي للشيخ أوّلاً تخليص النية وتفقد السبب[1] بحسب الأوقات والأزمنة وعدم محبة الاستتباع والتفوّق على الخلق لأن الإنسان مجبول عليه والجبلة لا تزول، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، وإذا سمعتم برجل تغير خلقه فلا تصدقوا به فإنه يصير إلى ما جُبل عليه، لكن يصير مغلوباً ويكون مطيعاً وتبرأ النفس من غواشي الطبيعة وثوائر الشهوة ومع هذا يكون متّهماً لنفسه عسى أن يكون لغاية الدقة مستوراً ولا يطلع على مرادها فينبغي للشيخ إذا جاء طالب بكمال الصدق يطلب الطريقة والهداية والإرشاد فلا يستعجل بتلقينه ويصرفه حتى يتبين صدقه في هذا الأمر بالتعريف الإلهي ثم ينظر إلى استعداده فإن كان استعداده يوافق طريق المقربين فيعلمه طريق المقربين ويسمون هذا الطريق طريق الشطار وبناؤه على الموت الإرادي الاختياري كما قيل: موتوا قبل أن تموتوا، وهو الخروج من الإرادة الطبيعية التي تعلق على اختيار الإنسان كما في الموت الاضطراري يخرج الإنسان من جميع الإرادات بلا اختيار وإن رأى استعداده إلى طريق الأبرار فيعلمه ما يكون في طريق الأبرار ويرغبه ويرهبه بذكر الجنة والنار حتى يميل إلى العبادة ويختار الرياضة الشاقة فيأمره بالصلوات الزوائد وصيام النوافل مما يكون مختاراً لعلماء الصوفية المحققين ويأمره بحفظ الأوقات وكسب التوكّل والصبر والقناعة فإن لم يعط الله أحداً معرفة الاستعداد وما يكون مبنى تربية الإرشاد فتعليم الذكر والمبايعة والمصافحة والنصيحة عليه حرام.

(وقال) الخواجة عبيد الله أحرار قدس سره من لم يعرف بأوّل النظر استعداد المريد إلى أين نهايته وبأي مقام يصل وبأي حال وذوق يتصل، وأين مآله فلا يجوز عليه الشيخوخة.

(ومنها) ينبغي للشيخ التنزّه عن مال المريد ولا يطمع في شيء من ماله بل لا يلتفت إليه ولا إلى خدمته ولا يتعلق بشيء لأن مقام الإرشاد فوق جميع المقامات فلا يذل له بعوض حقير وإن جاءه صادق وأراد أن يخرج من جميع ماله وأسبابه فلا يأذن له إلا أن يكون له قدرة أن يعوّضه عنه بحال أو مقام حتى يحصل له التسلّي بل بسكره

---

(١) قوله: (وتفقد السبب) أي الذي أوصله إلى درجة الكمال من خلوة وذكر وفكر وغيرها اهـ.

Marfat.com

ولذته ينسى كل ما مضى.

وقيل: جاء مريد عند الجنيد قدس سره ما وأراد أن يخرج من ماله كله فمنعه الجنيد فلما حصل له الحال والقوّة فقال الجنيد قدّس سرّه ما كنت آمناً منك يا فلان الآن أن تتصدق بجميع مالك أو تحبس جميعه فلا بأس عليك، وإن كان الصادق همّته عالية فيجوز خروجه من جميع المال مرة واحدة نظراً إلى حال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعمر الفاروق رضي الله تعالى عنه.

(ومنها) الإيثار ينبغي للشيخ الإيثار بالحظوظ وأن يكون قطع التعلق الظاهري غالباً عليه فمشاهدته يزيد الصدق والاعتقاد للمريدين وتحصل الرغبة للمريد إلى قطع التعلقات وإيثار الحظوظ والتجريد والتفريد فعقدة التهمة تنحل من باطن المريد فلا يسد باب فيضه وإن جاء الفتوح من الغيب فينفق ما يكون من الاحتياج.

(ومنها) ينبغي للشيخ أن لا يأمر أحداً بشيء إلا أن يكون هو نفسه متحققاً به من الأوامر والنواهي والمستحبات والمكروهات والأحوال والأذواق وإلا فلا يؤثر كلامه في النفوس كما نقل أنه جاءت امرأة إلى شيخ مكمل مع ولدها فقالت يا أيها الشيخ ولدي يحب الحلوى وأنا امرأة ما عندي شيء حتى أطعمه الحلوى ادع له حتى يترك الحلوى، فقال الشيخ: اصبري إلى ثلاثة أيام فبعدها جاءت مع الولد فقال الشيخ: يا ولدي ترك الحلوى فإنه حصر للمعدة. في ذلك الوقت صرف رغبته عن الحلوى، فسألته عن ذلك كان سبب التوقف إلى ثلاثة أيام فقال الشيخ أنا كنت مبتلى بهذا فتركت وتبت من أكل الحلوى فأثّر قولي في باطنه.

(وقال) خواجة حافظ الشيرازي قدس سره:

ألا يا أيها الساقي أدر كأساً وناولها

وفي رسالة القشيري سئل الحلاّج عن الفقر فقال: قف فدخل بيته وخرج بعد بلا توقف فقال الفقر كذا وكذا، فسأله أحد يا أيها الشيخ لم لم تقف ذلك الوقت فإني كنت مالكاً لدرهم فلا يجوز لي أن أتكلم في الفقر فدخلت لبيت وأخرجت فحدثت فصار مباحاً عليّ الكلام على الفقر.

(ومنها) ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريق فإذا رأى الشيخ في بعض المريدين ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيسامحه ولا يرده عن الطريق ولا يثبت رقم الشقاوة على جبينه لأنه من جلس معه بالصدق وإن ضعف لا يكون شقياً إن لم يتصل بمقام الكمل فهم قوم لا يشقى جليسهم. فينبغي أن يأمره بما يحصله فيمنعه من الرياضة الشاقة حتى لا ينفر من صحبة السعداء فيحاسبه بالرفق والتؤدة

Marfat.com

فبصحبتهم وكثرة المخالطة معهم يتأثر وتقوى همّته وبحكم المناسبة والمجانسة تحصل له المحبة، وداعي تحمل المشقة والرياضة والمجاهدة فيرتقي من حضيض الرخصة إلى ذروة العزيمة ويحمل جميع المشاق كما قيل: جاء رجل من أبناء الملوك إلى شيخ وخرج من جميع المال والأسباب كلها مرة واحدة فتفرس الشيخ بفراسته ضعف حاله فبحسب الأوقات كان يحضر له الطعام اللذيذ ويقول الشيخ تربيته كانت بالنعمة وتأنس بها فلا بد من الرفق به، ولا ينبغي المنع من حظوظات النفس من الحلال حتى تحصل له الرغبة إلى المجاهدات ومخالفات النفس.

(ومنها) ينبغي للشيخ أن يجلس مع المريدين بطريق الحلقة ويبين ويذكر ما كان في طريقه خفياً كان أو جهرياً بموجب سبّحوه بكرة وأصيلاً، والشيخ يكون متوجهاً إلى قلوبهم حتى يتطهروا من ألواث الخطرات وما يكون مانعاً من طريقهم ومجاري فيضهم فإذا كنست بواطن المريدين من خواطر الأغيار وصفي موضع السلطان من الحادثات فينزل السلطان أي وقت شاء، لأن العشق ليس بمتوطن بل وارد، وينبغي للشيخ إذا لقّن الذكر أن يتوجه إلى زوال حجبه، أيّ حجب كانت حجباً ظلمانية أو نورانية، فإذا زالت الحجب الأغيارية فيتجلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ولا ينبغي للشيخ أن يتوجّه لورود الحال والوارد فعسى أن لا يحمل استعداده ذلك الحال ويزول عقله فبعد توجهه إلى زوال الحجب يجلس في مقابلته حتى ينطبع الحال من باطن الشيخ على حسب استعداده وقبول قابليته ثم لا يتوجه لتصرفه مرة أخرى، إلا أن يحصل له عقدة أو يخطر في خاطره شيء، ولا يزول فيتوجه لسلب ذلك الخاطر وإن كان استعداده قوياً وسلك السلوك سريعاً فيمنعه من سلوكه يعني يضع على استعداده ظلمة حتى يسكن من الترقي ويتأخر سلوكه إلى أربعين يوماً وإن تأخر أكثر منها فأحسن وأولى.

(ومنها) ينبغي للشيخ إذا جلس في المجالس والمحافل أن لا يبدأ بالكلام قبل السؤال من المعارف والحقائق والأحوال والمقامات ومن التفسير والحديث والفقه، لأنه ذكر في قوت القلوب لا ينبغي للواعظ وغيره أن يتحدّث قبل السؤال وإن ابتدأ الكلام بلا سؤال فإن لم يلتفت أهل المجلس إلى كلامه، فأوّلاً تنزل اللعنة على القائل ثم على غيره وإن تحدث بعد السؤال ولم يلتفتوا إلى سماع كلامه فتنزل اللعنة على أهل المجلس.

(ونقل) أن الشيخ شهاب الدين السهروردي قدس سره ما ابتدأ الكلام قبل السؤال قط، وينبغي للشيخ أن يجلس مع الأدب على الركبتين، بلا ضرورة وعادة أكثر المشايخ أنهم يجلسون على هيئة التربّع لأن الفقير يحتاج إلى الشيخ كل ذرّة، فلا بد أن يجلس

Marfat.com

ويتكلم مع الأدب.

(ومنها) تصفية الكلام من شوائب الهوى والهزل وما لا يعني، بل من كلام الفضول أيضاً، حتى يؤثر كلامه في باطن المريد وفي وقت الكلام يطلب الشيخ من الله تعالى أن يعطي المريد فهماً وإدراكاً لكلامه وما يكون مراده ولا يتكلم إلا أن يكون في ضمنه فوائد كثيرة حتى يحصل له النطق مع الحق تعالى، وإن غضب وشتم المريد فالأولى أن يقصد من ألفاظ الشتم معنى يكون فيه مراد المريد كما كان شيخي خواجة محمد الباقي قدس سره إذا غضب على المريد يقول يخرب الله بيتك فقلت يا خواجة ما معنى هذه الألفاظ فقال أريد أن يخرب الله أنانيته وهو مسكنه وذكر في نفحات الإنس، قال علي بن عبد الحميد ذهبت لزيارة السري السقطي قدس سره ووقفت في بابه فسمعته يقول: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك عني فببركة ادعائه أعطاني الله تعالى التوفيق حتى حججت أربعين حجة من حلب.

(وكان) رسول الله ﷺ يقول في حال الغضب، تربت يداك، يعني عن طلب الدنيا والآخرة تضمحل في التراب كما في الآية الكريمة ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: الآية ١٢] أي اخلع حبك من الدنيا والآخرة.

(ومنها) ينبغي للشيخ أن يعترض على كلام المريد ولا يسامحه حتى يحصل له الانكسار واليأس من كل جانب ومن كل حال، وإن كان وقع من المريد معصية فينصح له بالإشارة والكناية حتى لا تزول هيبة الشيخ وعظمته من قلبه كما وقعت المعصية من مريد شيخنا الشيخ الله بخش[1]، فلما سمعها الشيخ خاطبني ولم يخاطبه ففهم من فهم.

(وقال) بعض المشايخ إذا ارتكب المريد المعصية يعاتبه صريحاً كما وقع شيء من مريد الشيخ علاء الدين العطّار قدس سره، فقال الشيخ اذكر حالك كل ما جرى عليك في هذه الأيام، فذكر كله إلا المعصية التي وقعت منه، فقال الشيخ اذكر شيئاً حتى [illegible] أنا أقوله، أما مثل هذا العتاب فلا يجوز إلا أن يكون المريد صادقاً في [illegible] يجوز للضعفاء.

(ومنها) ينبغي للشيخ أن لا يترك الأعمال الظواهر بغلبة الأحوال والمقامات بل يعمر الأوقات بصوالح الأعمال ولا يتخيل ما لي حاجة بهذه الأعمال. كان شيخي الشيخ الله بخش بعد صلاة الصبح والذكر بالحلقة يختم كل يوم ختمة و[illegible]

---

(١) قوله: (الله بخش) هو علم مركب معناه بالفارسية عبد الكريم، كذا بهامش الأصل [illegible]

Marfat.com

القرآن فلما عمّر وحصل له ضعف البدن كان يختم كل أسبوع ختمة واحدة، فينبغي أن لا يكون فارغاً من أعمال الظواهر والبواطن مما يكون على طريقه لأن من رؤية تضييع الأوقات في الظاهر يحصل التهاون في باطن المريد لكن طرق المشايخ مختلفة وكل منهم بمقتضى استعداده اختار طريقاً وأمروا المنتسبين إليهم ومقصود الكل واحد.

عبارتنا شتى وحسنك واحد[1]
. . . . . .

فالاختلاف في الصورة والطريقة كالطريقة النقشبندية قدس الله أسرارهم في الاعتقاد اعتقاد أهل السنة والجماعة ودوام العبودية والحضور لأنه بلا عبادة وبلا اتّباع رسول الله ﷺ لا يتصوّر دوام العبودية والعبودية الحضور بلا مزاحمة الغير وبلا تشتت همة.

(ومنها) ينبغي للشيخ أن يسامح بحقوق نفسه فلا يكون متوقعاً لتعظيمه وتوقيره وخدماته لكن ينبغي للمريد أن يفدي الشيخ بماله وبدنه وروحه ولا يخطر في خاطره أني فعلت شيئاً بل ينظر لتقصيره في خدمته ولا يناسب التوقع من الشيخ بل الشيخ يخدمه ولا ينبغي أن يكون غافلاً عن ظاهره وباطنه في جميع الأوقات في حال الصحة والمرض والسفر والحضر والشدّة والراحة ويرغّبه ويرهّبه، ويكون مطّلعاً على أسرار المريد ويسمع المكاشفات والواقعات كلها والمقامات، وما يفهم منها لا يظهره له إلا أحياناً لترغيبه فيقول هذا من نعم الله تعالى فاشكره لئن شكرتم لأزيدنكم، فإذا ترقى من ذلك الحال يجوز أن يقول ما كان ذلك الحال الأوّل أحسن من هذا يفعل هكذا حتى يحصل له الفناء، لأن الوقوف في الأحوال يكون سبب البعد والحجاب والغرور والسرور سبب العقدة.

فينبغي في هذا الطريق انكسار القلب والعجز كما قال الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس سره في خزانتي شيء ليس في خزانة الله تعالى، قالوا: أي شيء هذا، قال لي الانكسار والعجز والله تعالى قادر وغني منزّه ومقدّس ولا ينبغي للشيخ وغيره أن يتوجه إلى الحال والمقام ولا يريد الإذابة فقط، كما سئل خواجة نقشبند قدس سره عن الأحوال والمقامات والمكاشفات، قال أنا نفيت بكلمة لا كلها وما بقي لي تعلق بحال أو مقام أو كشف لا أنظر إلاّ إلى ذاته تعالى، فمقصودي ومطلوبي هو الله لا غير وينبغي للطالب أن ينفي كل شيء مما يظهر في المكاشفات ولا يلتفت إليه ولا يكون مقصوده في الدنيا والآخرة إلا هو الله الواحد القهّار المتّصف بالذات الأحدية.

---

(١) قوله: (عبارتنا) الخ. صدر بيت وتمامه:

وكل إلى ذاك الجمال يشير

Marfat.com

(ومنها) إذا رأى الشيخ مريداً بكثرة المجالسة والمصاحبة، تزول من قلبه عظمة الشيخ وهيبته فيأمره أن يجلس بخلوة لا يكون بعيداً جداً ولا قريباً، بل يكون بين بين، ويأمره أن لا يجيء ولا يحضر في المجالس إلا غباً زر غباً تزدد حباً وكان طريق المشايخ هكذا لا يجلسون معهم ولا يصاحبونهم ولا يتكلمون معهم بكلام كثير حتى يزداد حبه وهيبته ومن كثرة المصاحبة يقع سوء الأدب وخاصيته أن يقع التنزّل في حاله إن كان في السلوك وإن كان من أرباب الفناء تزول بركته كما قال الحافظ حبيب الله، دخلت يوماً خلوة خواجة محمد الباقي قدس سره بلا رخصة فأردت أن أقول حالي من الواقعات، قال الخواجة رحمه الله تعالى: يا حافظ لا عندي حال ولا مقام فخرجت فإذا ما بقي فيّ شيء من الأحوال ولا الذكر بل زال ذكري من قلبي فلا ينبغي للمريد أن يعتمد على لطفه وكرمه بل يكون خائفاً كأنه أجنبي يخدمه بالأدب.

أما مثل هذا الشيخ في زماننا فهو أعزّ من الكبريت الأحمر وأغرب من عنقاء مغرب وقيل صحبة الشيخ أحسن من الذكر إن كان مع رعاية الأدب والحقوق، وإلا يكن ضرره أكثر من فائدته أفاده تاج الدين العثماني قدس سره في آداب التربية والسلوك.

(ومنها) أنه يجب على الشيخ إذا علم أن حرمته سقطت من قلب مريد أن يطرده من منزله بسياسة فإنه من أكبر الأعداء وكذلك يجب على الشيخ أن يشغل المريد بظواهر الشريعة وطريق العبادة المحبوبة ويغلق عليه باب الكلام في التوحيد المضلق، فإن من فتح هذا الباب على مريديه عطّلهم وربما تزندقوا فخسروا الدارين وينبغي للشيخ أن لا يغفل عن إرشاد المريد إلى ما فيه صلاحه فيأمره أن يغلق الباب بينه وبين بقية من عنده من أولاده، فإنه ما على المريد أضر من صحبة الضد.

(قال الرازي) رحمه الله: واعلم أن الشيخ المرشد لم يزل مستوراً بين أوليائه لله تعالى فضلاً عن غيرهم من العوام، فلا يعرفه إلا أرباب البواطن والمطلعون على الظواهر وقد ورد أن الله تعالى يقول إن أولياني تحت قبابي لا يعرفهم غيري وسبب اختفاء الكمل من الواصلين إلى الله تعالى قلة صدق أكثر المنتسبين للطريق غير خالص، بل هو مشوب بالحظوظ النفسانية، ولأجل ذلك وكثرة دعوى الناس للمشيخة بغير إذن من أشياخهم ومن غير إذن صحيح منه عليه أمرهم فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وكذب ظنوننا الصلاح بأنفسنا.

(وقد قال) رجل لمالك بن دينار رأيتك البارحة وأنت تتبختر في المشي، فقال له أما وجد إبليس أحد يسخر به غيري وغيرك والله إننا قد استحقينا الخسف بنا في هذا

الزمان السوء. انتهى.

(قال الرازي) رحمه الله تعالى ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مدّعي المشيخة في هذا العصر البتّة، إلا بظهور أمارات الصدق بإلهام من الله تعالى للطالب أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ، وكذلك لا ينبغي للشيخ أن يصحب أولاد المشايخ المتمشيخين بالآباء والجدود وليس الزي من غير علم ولا عمل فإن التعب مع هؤلاء ضائع إلا أن ينسلخوا من جميع ما هم فيه وقليل ما هم لا سيما أولاد شيخ الإنسان، فإن نفوسهم لا تكاد تنكبس لأن يأخذوا الأدب من مريد والديهم أبداً ولو بلغ في الولاية أقصى الغايات فيرون نفوسهم عليه ولا يكادون ينزلون عن هذا المشهد أبداً، فإياك والتعب في نصحهم على وجه أنهم يتلمّذون لك بل انصحهم على لسان والدهم بطريق يفيد كأن تقول لهم كان والدكم رحمه الله ينصحني ويقول لي كذا وكذا، يعدد صفاتهم الخبيثة وينسبها له فلعلهم يتنبهون لأنفسهم.

(قال الرازي) رحمه الله تعالى ولا يخفى أن من تصدّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه وعليه إثم قاطع الطريق فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين فضلاً عن المشايخ العارفين.

قال: وإياك أن تصحب أحداً من المدّعين للطريق بلبس الزي أو تدعهم يأخذون عليك العهد فإنهم آذى من الثعبان وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زي إنسان.

قال: ومن المدّعين للطريق جماعة وسموا أنفسهم بالمشايخ الصادقين كما يقال الملامية والقلندرية والحيدرية والحريرية وكذلك من ينسب نفسه إلى الأحمدية والدسوقية والرفاعية والمسلمية والبسطامية وأشباههم فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من انتسبوا إليه. فإن المنقول عن أشياخ هؤلاء التقيد بآداب الكتاب والسنة. قال والضابط في تمييز الصادقين منهم من غيرهم إقامتهم الأعمال الشرعية على قانون المتابعة والتأدّب بآداب أهل الطريق على وفق سير المشايخ.

قال: وكل من ادّعى أنه خلص مع الله ضميره ونال رتبة في الحقيقة وأنه تنزّه عن التقيّد بظاهر الشريعة وسقط عنه التكليف والارتسام بمراسم الشريعة وجعل التقيد بالشريعة للعوام المنحصرين في مضيق الافتداء فاعلموا أنه مفتون في دينه وهو من أهل الإلحاد والزندقة والفلسفة والإباحة فإياكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقدوه، فإن ظلمة أنفاسه سم قاتل لقلوب المريدين. أوَ لا يعلم هذا الجاهل المغرور أن الشريعة هي قشر لب الحقيقة فلا يربو الحب ولا ينمو ولا ينعقد إلا بالاستمداد من ذلك القشر وقد

Marfat.com

أجمعوا على أن كل حقيقة ردّتها الشريعة فهي زندقة وأن الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة العبودية، وكل من صار من أهل الحقيقة وجب عليه التقيد بحق العبودية وحقيقتها، وصار مطالباً بآداب رائدة ليست على غيره وكل من خلع من عنقه ربقة التكليف خامر باطنه الزيغ والتحريف.

(وقد كان) الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول لا تلتفتوا قط لشخص ولو تربّع في الهواء إلا إن رأيتموه تقيد بالشريعة أمراً ونهياً، ومن ادّعى أن أحداً من أهل الله يصل إلى حد يسقط عنه الخطاب الشرعي مع عقله فهو كاذب ومن يسرق ويزني أحسن حالاً من هذا.

قالوا: وللشيخ ثلاثة مجالس، مجلس للعامة ومجلس لأصحابه ومجلس خاص لكل مريد على انفراده. فأما مجلس العامة فيجب عليه أن لا يترك أحداً من المريدين يحضر ذلك المجلس ومتى تركهم فقد أساء في حقهم وشرطه في مجلس العامة أن لا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات وما كان عليه رجال الله من المحافظة على آداب الشريعة واحترامهم إياها. وشرطه في مجلس الخاصة أن لا يخرج عن نتائج الأذكار والخلوات والرياضات وإيضاح السبل إلى سلوك طريق الله المشار إليها بقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩] وشرطه في مجلس الانفراد مع الواحد من أصحابه زجره وتقريعه وتوبيخه، وأن ذلك الأمر الذي أتى به المريد حال نقص وضيع وينبهه فيه على رداءة همته ونقصها ولا يفتنه بحاله ويجب على الشيخ أن يكون له وقت مع ربه عز وجل ولا بد، ولا يتكل على ما حصل له من قوة الحضور، فقد كان رسول الله ﷺ يقول لي وقت لا يسعني فيه غير ربي، أي غير الاشتغال به وذلك أن النفس إنما حصل لها القوّة باستمرار العادة في الحضور وترك ما سوى الله تعالى في الظاهر والباطن، وكذلك أيضاً ترجع بحكم عادة النفس ولا سيما والطبع الذي جبلت عليه يساعدها، فمتى لم يتفقد الشيخ حاله في كل يوم بالأمر الذي حصل له به هذا التمكين كان مخدوعاً بحيث أن تسرقه العادة ويجد الطبع ويزيد الخلوة فيفقد الإنس ويجد الوحشة، وكذلك يفقد حاله وادخاره في كل حال اكتسبته النفس مما لم تفطر عليه فإنه سريع [illegible]

(قال) الشيخ محيي الدين قدس سره وقد رأيت شيخ شيوخ سفطه [illegible] أحوالهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: الآيات ١٩ ـ ٢١]، فقد جمع في هذه الآية كل رذيلة في النفس وأبان فيها أن الفضائل مكتسبة لها ليست هي في جبلتها فالمحفظة واجب والسلام ومن شرطه إذا وصف له المريد رؤيا رآها أو مكاشفة [illegible]

Marfat.com

مشاهدة شاهد فيها أمر إمّا أن لا يتكلم له على ذلك البتة ولكن يعطيه من الأعمال ما يدفع به ما في ذلك من مضرة وحجاب ويرقيه إلى ما هو أعلى وأشرف، ومتى تكلم الشيخ على ما يأتي به المريد وأن ذلك أمر عظيم للمريد فقد أساء في حقه لأنه يرى نفسه بذلك ويسقط عنده من حرمة الشيخ بقدر ما رأى نفسه وتقع الإباية منه لسماع كلامه فيما يدل عليه وإذا وقعت الإباية عدم الاستعمال وإذا عدم المريد الاستعمال وقع الحجاب والطرد فخرج عن حكم الطريق وأخلد إلى أرض الشهوات فمثله كمثل الكلب نسأل الله العافية لنا وللمسلمين.

ويجب على الشيخ أن يمنع المريد من التكلم مع غير إخوانه ومن التكلم مع إخوانه بما طرأ عليه من كرامة وارد. ومتى سامحه الشيخ بذلك فقد أساء في حقه ومن شرطه أنلا يجالس تلامذته إلا مرّة واحدة في اليوم والليلة للمناقشة وبقية الأوراد والاشتغال كل واحد وحده. الشيخ فيما أمره ربه والمريد فيما أمره شيخه.

(قال الشيخ) محيي الدين قدس سره ومن شرط الشيخ أن يكون له زاوية تخصه لا يمكن أحداً من أولاده يدخلها إلا من كان خصيصاً عنده وزاوية تخصه ينفرد بها وحده وزاوية لاجتماعه بأصحابه، ومن شرطه أن يجعل لكل مريد زاوية تخصه ينفرد بها وحده لا يدخل أحد معه فيها غيره أبداً.

قال: وينبغي للشيخ إذا قعد المريد في زاويته أي خلوته أن يدخلها الشيخ قبله ويصلي فيها ركعتين وينظر في قوة روحانية ذلك المريد ومزاجه وما يعطيه حاله فيجمع الشيخ في تينك الركعتين جمعية تليق بحال ذلك المريد، ثم بعد ذلك يقعد المريد فيها وهذا الأمر مما يقرب الفتح على ذلك المريد ويجعل له الخير.

قال: ولا يترك الشيخ المريدين يجتمعون في مجلس دونه أصلاً، فلا يجتمعون بمجلس إلا بحضرته ومتى تركهم يجتمعون دونه فقد أساء في حقهم ويجب على الشيخ أن لا يمكن مريداً يطلع له على حركة من حركاته أصلاً ولا يعرف له سراً ولا يقف له على نوم ولا طعام ولا شراب ولا غير ذلك وليظهر لهم في أكمل هيئة فإن المريد إذا وقف على شيء من ذلك ربما نقصت عنده حرمة شيخه لضعفه عن معرفة أحوال الكمل ومشاهدهم وله هجر المريد إذا رآه يتجسس على الاطلاع على ذلك مصلحة للمريد، ويجب على الشيخ أن لا يسامح المريد قط في كثرة الأكل، فإن تلك المسامحة تتلف كل شيء يفعله الشيخ فيربي الشيخ يقين المريد أوّلاً قبل كل شيء فإن الأكثرين عبيد بطونهم.

(قال الشيخ) محيي الدين قدس سره ومن المحال أن يتربى للمريد يقين والشيخ ينفق عليه ويطعمه من سماط زاويته إنما يربيه بأن يحرمه ما عنده من الطعام ويقعده في

موضع لا يعرفه فيه أحد لقلة من يدخله ويتركه على التجريد ويقول له اشتغل بالله على الصفا وليمده الشيخ بالهمة فإن فقدها فبالسياسة ولا ينبغي تفسيرها فإنه يضر بالمريد فإنه لا بد إذا صدق في هذا الجلوس أن يفتح الله تعالى عليه بشيء إما بزيادة اليقين وإما بشيء يأكله حتى يفجأه اليقين، ويجب على الشيخ أن لا يترك أصحابه يجالسون أصحاب شيخ آخر مطلقاً، فإن المضرّة بذلك سريعة للمريدين إلا إن كان المريدون ثابتين في محبة الشيخ لا يخاف عليهم التزلزل وليحذر الشيخ دائماً من المريدين فإن أكثرهم كاذبون يفارقون شيخهم ولو على طول ويرجعون إلى عشرة أبناء الدنيا، ثم يصيرون يقعون في شيخهم وإخوانه ويقولون لو وجدنا عندهم خيراً ما فارقناهم ويزكّون نفوسهم ويزينون لأبناء الدنيا ما هم عليه وما ذكرنا إلا ما رأينا.

(قال) الشيخ محيي الدين قدس سره ويجب على الشيخ إذا رأى شيخاً آخر هو فوقه في معرفة الطريق أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذته، فإنه صلاح في حقه وحق أصحابه، ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف ولا ناصح نفسه ولا صاحب همة، بل هو ساقط الهمة ضعيفها، وربما كان ترك ذلك لحب الرياسة والتقدم وهذا في طريق الله تعالى نقص. ألا ترى نبينا ﷺ كيف قال لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني وإلياس وعيسى عليهما السلام. الآن تحت حكم شريعة محمد ﷺ وهكذا ينبغي أن يكون شيوخ هذه الطائفة رضي الله عنهم أجمعين.

لكن لا يخفى أن هذا الكلام في حق من ظهر له مقام من ذكرناهم من الأشياخ لا فيمن لم يظهر له مقامهم، فإن مثل هذا لا يكلف الانقياد والتلمذة له، فإن العبرة بما عنده هو لا بما عند غيره من الناس، والناقد بصير وتقدم عن سيدي يوسف العجمي أنه كان عندهم في بلاد العجم شيخ فبرع له تلميذ وفاق شيخه فرجع شيخه وأخذ عنه، وترقى على يديه وصار يخدمه كآحاد المريدين، أفاده العارف الشعراني قدس سره في النفحات القدسية، ويجب على الشيخ أن يحترز عن التردد إلى الأمراء والحكام لئلا يقتدي به في ذلك بعض مريديه فيهلكوا، فيكون عليه إثمه وإثمهم من غير أن ينقص من سيئة فعليه وزرها. الحديث.

(قال) ﷺ إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان فضعه أحد في يده، خاض في جهنم بقدر خطاه، رواه الديلمي رحمه الله تعالى. وإذا كان هذا فيما يضعه المريد في الطريق الزهد في الحلال من الدنيا، فكيف بالمشتبه أو الحرام، لأنهما مما يزهد فيهما بعض العوام فضلاً عن المنتسبين إلى السادة الكرام، وفي هذا كفاية للموفق والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

Marfat.com

(كتاب الأذكار)

اعلم أن الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان كما قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه الأذكار، الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان والأفضل ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل. انتهى. ولكل منهما شواهد من الكتاب والسنة والذي اختاره ساداتنا النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية من الأذكار الذكر الخفي القلبي ولهم على ذلك دلائل من الكتاب والسنة. ويقول العلماء الأئمة فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٢٠٥] الآية. وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعرَاف: الآية ٥٥] الآية. ومن السنة ما ورد في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» رواه البخاري وغيره.

(وعن) عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبويها قالت: قال رسول الله ﷺ: يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفاً إذا كان يوم القيامة رجع الله الخلائق إلى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال الله تعالى: انظروا هل بقي لعبدي من شيء، فيقولون: ما تركنا شيئاً فما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تعالى: إن لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي، ومعنى قوله الذكر أي الخفي الذي لا تسمعه الحفظة وقوله على الذكر أي الذي تسمعه الحفظة. وما ورد في الجامع الصغير قال ﷺ خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي والأحاديث في فضل الذكر الخفي كثيرة.

(قال) القاضي عياض رحمه الله تعالى ذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان. وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلّها التفكّر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته وملكوته في أرضه وسمواته.

(وفي كتاب) بغية أولي النهي شرح غاية المنتهى من فقه الحنابلة، تأليف الشيخ الإمام والحبر الهمّام عبد الحي الصالحي الشهير بابن العماد الحنبلي رحمه الله، عند

Marfat.com

قول الماتن صلاة التطوّع أفضل تطوّع بدن لا قلب، وقوله لا قلب، إشارة إلى أن عمل القلب أفضل.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى الذكر بالقلب أفضل من القراءة بلا قلب وهو معنى كلام ابن الجوزي فإنه قال أصوب الأمور أن تنظر إلى ما يطهر القلب ويصفّيه للذكر والإنس فتلازمه. ونقل ههنا الفكر أفضل من الصلاة والصوم. انتهى.

وكان الشبلي رحمه الله تعالى ينشد في مجلسه:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
فلما أراني الوجد أنك حاضري شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبتك موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله ينشد لبعضهم:

ما إن ذكرتك الأهم يغلبني قلبي وسرّي وزوجي عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكار إياكا

هذا والذكر ريحانة القلوب، وبه يحصل الإنس بالمحبوب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٨] وتطمئن قلوبهم بذكر الله وبه تنتفي غفلة القلب عن علام الغيوب. ولما اختص القلب بهذه الخصائص الفائقة وتضاعف الذكر فيه بتلك المضاعفة السابقة، كان حقيقاً بالاعتناء بشأنه وإصلاحه بالتجرّد عن الأغيار، وصقله بكثرة الأذكار، لأنه محل نظر الله تعالى، ومنبع الإيمان ومعدن الأسرار، ومنبع الأنوار، وبصلاحه يصلح الجسد كله كما بيّنه لنا النبي المختار ﷺ كيف لا وعليه بصحة العبادات الاعتقادية والعملية الظاهرة، فلا يكون العبد مؤمناً إلا بعقد القلب على ما يجب الإيمان به، ولا تصح عبادة مقصودة إلا بنية فيه سواء كانت العبادة بدنية كالصوم والصلاة، أو مالية كالزكاة، أو مركبة منهما كالحج لتتميز العبادة عن العادة فصار القلب محفّاً لجميع العبادات.

(فصل)

وقد جاء في تخصيص القلب بالإيمان والخشية والإنابة [illegible] آيات كريمات. قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢] ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ٧] وقال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: الآية ٣٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [إلى قوله] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: الآية ٣] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩]

Marfat.com

قال الحرث رحمه الله تعالى: بلية العبد تعطيل القلب عن الله فحينئذ تحدث الغفلة بالقلب، وقال: قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

وقد كان السلف الصالح يجتهدون في قطع العلائق ورفع الشواغل والعوائق عن القلوب، ومتى تفرّغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبة خالقه.

(قالت رابعة العدوية) رحمها الله تعالى: شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله تعالى ولو تركوها لجالت في الملكوت ثم رجعت إليهم بظرائف الفوائد.

(وعن خالد) بن معدان رحمه الله تعالى قال ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله تعالى بالغيب، وإذا أراد الله به غير ذلك تركه على ما فيه ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمّد: الآية ٢٤].

وعن أحمد بن حضرويه أنه قال: القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمها على الجوارح.

(وقال) أبو تراب رحمه الله: ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب.

(وقال) سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى: حرام على قلب يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله تعالى.

(وقال) ذو النون المصري قدس سره: صلاح القلب ساعة أفضل من عبادة الثقلين. فإذا كان الملك لا يدخل بيتاً فيه صورة أو تمثال فكيف تدخل شواهد الحق قلباً فيه أوصاف غيره تعالى.

(وروي) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه باع جملاً له فقيل له لو أمسكته، فقال لقد كان موافقاً ولكنه أذهب شعبة من قلبي فكرهت أن أشغل قلبي بشيء.

(فصل)

في بيان ما يتعلق بالأخذ والشروع في سلوك الطريقة العلية قال في معراج السعادة قال: المحبوب الصمداني المجدد للألف الثاني رضي الله تعالى عنه الطالب إذا أراد أخذ الطريق من الشيخ فأوّل أمر يأمره الشيخ به الاستخارة اقتداء برسول الله ﷺ وامتثالاً لأمره ﷺ ويكررها إما ثلاث مرات أو سبع مرات، فإن لم يتذبذب في هذا الخطب الجسيم والمطلب الفخيم يشرع فيه مستعيناً بالله سبحانه وتعالى، وإن اكتفى الشيخ الكامل المكمل باطمئنان قلبه وإقباله على ذلك فهو يقوم مقام الاستخارة، وإن انضم إليها ذلك فهو نور على نور، وفي المبدأ والمعاد.

ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة، ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل للذنوب والمعاصي، فإن الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدة، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام.

قال العبد الضعيف الراجي رحم الله تعالى إفلاسه: إن للشيوخ الكرام قدست أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله ﷺ حيث ثبت أن بعض المبايعين أرادوا المبايعة له ﷺ على أربع صلوات أو على أقل من ذلك فبايعه على ذلك، وقال الصلاة لا تترك فكذلك الشيوخ يقنعون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتماداً منهم على أن النور الإلهي إذا تمكّن من قلبه يأبى أن يكون كل حركة وسكنة منه إلا بالله سبحانه وتعالى.

قال ثم يلقنه ذكراً مناسباً لحاله ويمده في ذلك بتوجهه وهمته ويبين له آداب الطريق وشرائطه ويرغبه في متابعة الكتاب والسنة ويقطع عنده الكلمة بأن الوصول إلى المطلوب لا يمكن إلا بهذه المتابعة وينبهه على أن الوقائع والكشوف المخالفة أدنى مخالفة للكتاب والسنة، لا يلتفت إليها أولو الأبصار ولا توزن بميزان الاعتبار.

(وقال) رضي الله تعالى عنه في بعض مكاتبته مجيباً لمن سأله أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن ربا ويظهرون أن هذا الأخذ عنهم ليس إلا بالحيلة الشرعية، هل يتأهلون هؤلاء لتعليم الطريقة لتفنوهم الذكر وعلموهم ورغبوهم في الاجتناب عن المحرم.

قال العبد الراجي رحم الله تعالى إفلاسه المعنى في هذا أيضاً ما قد سبق عن النبي ﷺ ومن هذا ما قال الشيوخ في الكلام على العوارف من أن الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمعة والرياء لا يترك العبدة بل يستغفر الله تبارك وتعالى.

(وقال) رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله عن طريق التعليم لنحو المرأة محرماً، فأي مانع وإلا فتجلس وراء الحجاب وتأخذ الطريقة

قال العروة الوثقى رضي الله تعالى عنه ينبغي ترغيب الطالب في وظائف الطاعات ورعاية الآداب والمقصود حصول هذه النسبة الشريفة فإن أعانه بحصولها فأمر آخر إن تفضل الله سبحانه به فهو دامه منه تعالى، وإلا فلا بأس وقل قدس سره أيضاً إذا تيسرت هذه النسبة بسرعة وتحصلت بالعجلة ربما لا يعلق الخاطر أمراً عزيزاً، فإن الطلب يوجب عزة المطلوب وفخامته، فإن استعجل أحد في حصوله فهو ليس بطالب ولا يتأهل للصحبة فإن طلاب الدنيا تراهم يتحملون المشاق الشديدة

Marfat.com

من ترك الأوطان ومهاجرة الإخوان في مدد مديدة، بل أعمار طويلة فطالب الحق جل ذكره أحرى بذلك وأجدر فقد أفنى المتقدمون في ذلك أعمارهم وتركوا أوطانهم وديارهم.

(وقال) رضي الله عنه في بعض مكاتيبه مجيباً لمن شكا إلى جنابه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق، أكثر الطالبين في هذا الزمان كذلك وأنى يوجد الصادقون فينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريق بعد الاستخارة وحصول الاطمئنان، فإن استقاموا فازوا وإلا فالضرر راجع إليهم لا إليكم.

(وقال) رضي الله تعالى عنه في بعض مكاتيبه ينبغي للشيخ أن يعامل الطالبين بالسكينة والوقار، ولا يفتح معهم باب الاختلاط والانبساط كيلا يفضي ذلك إلى ذهاب مهابته من قلبهم، وفي ذلك هلاكهم وخيبتهم فليجمل نفسه في أعينهم حتى يكون ذلك حثاً لهم على التأدّب والتعظيم له، وفي ذلك فوزهم ونجاتهم.

(وقال) رضي الله عنه في بعض مكاتيبه مجيباً لمن كتب إليه من بعض خلفائه أعلم الطريقة امتثالاً لأمركم العالي ولم يظهر في الطالبين أحد لم يتأثر بالتوجه بل الأكثرون يتأثرون في أوّل الهمة والإقبال أحمد الله سبحانه على ذلك وجب عليك الشكر لهذه النعمة العظمى والاجتناب والتحرّز عن الغرور والخيلاء والاعتراف بالقصور والإقرار بالفتور، وعليك أن لا تتساهل في تفقد الطالبين والتوجّه إليهم، فإن ذلك من أعظم العبادات. وإذا فرغتم من هذا التعليم والتبليغ فافزعوا إلى وظائف العبادات من الأذكار والتدريس لله سبحانه وتعالى، فإن أحب عباد الله إلى الله من حبب الله إلى عباده. قال العبد الراجي رحم الله إفلاسه، وهذا من آداب النبي ﷺ التي أدّبه بها ربه جل ذكره وعظم شأنه حيث قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: الآيتان ٧، ٨].

(فصل)

وإذا أراد الشيخ الشروع في أخذ العهد على أحد يأمره أن يجلس بين يديه متوركاً عكس تورك الصلاة، ثم يبين له محل القلب الصنوبري الشكل وأنه تحت الثدي الأيسر بإصبعين، ثم يستغفر الله الشيخ والمريد يتابعه خمساً وعشرين مرة، ثم يقرأ الشيخ الفاتحة مرة والإخلاص ثلاث مرات، ويهدي مثل ثوابهما إلى صحيفة النبي ﷺ وإلى صحيفة إمام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ محمد الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند قدس سره، ويأمر المريد بتغميض العينين والنظر إلى القلب بالخيال ويتوجه له على النحو المعروف عندهم ثم يلقنه ما يناسب استعداده من الأذكار الآتية، ويغلق الباب وقت التوجه للمريد وهو من أعظم الشروط وأهمها

Marfat.com

خصوصاً على مشرب طريقتنا الخالدية النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية، وسندهم في ذلك ما ذكره العارف الشعراني قدس سره في النفحات.

روى الطبراني والإمام أحمد والبزار وغيرهم بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ كان يوماً بجمع مع أصحابه فقال: «هل فيكم غريب» يعني أهل الكتاب، قالوا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب وقال ﷺ: «ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله» قال شداد بن أوس فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد» ثم قال عليه السلام: «ألا فابشروا فإن الله قد غفر لكم» ففي هذا الحديث دلالة للأشياخ في تلقينهم الذكر للمريدين جماعة.

(وأما تلقينهم) فرادى فخرج شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى من طرق متعددة حسن أحاديثها عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: دلّني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل وأسهلها على العباد وأفضلها عند الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: يا علّي عليك بمداومة ذكر الله سراً وجهراً، فقال عليّ رضي الله تعالى عنه كل الناس ذاكرون وإنما أريد أن تخصّني بشيء، فقال رسول الله ﷺ: «مه يا عليّ، أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله» ثم قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله» فقال رضي الله عنه كيف أذكر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات»، وأنا أسمع الحديث بمعناه في البعض، فهذا أصل سند القوم، وإنما أمر النبي ﷺ بغلق الباب في تلقينه جماعة أصحابه كما تقدم، وقال هل فيكم غريب لينبّه على أن طريق القوم مبنية على السر وصفاء الوقت من حضور من ليس منهم، ولا يؤمن بطريقهم فربما استهزأ به فمقته الله عز وجل ومن هنا أخذ بعض العلماء تلقين الحسن البصري من علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه سراً بلغنا أنه اجتمع به فضلاً عن الأخذ منه. انتهى.

والحق أنه اجتمع به ولقّنه الذكر وألبسه الخرقة وذلك دأب من فيض من الله عليه انتهى.

(فصل)

ثم اعلم أن طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء به عند السادة النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية على ما أورده في الحديقة الندية أربعة:

Marfat.com

(**الطريقة الأولى**): وهي الأعلى الأقوى صحبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب المشروطة بثلاثة شروط.

الأول: أن يصحبه خدمة له وانتساباً إليه وافتخاراً به وإقبالاً عليه.

الثاني: أن لا يعترض شيخه ولا ينكر عليه فعلاً من أفعاله مطلقاً ظاهراً أو باطناً ويعد خطرات وهمه ذنوباً يستغفر الله تعالى منها، لأن شيخه بيد الله تعالى والله لا يأمر بالفحشاء ولكنه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره.

الثالث: أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسال لا يخالفه في شيء مطلقاً ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً المقرونة تلك الصحبة مع الأصلين الأصيلين للطريقة، أعني كمال اتباع النبي ﷺ ومحبة ذلك الشيخ الكامل ولها آداب أخر، لكن المذكور منها يجر غيره والأخلاق يجلب بعضها بعضاً وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر، فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ثم يصل إلى المريد وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه فهما شيخان مجازاً، وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد.

قال العارف عبد الغني النابلسي قدس سره في شرح ابن الفارض قدس سره ما يتخيله السالك من معاني تجليات الحضرة الإلهية وقت حضوره معها بها لا بنفسه، إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجه الربّاني والإمداد الرحماني فتارة يأتي بالإلقاء الإلهامي من القلب إلى القلب مع صدق الحال، وتارة يأتي بتقرير العبارات وتبيين الإشارات، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة وشرطها كمال الصدق من الطرفين فيسري الحال الصادق بأمر الله تعالى في المريد الصادق، وتارة ينظر الشيخ الصادق من قوله ﷺ حكاية عن ربه كنت بصره الذي يبصر به في الحديث المشروط بالتقرب بالنوافل، وتارة ينظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله ﷺ في الحديث إذا رؤوا ذكر الله وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء والإخلاص في الخدمة والأدب مع المشايخ وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً.

(**الطريقة الثانية**): الرابطة، وهي طريقة مستقلة للوصول وعبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته فرؤيته بمقتضى الذين إذا رؤوا ذكر الله تحصل بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب هم جلساء الله تعالى، ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب المرء مع من

Marfat.com

أحب فبحفظ الصورة يتحقق ويتّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله التي له وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله، وإن وجد في إحضار الصورة سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة، ويكون متوجهاً إلى ذلك الحال كما نقل في مقامات النقشبند قدس سره أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة، وكان يوماً في مجلسه متوجهاً إلى الصورة فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها.

فقال خواجة نقشبند قدس سره خلني وكن متوجهاً إلى تلك الغيبة لأن زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم.

وفي المعربات قال الغوث الصمداني قدس سره ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي وانصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات فنظره شاف للأمراض القلبية وتوجهه رافع للعلل المعنوية وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان، الأقطاب والبدلاء بظلال مقاماته قانعون، والأوتاد والنجباء بقطرة من بحار كمالاته متسلون، إرشاده مثل نور الشمس من غير قصد منه على الكل فائض، فكيف إذا قصد فارتباطنا حبي ونسبتنا انعكاسي وانصباغي لا يتفاوت في القرب والبعد، وإذا كانت الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حبياً وانعكاسياً وانصباغياً فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلونه وصبغه ساعة فساعة ويتنوّر بطريق الانعكاس بأنواره وفي هذه الصورة لا يشترط العلم لا في الإفادة ولا في الاستفادة فإن البطيخ ينضج بحرارة الشمس ساعة فساعة، وينطبخ بمرور الأيام يستوي، وأي علم له بذلك أو أن الشمس تعرف فيه تنضجه وتطبخه، نعم يشترط العلم بالسلوك أي الاستفادة والتسليك في الإفادة الاختياري في سائر الطرق.

وأما طريقنا الذي هو طريق الصحابة الكرام عليهم الرضوان، فلا يشترط فيه العلم بالسلوك والتسليك أصلاً ولو كان الشيخ المقتدى به في هذا الطريق متصفاً بتمام العلم ومتحققاً بكمال المعرفة كما في سائر الطرق فيستوي في هذا الطريق في إفادته والأموات وفي استفادتها الشيوخ والصبيان وقد تقدم أنه كما لا يشترط [illegible] ولايته كذلك لا يشترط علمه بخوارقه فيصلون برابطة المحبة [illegible] المقاصد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. انتهى

واعلم أن استحضار الرابطة على أقسام:

الأول: أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه إلى [illegible] في تلك الصورة ولا يزول عن التوجه إليها حتى يحصل له الغيبة أو أن المحبة

الثاني: أن يتصور صورته بين جنبيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، كذلك حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة فبعد حصول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة. وكلما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يرجع إليه ذلك الحال فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ، فعند ذلك يشاهد روحانية الشيخ مع كمالاته في صورته لأن الكمالات لا تفارق الروحانية فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى فيكون من الواصلين الكاملين، فبالرابطة يتربى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب.

الثالث: أن يتخيل صورة شيخه في جبهته ويقررها وسط الجبهة وهو أقوى لدفع المخيلات من القسمين اللذين قبله.

الرابع: أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه وهو أعون على دفع الخطرات القلبية.

الخامس: أن يتخيل الصورة في جبهته وينزل بها إلى وسط قلبه ويقدّر أن القلب دهليز واسع ويقطع الخواطر جملة واحدة، وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبها.

السادس: أن ينفي نفسه ويثبت شيخه وهو أقوى لرفع البليات.

ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوّة الولاية لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها، فبالرابطة يستفيض الشيوخ عن الصبيان الكاملين ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرفين لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرف ولاية روحانية المفيض وتتصرف فيه الروحانية وتفيض عليه من الكمالات الإلهية والتجلّيات الربّانية وتبلغه إلى الحضرات العلية سواء كان المفيض ميتاً أو حياً وسواء عرف ذلك أم لم يعرف.

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات أن يجرّد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية، ويعري قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونية، ثم يتصور روحانية ذلك الميت نوراً مجرداً عن الكيفيات المحسوسة ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت أو حال من أحواله لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات فمن أدخل المنبع في قلبه ينال فيضه البتة.

وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت فلا بد أن يسلم على صاحب ذلك القبر ثم

Marfat.com

يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرته ويطرق رأسه على صدره ثم يقرأ سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة وآية الكرسي مرة ويهب ثوابها لذلك الميت. ثم يجلس عنده ويتوجه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة. كذلك لقوله ﷺ إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور فمن توجه من محله إلى روحانية النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنوّرة يستفيض منه، وكذلك إذا توجه أحد من محله إلى روحانية الأولياء في قبورهم ينتفع بهم فالرابطة من غير توجه كافية في الاستفاضة. نعم إذا اجتمعت الرابطة مع التوجه فنور على نور لكن المدار على قوّة الرابطة، فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريقة وكمالات الحقيقة، ومن اختلت رابطته انقطعت استفاضته ولم تحصل له أحوال السلوك ولم تظهر له أسرار الوصول.

وأما آداب الرابطة فهي أن يعتقد المريد أن كمالات الشيخ لا تفارق روحانيته وأن روحانيته ليست مقيدة بمكان دون مكان، ففي أي مكان يتصوره تحضر فيه روحانيته وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى، وأن يحفظ محبة شيخه وأن يراعي نسبته في كل حال، وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً.

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إن لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة، فإن قدر عليها يجب عليه أن يترك الرابطة لأن الاشتغال بالرابطة حينئذ اعتبار التنزّل عن الترقي وترجيح مرتبة الحجاب على مقام الشهود، وذلك عدم عن الله تعالى ولكن لا يترك محبة الشيخ ولا يترك نسبته لأن حفظ المحبة والنسبة يبقيه المشاهدة ويقرب السالك إلى مقام الإنس والمحادثة.

(تنبيه) قد علم مما تقرر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصح أن يجعل للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى لأن [illegible] مزلة الأقدام لأن هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها، و[illegible] فربما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه فضلاً عن حصول بقائه فيظن [illegible] ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة فيخسر هو ومن رابط به فلا بد أن يشتهر بحصول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومن شاهد الحال ويأمره بذلك.

وقد أخلّ بهذا الشرط في هذا الزمان أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن [illegible]

Marfat.com

الذكر من جناب حضرة سيدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا أبي البهاء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدس الله تعالى سره وأمرهم أن يلقنوا رابطة نفسه للمريدين لأنه مشهود له بالكمال ومأذون له بذلك من قبل مرشده الكامل المشهود له، كذلك فبعضهم في حياة شيخنا قدس سره أخلّوا بهذا الشرط وأمروا المريدين الذين دخلوا الطريقة عندهم بأن يرابطوا بهم مع نهيه وزجره لهم عن ذلك كما يشهد بذلك كتابه قدس سره لبعضهم بالزجر والنهي عما ذكرنا.

وصورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل الأقل من كل قليل، إلى خادم بابه، وقدوة أحبابه، الشيخ فلان عصمه الله عما وصمه وصانه عما شانه آمين.

أما بعد، فقد قال كثير من نجوم الاهتداء ومصابيح الاقتداء بأن الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمه وصرح محققو طريقتنا بأن رابطة من لم يفن عن وجوده لا نورث الفناء للسالك، بل قد تورطه المهالك، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنا السلام والكلام، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضب أن تواجهونا أحياناً بأنفسكم وإلا فتراجعونا بالنقير والقطمير، وتذكرونا دائماً بالتحرير مع السفير، ومن خدامنا من هو أبعد شقة منكم وأقدم صحبة وأكثر خدمة لا يتحرك بدون إشارتنا ولا تقس هذه الطريقة بخزعبلات متشيخي العصر وترهات أرباب الخداع والمكر، فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربه والإعراض عنه إعراض عنه، فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ولو ظهرت له فإنه من تلبيس إبليس ولا تستخلفوا أحداً إلا بأمري فضلاً عن مزاحمتهم لخلفاء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس ولئن تماديتم في التغافل الذي تستعملونه لنعرض عنكم بالكلية وخرط القتاد دونه ومن أنذر فقد أُعذر.

والسلام ختام. قاله بلسانه ورقّمه ببنانه العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي الكردي العثماني.

(صورة إجازة تامة) أي صورة إجازة حضرة سيدنا الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره إلى حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ خالد قدس الله سره حضرة سلطان الأولياء، وبرهان الأصفياء قطب الأقطاب وملجأ الشيخ والشاب جامع الكمال الصوري والمعنوي مرشد بر حق شاه عبد الله هندي دهلوي قدس سره السامي بخط شريف خود بحضرة افتاب منقبت سلطان العارفين وفخر المحققين إمام الملة والدين ضياء الدين مولانا خالد ذي الجناحين قدس سره، وروحي فداؤه نوشته اندنى زيادة وكم اينست. انتهى.

والمقصود من ذلك أن حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدس سره لم يأمر

Marfat.com

المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأتمين، ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك والعجب العجيب أن بعض مريدي هذا المنهى المزجور هم كذلك يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم وادّعى بعضهم أن الميت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفات إلى الدنيا وهذا القائل خطؤه أشد من خطأ مدّعي الكمال في نفسه، لأنه يفهم من قوله إنكار تصرف الأولياء بعد موتهم، نعوذ بالله من ذلك، وكأنه غفل عما هو متفق عليه بين أهل الطريق، وقد قدمناه أن حضرة إمام الطريقة المعروف بشاه نقشبند قدس سره تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره وبينهما خمسة وسائط. وكذلك أبو الحسن الخرقاني قدس سره لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدس سره بل ولد بعد وفاته وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعنا بهم بل ولد بعد وفاته بزمن طويل كما قدمنا ذلك مفصّلاً.

واعلم أن جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدس سره خرجت روحه الزكية من الدنيا إلى المقامات العلية من الآخرة، ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة فيما نعلم، بل كان ينهى عن ذلك أشد النهي كما قدمنا لك بعضه وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول ما عندي مريد بل إسمعيل نصف مريد يعني جناب سيدنا وشيخنا الشيخ إسمعيل لقائم مقامه بعد وفاته قدس سره وجناب سيدنا الشيخ إسمعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة مع أنه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ومنصوب مقامه. وكذلك جناب سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ عبد الله الهروي قدس سره لم يجلس مجلس الكمال بعد سيدنا الشيخ إسمعيل قدس سره الجميل لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء.

فانظر أيها الأخ إلى أدب هؤلاء السادة الكرام نفعنا الله بهم في الدنيا والآخرة في هذه العلية النقشبندية الخالدية، وأنا الفقير إلى الله أقول لي بهم سوءة لا أرضى لأحد منهم يحبنا أن يرابط بغير حضرة جناب سيدنا وشيخنا قطب العارفين الشيخ خالد قدس الله سره العزيز وقد أطلنا الكلام هنا لأجل التنبيه والتحذير من الاغترار بذلك، لأن مصيبته عظيم على المريدين لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب وبعد وساوس الشيطان عنه والناقص هو عاجز عن دفع الغفلة والظلمة وطرد الشيطان عن

قلبه، فكيف بمن يستحضره ويدلك على أن سبب ادّعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول بعض الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدس سره في بعض مكتوباته بقوله: ولما كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوال تشبه أحوال المنتهين بحيث لا يفرق بين هذين النوعين من الأحوال إلا عارف حديد البصر من الرجال. فعلى هذا التقدير لا ينبغي أن يجاز صاحب تلك الأحوال فإن في هذه الصورة ضرر صاحب تلك الأحوال أكثر من ضرر من يصير مريداً له، إذ يحتمل أن يمنعه تخيل الكمال عن الترقّيات بل يمكن أن يوقعه حصول الجاه والرياسة التي هي من لوازم مقام الإرشاد في البلاء، فإن أمارته بعد باقية على كفرها ولم تجد التزكية سبيلاً إليها ولا للقلب سياسة عليها. انتهى.

فإن قلت يفهم من مجموع ما ذكرت الاعتراض على جناب حضرة الشيخ قدس سره حيث أجازهم مع نقصانهم وعدم كمالهم بل ومن صريح ما استشهدت به من كلام الإمام الربّاني قدس سره قلت: حاشا لله ومعاذ الله أن يكون غرضنا هذا أو يخطر لنا ببال بل مقصودنا تحقيق كمال مقام الشيخ قدس الله سره وأن تصرفه باق بعد وفاته كما في حياته، فكما كانوا يأمرون المريدين برابطته في حياته، فليكونوا كذلك بعد وفاته، وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدس سره بالإرشاد مع نقصانهم فهو جائز من الكامل المكمل كما صرّح به الغوث الصمداني قدس سره في بعض مكتوباته أيضاً بقوله: وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين وغرضه من ذلك أن يبلغ كتابه الأجل باجتماع أهل الذكر عليه كما أجاز خواجة بهاء الدين نقشبند ليعقوب الجرخي قدس الله سره قبل الوصول لدرجة الكمال. وقال: يا يعقوب ما وصل مني إليك فليصل منك إلى الناس، ثم تكمل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين العطار، ولهذا عدّه مولانا عبد الرحمن الجامي قدس سره السامي، **أولاً**: من مريدي خواجة علاء الدين العطّار. **وثانياً**: نسبة إلى خواجة بهاء الدين نقشبند قدس سره وينبغي أن يعلم أن النقص وإن كان ينافي الإجازة لما فيه من ضرر الطالبين لكن لما صدر ذلك من كامل مكمل يكون هذا نائباً منابه، ويكون يده يده فلا يتعدّى ضرره والله سبحانه وتعالى أعلم.

(تكميل) فإن قيل هل للرابطة أصل ثابت، فنقول نعم، لها أصل بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة، أما الكتاب فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: الآية ٣٥] فإن قيل المراد غير الرابطة، قلنا المفهوم عام، وإذا ثبت الأمر بطلب الوسيلة فالرابطة أفضل الوسائل، لأنه أما النبي ﷺ وأما النائبون منابه وقال الله تعالى:

Marfat.com

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١] ففيه إشارة إلى الرابطة لأن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيله معنىً، وهو غرضنا من الرابطة، وإلا فلا يعد اتباعاً.

وأما السنة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه شكا للنبي ﷺ عدم انفكاكه ﷺ عنه حتى في الخلاء، أي بحسب الروحانية، وكان أبو بكر كرم الله تعالى وجهه يأخذه الحياء منه ﷺ.

وأما أقوال الأئمة فقال العارف بالله الشعراني قدس الله سره في النفحات آداب الذكر التي حث عليها القوم ورأوها أقرب للفتح على المريد كثيرة يجمعها كلها عشرون أدباً. إلى أن قال: الرابع: أن يستمده بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه. الخامس: أن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبي ﷺ لأنه واسطة بينه وبينه، إلى أن قال: السابع: أن يتخيل صورة شيخه بين عينيه وهذا عندهم آكد الآداب انتهى.

قلت وليس غرضنا من الرابطة غير ذلك. وقال الشيخ تاج الدين النقشبندي قدس سره في رسالته فإذا فرغ من مهماته الدنيوية توضأ، يعني المريد وضوءاً جديداً ودخل خلوته وأوّل ما يجلس يستحضر صورة شيخه.

(قال) خاتمة المحققين الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره في شرحه على الرسالة المذكورة على أكمل الأحوال ليحصل له المدد منه. فإن شيخه بابه إلى حضرة الله ووسيلته إليه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٩] وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: الآية ٣٥] ولا قدرة للسالك في ابتداء سلوكه أن يعرف ربه حتى يسقط الواسطة بينه وبينه وإذا لم يعرف ربه لا يمكنه أن يشهد بقلبه إلا مخلوقاً حادثاً فإن شهده على أنه ربه فهو كافر، فالواجب عليه أن يشهد شيخه ويصوّر صورته حتى يمد من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه الممد منه تعالى، ويبقى على ذلك حتى يحصل له الفتح الإلهي.

ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربه تعالى هو الأكمل، ولكنا نعلم عن يقين علماً ذوقياً وجدانياً بحسب ما كنا عليه من قبل أن هذا لا يمكن المريد في ابتداء سلوكه أبداً بالضرورة، فإن جميع الخواطر وجميع المقاصد لا تقطع إلا على مخلوق حادث يعرفه العارف ويجهله الجاهل وذلك المخلوق الحادث هو الرب عند الجاهل لعدم معرفته ولا عذر في الكفر، فيجب عليه اتخاذ الوسيلة ليفرق بين

Marfat.com

الحادث المقدور على إدراكه والقديم المعجوز عن إدراكه فرقاً شهودياً ذوقياً لا خيالياً ثم بعد ذلك يسقط الواسطة ولهذا قالوا: من لا شيخ له فشيخه الشيطان كما سبق. ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتّخذ له شيخاً متخلّقاً بأخلاق الرحمن. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: الآيتان ٣٦، ٣٧] انتهى.

وقال جناب سيدنا وضياء أبصارنا ونور قلوبنا إمام العارفين وخاتمة المحققين مولانا أبي البهاء ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وبرّه في رسالته التي أرسلها إلى بعض أحبابه في الآستانة دار الخلافة العظمى وقرع سمع هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حق اليقين يعدون الرابطة بدعة في الطريق ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولا حقيقة، كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنة الرسول ﷺ ومن ساداتنا من كان يقتصر في السلوك والتسليك عليها ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيصه على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى، ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٩].

فقال من سادتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجة أحرار قدس سره ما حاصله أن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين الكون معهم صورة ومعنى ثم فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة، وهو عند أهله مشهور وفي كتاب الرشحات بالتفصيل مسطور، فكأنهم لم يتصوروا معنى الرابطة اصطلاحاً وإلا لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى، وكثرة رعاية صورته ليتأدب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتم له باستحضارها الحضور والنور، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور، وهو أمر لا يتصوّر جحوده إلا ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان، لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها، بل واتّفقوا عليها كما لا يخفى على من تتّبع كلماتهم القدسية، واستنشق نفحاتهم الإنسية وإلا فلا بد أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع. فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وتلويحاً.

وها أنا أسرد بعض ما ذكروه مع تعيين الأماكن ليراجعها من ليس في قلبه مرض ولا ينكر على الأولياء بمجرد اتّباع الهوى والغرض.

Marfat.com

فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق فقد صرّح بالتصرّف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: الآية ٢٤] ومنهم صاحب الكشاف مع انحرافه عن الاعتدال واتصافه بالإنكار والاعتزال، ولفظه وفسّر البرهان بأنه أي يوسف عليه الصلاة والسلام سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكترث له، فسمع ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته. وقيل ضرب بيده صدره إلى آخر ما قال.

وقال من الأئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في شرح المشارق في حديث من رآني إلى آخره.. للاجتماع بالشخص يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول، كلية الاشتراك في الذات أو في صفة فصاعداً أو في الأفعال أو في المراتب أو في حال فصاعداً وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوّته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل، وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس. ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء.

وقال منهم أيضاً محشي الأشباه الشريف الحموي في كتابه نفحات القرب والاتصال ما خلاصته أن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال ﷺ: «ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة» فقال أبو بكر رضي الله عنه وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها، فقال: «نعم. وأرجو أن تكون منهم». وقال إن الروح إذا كانت كلية قد تظهر في سبعين ألف صورة هذا في دار الدنيا وفي البرزخ من باب أولى لأن الروح فيه أغلب وأشد استقلالاً بسبب المفارقة عن البدن. انتهى

ومن أراد الزيادة على ذلك فليراجعها فإن فيها ما يشفي الغليل.

(الطريقة الثالثة) الالتزام بما لقّنه الشيخ من الأذكار، وهذه هي المعتمدة عند جميع للوصول، فأما الذكر الأول الوارد عندهم معنعنا الخفي لقلبي فهو ذكر اسم الله، أعني الجلالة، وهو لفظة الله بالقلب.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين قدس سره وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو الله الله الله لا تتعدّ هذا الذكر وتحفظ أن يفوه به لسانك وليكن قلبك هو القائل واحذر الأدب مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك فإذا أحسست بفيضه الناطق فيك بالله

Marfat.com

فلا تترك حالك التي كنت عليها فإنها قوّة عرضية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة.

قال في الحديقة وله آداب لا تحصى ولكن نذكر منها ما كان أهم، ولا للمريد منه منها أن يطهر البدن والقلب من منهيات الجوارح والهوى والحرص واتّباع الشهوات والميل إلى الغير بالتوبة والاستغفار ثم يتوضأ ويدخل في خلوته ويجلس بعد سنة الوضوء والدعاء مستقبل القبلة مستغفراً بلسانه واستحضار قلبه إما خمساً وعشرين مرة أو خمس عشرة مرة أو خمس مرات، ثم يلاحظ بقلبه تقصيره وإساءته بانكسار وخشوع ثم يستحضر موته المحقق الآتي القريب، وكأن هذا آخر أنفاسه من الدنيا وأنه قد وضع في لحده وحيداً فريداً ثم يقرأ الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات ويهدي ثوابهما إلى روحانية إمام الطريقة الخواجة بهاء الدين محمد النقشبند الأويسي البخاري قدس سره مستمدّاً منه ثم يقرر صورة شيخه ومرشده الكامل في ناصيته متّصلة بها مستمداً منه أيضاً ويطرحها في قلبه لدفع الخطرات مغمضاً عينيه ملصقاً اللسان بسقف الحلق والأسنان بالأسنان والشفة بالشفة مطلق النفس على حاله مستحضراً في القلب الذي هو المضغة المعلقة تحت الثدي الأيسر تذكراً معنى الذكر وهو ذاته تعالى الصرف البحت، قائلاً بلسان القلب في ابتداء الذكر وما بين كل مائة منه: اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ناطقاً بلسان القلب فقط بلفظ اسم الذات، أعني الجلالة وهي الله ويستمر على هذا التذكر من غير انقطاع وإن تكلم بلسانه عند الحاجة فلا يقطع التذكّر المعروف عند السادة النقشبندية بالوقوف القلبي فإنه ينتج رسوخ القلب بشهود المذكور ونسيان ما سواه وحقيقة ذكر الشيء نسيان ما دونه، فإذا دام الذكر دام النسيان وإذا ارتسخ بحيث لو تكلف الذاكر إحضار الغير لم يخطر انتقل ذكره إلى الروح، وهي لطيفة تحت الثدي الأيمن ثم إلى السر وهو في يسار الصدر، ثم إلى الخفي وهو في يمينه، ثم إلى الأخفى وهو في وسطه وهذه اللطائف الخمس من عالم الأمر الذي خلقه الله تعالى بأمر كن من غير مادة وركبها مع لطائف عالم الخلق الذي خلقه الله تعالى من مادة وهي النفس الناطقة والعناصر الأربعة، ثم إلى هذه النفس وهي في الدماغ والعناصر تندرج فيها وكل من هذه المحال محل الذكر على الترتيب المذكور، فإذا ارتسخ الذكر في لطيفة النفس فلينتقل إلى لطيفة الجسد وهي أن يذكر بجميع الجسد مستحضراً لها في نظر القلب بطريق المشاهدة في الجميع أن تعبد الله كأنك تراه ولا يزال على ذلك حتى تصير جميع أجزائه تذكر بذلك ويحصل سلطان الذكر وهو أن يعم على جميع الإنسان، بل على جميع الآفاق أيضاً، وينتظر في آخر الذكر وارد الورد بالوقوف القلبي قدراً يسيراً قبل أن

Marfat.com

يفتح عينيه وإذا عرضت له غيبة لا يتعمّد قطعها انتهى. تتميم.

(**واعلم**) أن المقصود من الذكر حضور القلب مع المذكور لا حركة القلب وقت الذكر فإن الحركة ليست بشرط عندهم.

قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه إن أريد من ذكر القلب تحركه بالذكر فدوامه ليس بشرط لا في حالة الفناء ولا في غيرها والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبي والتوجّه إلى جناب الحق جل ذكره وجد التحرك أو لم يوجد.

(**وقال الإمام الشعراني**) قدس سره في نفحاته وآداب الذكر التي حث عليها القوم ورأوها أقرب للفتح على المريدين كثيرة ويجمعها كلها عشرون أدباً خمسة سابقة على التلفظ بالذكر واثنا عشر في حالة الذكر وثلاثة بعد الفراغ من الذكر، فأما الخمسة السابقة، **فأوّلها**: التوبة وحقيقتها عند القوم أن يتوب عن كل ما لا يعني العبد من قول أو فعل أو إرادة، ومن لم يتب هذه التوبة وترخص فلا يجيء منه شيء.

وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول من ادّعى حلاوة الذكر مع محبته للدنيا فكذبوه.

الثاني: الغسل للذكر أو الوضوء وكان أبو يزيد قدس سره يتوضأ ويغسل فمه بماء ورد كلما أراد الذكر.

الثالث: السكون والسكوت فيحصل بذلك الصدق بأن يشغل قلبه بألله ألله بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى خاطر مع ألله الله ثم يوافق[1] اللسان القلب بقول لا إله إلا الله.

الرابع: أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه.

الخامس: أن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبي ﷺ لأنه واسطة بينه وبينه.

وأما الاثنا عشر التي هي في حالة الذكر.

فالأوّل: الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة.

الثاني: أن يضع راحتيه على فخذيه.

الثالث: تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة وكذلك ثياب بدنه.

الرابع: لبس اللباس الطيب الحلال ولو شراميط الكيمان.

---

(١) قوله: (ثم يوافق) الخ. أقول هذا عند الانتهاء (اهـ) من هامش الأصل

الخامس: اختيار موضع مظلم إن وجد.

السادس: تغميض العينين وذلك لأنه إذا غمض عينيه ينسدّ عليه طرق الحواس الظاهرة وسدّها يكون سبباً لفتح حواس القلب.

السابع: أن يتخيل صورة شيخه بين عينيه وهذا عندهم آكد الآداب.

الثامن: الصدق في الذكر بأن يستوي عنده السر والعلانية.

التاسع: الإخلاص وهي تصفية العمل من كل شوب فإن بالذكر والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصدّيقية بشرط أن لا يكتم شيخه شيئاً من خواطره ولو مذمومة فمن كتم شيئاً منها كان خائناً وحرم الفتح والله لا يحب الخائنين فإن المريد لا عورة بينه وبين شيخه إلا فيما نهاه الشرع.

العاشر: أن لا يختار من صيغ الذكر شيئاً بنفسه، بل يشتغل بما لقّنه شيخه واختاره له.

الحادي عشر: إحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجاته في المشاهد، ويعرض على شيخه كل ما ترقّى إليه من الأذواق ليعلمه طريق الآداب فيه.

الثاني عشر: نفي كل موجود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى فإن الله تعالى غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده غيره، ولولا أن الشيخ له مدخل في التربية من حيث كونه واسطة بين المريد وبين ربه ما شرطوا تخيله للمريد.

قال شيخنا وإنما نفوا من القلب كل ما سوى الله تعالى ليتمكّن تأثير إلا الله بالقلب ويسري إلى الأعضاء كما أنشدوا في ذلك:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

وأما الثلاثة التي بعد الفراغ من الذكر.

فأوّلها: أن يسكن إذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه مترقباً لو أراد الذكر فلعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة أكثر مما تعمره الرياضة والمجاهدة في نحو ثلاثين سنة وذلك لأنه إن كان الوارد زهداً في الدنيا فيتمهل فيه حتى يستحكم فيه فيصير زاهداً وإن كان الوارد الصبر على الأذى فيتمهل له حتى يستحكم فيه فيصير يتحمل الأذى من جميع الأنام، وهكذا في جميع أخلاق القوم بخلاف ما إذا فرغ من الذكر ولم يسكن فإن الوارد يطرقه ولا يستحكم فيه فلا يثبت له في الوارد قدم.

ثانيها: أن يزم نفسه ونفسه مراراً وهذا كالمجمع على وجوبه عندهم لأنه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان، قالوا: وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس كل نفس أطول ما يحتمل صاحبه.

Marfat.com

ثالثها: منع شرب الماء عقب الذكر لأن الذكر يورث حرقة وشوقاً وتهيجاً إلى المذكور وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر، وشرب الماء عقب الذكر يطفىء ذلك.

فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة فإن نتيجة الذكر إنما تظهر بها والله أعلم. انتهى.

(فائدة) سمعت سيدنا وسندنا وشيخنا الشيخ إسماعيل الخالدي النقشبندي قدس سره يقول لطيفة القلب تحت قدم سيدنا آدم عليه السلام، ولطيفة الروح تحت قدمي سيدنا نوح وإبراهيم عليهما السلام، ولطيفة السر تحت قدم سيدنا موسى عليه السلام، ولطيفة الخفي تحت قدم سيدنا عيسى عليه السلام، ولطيفة الأخفى تحت قدم سيدنا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين.

قال ولهذا كان الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره يقول: أنا ختام الأنبياء والمرسلين لأنه هو الذي خرق لطيفة الأخفى.

(تتمة) قال الشيخ محمد الملقب بالمعين في معراج السعادة وجدت بخط إمامي ونور بصري سلّمه الله وأبقاه يعني العروة الوثقى سيدنا محمداً المعصوم قدس سره يقول: وأما أنوار اللطائف فنور القلب نور أصفر ونور الروح أحمر ونور السر أبيض ونور الخفي أسود ونور الأخفى أخضر.

وأما الذكر الثاني الوارد عندهم معنعناً الخفي القلبي أيضاً، فهو كما في الحديقة بالنفي والإثبات بكلمة لا إله إلا الله قلباً، الملقن للمريد بعد اللطائف وكيفية ذلك أن يلصق اللسان كالأول ويحبس النفس تحت السرة ويتخيل منها (لا) إلى منتهى الصدر ومنه (إله) إلى كتفه الأيمن ومنه (إلا الله) إلى القلب الصنوبري الشكل وهو المضغة في الجانب الأيسر تحت أصغر عظم من عظام الجنب الأيسر سارياً عليه منفذاً إلى قعره بقوة يتأثر بحرارتها جميع البدن وينفي بشق النفي جميع المحدثات وينفذ هو بنفذ النفي ويثبت بشق الإثبات ذات الحق تعالى ناظراً له بنفذ البقاء فيحيط على محل النفي كلها ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات ومعناها بأن لا مقصود إلا [illegible] بلا مثل، فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية لأن كل معبود مقصود ولا عكس، ويقول في آخرها بالقلب محمد رسول الله ويريد التقيد بالاتباع ويحبسها على قدر ما يطيق النفس ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي وهو أن يقف قبل إطلاق كل نفس اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي فإذا استراح شرع بنفس آخر، لكن يراعي بين النفسين بأن لا يغفل بل يبقى التخيل على حاله أثناء نحو الاستمرار فإن انتهى العدد إلى إحدى وعشرين تظهر النتيجة وهي مشاهدة المعبود من

Marfat.com

الذهول والاستهلاك وإن لم تظهر فبما وقع من الخلاف في الآداب فليستأنف وليطابق الفعل والقول مضمون الذكر عملا واعتقاداً واتّباعاً، فإن المقصودية فيما سواه إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق ولا حصر للعدد فمن يستعد لتقدم الجذب فله الذكر الأوّل ومن يستعد لتقدم السلوك فله الذكر الثاني وكلاهما بالقلب فإذا جاهد فيه حق الجهاد وانتفى المنفى وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذ انتهى.

(**تنبيه**) قال شيخنا الشيخ إسماعيل الخالدي قدس سره شروط النفي والإثبات تسعة، **الأوّل**: حبس النفس، **الثاني**: ذكر لا إله إلا الله، **الثالث**: ملاحظة النقش، **الرابع**: ملاحظة المعنى، **الخامس**: الضرب، **السادس**: وقوف القلب مع جميعه، **السابع**: الوقوف العددي بأن يكون وتراً، **الثامن**: ذكر محمد رسول الله ﷺ آخراً، **التاسع**: الرجوع إلى الله تعالى بأن يقول اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. انتهى.

وهذا الذكر أخذه الشيخ عبد الخالق الفجدواني قدس سره من الخضر عليه السلام، أمره بالغوص في الماء وعلّمه هذا الذكر، ولعل الأمر بغوص الماء لحفظ النفس والاحتياط في حبسه. قال في معراج السعادة أن شيخي سلمّه ربه وأبقاه لما أجازنا بهذا الذكر أمرنا عند إخراج إلا الله من الكتف والضرب به على القلب الصنوبري أن نحرّك الرأس قليلاً وقت الضرب الخيالي، فإن ذلك يوجب التأثر، وأيضاً سمعناه يقول إن هذا الذكر يجب أن يكون بغير تصوّر المعنى حتى يبلغ السالك إلى إحدى وعشرين أو ثلاثة وعشرين مرة ويقدر على إتيان هذا القدر من العدد في حبس نفس واحد فإذا تدرّج إلى ههنا يأمره الشيخ بتصوّر المعنى المذكور واستعمال الذكر بالطريق المتقدم حتى يصل في حبس نفس واحد إلى العدد المذكور أيضاً، ثم بعد ذلك إن استعمل هذا الذكر كان حسنا جدّاً ومثمراً للنتائج إلا أنه سقط اشتراطه ووجوبه فلو شاء يقر عينيه بالتوجه الصرف إلى الله تعالى. وسمعناه أيضاً يقول إن رعاية العدد ينبغي أن تكون بمجرد الحفظ لا بالأصابع والسبحة ونحوه. وسمعناه أيضاً يقول: إن الذاكر إذا عجز عن الحبس لكثرته وضعف عن الذكر فلو أرسل النفس واستعمل الذكر المذكور من غير حبس كان نافعاً أيضاً وأحسن ظنك في مسموعات الشيخ ومروياته فإنه معنعن عن مشايخه قدست أسرارهم. ولقد فاز الشيخ سلّمه ربه وخصّ ببعض الأسرار الغامضة سماعاً وشفاهاً وكفاحاً بل كشفاً وعياناً وحالاً ومقاماً مما لا يوجد لها أثر في دفاتر مشايخنا أذاقنا الله تعالى من مشربهم كأساً لا نظمأ بعده أبداً لأنها مما لا تكتب غيرة ولا تطالع حيرة فضلاً عن هذه الآداب التي تتعلق بالمبتدئين فرزقنا الله سبحانه نصيباً من

Marfat.com

أسرارهم واستهلاكاً في أنوارهم.

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه يجمع همته يعني في هذا الذكر ويقطع عرق العلائق بهذا العمل الشريف ويكنس بيت صدره به إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

قال المحبوب الصمداني المجدد للألف الثاني قدس سره مجيباً لمن سأله إذا كان التوجّه من ابتداء أخذ الطريقة في درجة الذكر القلبي وغيره من اللطائف إلى الأحدية الصرفة ينبغي أن لا يجمع هذا التوجّه مع النفي والإثبات لأن التوجه في شطر النفي إلى الغير وهو ينافي صرافة الوحدة التوجه إلى نفي الغير غير التوجه إلى الغير وشتّان ما بينهما.

وأيضاً قال العروة الوثقى رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله أن الذكر مع حبس التنفس بدعة أم لا؟ فإن كان بدعة حسنة فعلى مسلك المجدد رضي الله تعالى عنه ليس في بدعة حسن فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة الذكر في حد ذاته حسن ومسنون أما الحبس فيه فيتوقف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأول وذلك ممنوع وأيضاً الحبس في الذكر علمه الخضر عليه السلام للخواجة عبد الخالق الفجدواني قدس سره ولا يحكم على عمله بالبدعة.

وفي ملفوظات الخواجة عبد الباقي قدس سره أن الخرقة في سلسلة الجشتية والسهروردية معنعنة عن رسول الله ﷺ ولم يبين الذكر المعنعن عنه ﷺ ولم يتحقق بخلاف طريقتنا فإن الذكر معنعن خال عن الانقطاع في الوسائط من الصديق الأكبر والحيدر الأبهر رضي الله تعالى عنهما إلى يومنا هذا. فسأله سائل ممن حضر مجلسه ما تقول أيها الشيخ فيمن يذكر أن في السلسلة النقشبندية وصلة الرابطة عن الصديق الأكبر والذكر عن عليّ رضي الله تعالى عنهما. قال: الذكر المسمى بالوقوف العددي لدى يعهد فيه الحبس مع ضم محمد رسول الله ﷺ إليه تعنعن عن الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه وكذا طريق الصحبة لأنه رضي الله عنه ما فارق النبي ﷺ لا في سفر ولا حضر وإنما أخذ الفيض من المصاحبة انتهى.

(الطريقة الرابعة) التوجّه والمراقبة وهي أن يلازم القلب مع [illegible] مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق والاستهلاك بحيث لا ينفك عنه في أي حال، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً حصل مبادئ الفناء.

قال في الحديقة المراقبة من باب المفاعلة طريق مستقل للوصول فينبغي للسالك أن يكون عالماً باطلاع الله عليه والتوجّه والمراقبة أعلى وأفضل من النفي والإثبات وأقرب إلى الجذبة وبمداومة المراقبة والتوجه تترتب مرتبة المشاهدة [illegible]

Marfat.com

والملكوت والإشراف على الخواطر ويمكن أن ينوّر الباطن بنور الهداية ومن داوم على المراقبة يحصل له دوام جمعية الخاطر ودوام قبول القلوب. ويقولون له في اصطلاح الصوفية الجمع والقبول.

ونقل عن الجنيد قدس سره أنه قال: أستاذي في طريق المراقبة الهرّة لأني يوماً من الأيام كنت ذاهباً في الطريق فرأيت الهرة جالسة مراقبة إلى جحر الفأرة مستغرقة إلى جحرها حتى لا تتحرك منها شعرة فحصل لي الحيرة من توجهها ومراقبتها فنوديت في سري يا دنيء الهمة لا تخليني في مقصودك أقل من الفأرة وأنت لا تكن في الطلب أقل من السنور فانتبهت، فلزمت طريق المراقبة وحصل لي ما حصل.

وفسر الخواجة عبيد الله الأنصاري قدس سره هذه الآية الكريمة ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: الآية ٢٤] أي إذا نسيت غيره ثم إذا نسيت ذكرك في ذكرك ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر فإذا نسي السالك نفسه وغيبته فهو فناء الفناء وقيل: الفاني لا يرد إلى أوصافه البشرية.

قال ذو النون قدس سره ما رجع من رجع إلا من الطريق، وإذا حصل مبادىء للفناء يليق له ذكر اللسان بلا إله إلا الله مع التدبّر الحقيقي وأقله خمسة آلاف في الملوين. وبحصول الفناء التام يحصل له أوّل درجة الولاية الصغرى وبمحض فضل الله تعالى وكرمه يتشرّف بالكبرى إذ يبقى بالله تعالى فحينئذ يحسن له الاشتغال بنوافل الصلاة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: الآية ٢١] ولا يظن الظان بسهولة الأمر فإن قطع أدنى درجة مقدار خمسين ألف سنة.

كيف الوصول إلى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية ومالي مركب ... والكف صفر والطريق مخوف

وهذه إشارة إلى إجمال هذا الشأن العظيم للتذكار وأين الإجمال من التفصيل فإنه لا تسعه الأسفار ولا يحمل عطايا الملك إلا مطاياه ولمثل هذا فليعمل العاملون انتهى.

(فصل)

وليعلم أن للقوم مصطلحات لا بد لسالكي طريقهم من ضبطها ومعرفتها والعمل بمضمونها ولما كانت هذه الطريقة الشريفة قد ظهرت في بلاد ما وراء النهر واشتهرت فيها وكان أعزة أهل تلك البلاد يتكلمون بالفارسية جرى أكثر تلك المصطلحات على لسانهم بتلك اللغة ونحن إن شاء الله تعالى نوردها بترجمتها لتكون على ذكر منها برمّتها. فمن جملة تلك المصطلحات الكلمات القدسية المأثورة عن حضرة الخواجة

Marfat.com

عبد الخالق الفجدواني قدس سره وهي إحدى عشرة كلمة وعليها مبنى طريقة السادة النقشبندية.

الأولى: (وقوف زماني) أي الوقوف والشعور المنسوب إلى الزمان، يعني اطلاع السالك على زمانه المستمر عليه وعلمه بكيفية حاله عند مضيه من حيث الحضور المستوجب للشكر والغفلة الموجبة للمعذرة والنكر.

فالطالب يجتهد كل الاجتهاد في أن لا يمضي عليه زمان ولا يجري عليه آن إلا وهو على توجه إلى المقصود الأصلي فيه وتنبه أن علم العليم الخبير محيط به فلا يعمل من عمل إلا يعلم أن الله شهيد عليه إذ يفيض فيه وعلى أي شأن يكون من تحرك وسكون يتيقن أنه سبحانه شهيد مطّلع عليه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: الآية ١٩] ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: الآية ٦١] وله مقاليد الأمور فالسالك يحاسب أعماله وأحواله في كل يوم وليلة على أي كيفية جرت عليه في ساعاتهما فيشكر على حسنها ويطلب الحسنى وزيادة ويعتذر لقبيحها ويتداركه بالندامة والإنابة وحاصل هذا الوقوف الزماني حصول اليقين للسالك أنه تعالى حاضر لديه وناظر إليه فلا يتجاوز حد العبودية حتى يلاقي معبوده.

الثانية: (وقوف عددي) أي الوقوف المتعلق بالعدد، يعني شعور الذاكر عند ذكره بعدد الذكر وقد مرّ ذكر عدده في تعداد أقسام الذكر وهذه عبرة عن الذكر المخفي مع رعاية العدد لا مجرد العدد في الذكر وذلك لحفظ الخاطر وحبسه عن التفرقة. وقال بعض الأكابر من هذه الطائفة العلية كثرة العدد ليست بشرط في الذكر وإنما المعتبرة فيه حضور القلب مع المذكور ليترتب عليه فائدة الذكر وأثره وهو انتفاء الوجود البشري عند النفي وطلوع آثار الجذبات الإلهية عند الإثبات. قيل وهذا أول مراتب المحبة الخاصة

الثالثة: (وقوف قلبي) أي الوقوف المنسوب إلى القلب وهذا محمد [illegible] باعتبار أعمال المصدر، وهو الوقوف أي وقوف القلب يعني وقوف [illegible] المذكور عند ذكره أي اطلاعه عليه بحيث لا يغيب عن مراقبته [illegible] قيل: هذا الوقوف شرط في الذكر أو وقوف الذاكر في [illegible] دم في وسط قطعة لحم مشكلة بالشكل الصنوبري واقعة في محاذاة الثدي [illegible] وتسميتها بالقلب لكونها محل القوة المتقلبة باختلاف الأفكار والتدبيرات [illegible] والوقوف عليه هو الاطلاع على حاله واشتغاله بالذكر وملاحظة مفهومه وأن لا يغفل عليه سبيلاً للغفلة أبداً وكان رئيس هذه السلسلة الجليلة ومنتسبها قدس الله [illegible]

Marfat.com

لا يعد الوقوف العددي من المهمات ويعتبر الوقوف القلبي منها.

الكلمة الرابعة: (هوش دردم هوش) بمعنى العقل ودر بمعنى ظرف ودم بمعنى النفس فالمعنى المراد عندهم أنه ينبغي للسالك العاقل أن يحفظ النفس عن الغفلة عند دخوله وخروجه ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى في جميع الأنفاس لأن حفظ الأنفاس عن الغفلة يؤدي القلب إلى الحضور مع الله تعالى وحضور القلب مع الله تعالى في الأنفاس إحياؤها بالطاعات وإيصالها إلى الله تعالى متصفة بالحياة لأن كل نفس يدخل ويخرج بالحضور فهو حي موصول بالله تعالى، وكل نفس يدخل ويخرج بالغفلة فهو ميت مقطوع عن الله تعالى.

ويجوز أن يكون كناية عن انتهاء الذاكر عن سنة الغفلة في حال الذكر لأن المقصود من الذكر استمرار ملاحظة معناه واستمرار ملاحظة معنى الذكر يؤدي إلى تجلّي ذلك المعنى وذلك لا يمكن إلا بحفظ الأنفاس عن الغفلة لأن حفظها يؤدي إلى الحضور والحضور سبب شهود تجليات الحق سبحانه وتعالى لأن لله تعالى تجليات بعدد أنفاس الخلق، فمن حفظ أنفاسه عن الغفلات كان حاضراً مع الله تعالى فيصيب من تلك التجليات.

ثم اعلم أن حفظ الأنفاس عن الغفلات عسير على السالكين فإذا دخلت الغفلة فيها فلا بد لهم أن يستغفروا الله منها لأن الاستغفار يزكّي الأنفاس عن الغفلات ويتداركها بالحسنات.

الكلمة الخامسة: (نظر بر قدم) بر بمعنى على فالمعنى عندهم أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره إلى قدميه عند المشي لئلا ينظر إلى الآفاق لأن النظر إليها يورث الحجاب في القلب لأن أكثر الحجب التي في القلوب هي الصور المرتسمة فيها من طريق النظر أو لئلا يشتغل عن الذكر بالنظر إلى المبصرات. لأن الذاكر المبتدىء إذا تعلق نظره بالمبصرات اشتغل قلبه عن الذكر بالتفرقة الحاصلة من النظر إلى المبصرات لعدم قوّته على حفظ القلب من التفرقة الحاصلة بتعلق النظر بالمبصرات أو لئلا ينظر إلى وجوه الأغيار لأن النظر في وجوه الأغيار عند الصوفية من المحظورات لأن القلوب الصافية مثل المرايا الصقيلة ينطبع فيها ما كان في القلوب القاسية من الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة بمجرد النظر إلى وجوه أصحابها أو لئلا يصيب نظره إلى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك لأن النظر سهم من سهام الشيطان فمن أصابه ذلك افتتن في طريق الله ثم ينبغي للسالك أن يغض بصره بالنظر إلى قدميه لئلا يصيبه ذلك السهم ويجوز أن تكون كناية عن علو الهمة لأن صاحب الهمة لا ينظر إلى سوى الحق سبحانه وتعالى

Marfat.com

كصاحب السرعة في المشي لأنه لا ينظر إلاّ إلى قدميه لئلا يخبط في مشيته ويجوز أن تكون كناية عن التواضع لأن أصحاب الكبر والتجبّر لا ينظرون إلى أقدامهم. ويجوز أن تكون إشارة إلى اتّباع السنة في المشي لأن النبي ﷺ كان إذا مشى لا يلتفت يميناً ولا يساراً وكان ينظر إلى قدميه متوجهاً إلى أمامه مسرعاً في مشيه كأنما ينحط من صبب.

الكلمة السادسة: (سفر در وطن) السفر عند العامة ذهاب الشخص من بلد إلى بلد والوطن ما يسكن فيه الإنسان من بيت أو بلد، فالمعنى المراد عندهم أنه ينبغي أن يكون سفر السالك من عالم الخلق إلى جناب الحق سبحانه وتعالى كما أشار إليه خليل الله عليه السلام أني ذاهب إلى ربي أو من حال إلى حال أحسن منه أو من مقام إلى مقام أعلى منه كما قال أبو عثمان المغربي قدس سره يجب على السالك أن يسافر من عند هواه وشهوته ومراده لا من بلد إلى بلد.

وإنما اعتبر أرباب السلوك السفر الظاهري للوصول إلى المرشد المربي فإذا وصل إليه يجب عليه أن يسلم أمره إليه ويقيم عنده ويترك السفر الظاهري حتى يقدر على السفر الباطني وتتم الإرادة، وكأن الشيخ الترمذي قدس سره يمنع السالك عن السفر الظاهري، ويقول مفتاح كل خير ومفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك إلى أن تصح لك الإرادة، فإذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت لك أوائل البركة فأنت في السفر إلى الله تعالى سواء سافرت من حيث الظاهر أو لم تسافر.

ثم اعلم أن المشايخ إنما منعوا السالكين عن السفر الظاهري لأن فيه المشاق والمحن لا يتحملها أهل البدايات لعدم تمكّنهم في مقام العبودية والشهود فتؤديهم تلك المشاق إلى ارتكاب المخالفة في طريق السلوك وترك الفرائض والسنن وتورث في قلوبهم التفرقة.

وأما الكاملون فلا تؤثر فيهم تلك المشاق بل تحصل لهم الترقيات إلى أعلى العاليات بسبب تحمل مشاق السفر ومحنته كما كان السلف الصالحون إذا سافروا نفوسهم في محل وحصل لهم الائتلاف مع الناس سافروا لرفع العادات وقطع الإلفة واختيار الذلة ليحصل لهم التجرد التام حتى يصلوا إلى أعلى مقام.

الكلمة السابعة: (خلوة دار انجمن) الخلوة في اصطلاح القوم معروفة وهي مكان يتخلّى فيه أهل السلوك للتعبد وانجمن جمعية الناس.

فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي أن يكون قلب السالك خالصاً مع الحق غائباً عن الخلق مع كونه بين الناس فحينئذ تكون هذه الكلمة بمعنى الحرفية، ويحتمل أن تكون كناية عن محادثة القلب بحيث لا يطّلع عليها الناس مع كونه فيما بينهم، وقيل إنه

Marfat.com

كناية عن كون الذاكر مستغرقاً في الذكر القلبي بحيث إذا دخل السوق لم يسمع أصوات الناس بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب. وقيل: إنها كناية عن استيلاء النسبة العلية بحيث لا ينافيها معية الخلق ولا يضرها المعاملة معهم.

(ثم اعلم) أن الخلوة نوعان: **الأوّل**: الخلوة من حيث الظاهر وهي اختلاء السالك في بيت خال عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الاطلاع في عالم الملكوت والشهود في عالم الجبروت لأن الحواس الظاهرة إن احتبست عن أحكامها انطلقت الحواس الباطنة لمطالعة آيات الملكوت ومكاشفة أسرار الجبروت.

والنوع الثاني: الخلوة من حيث الباطن وهي كون الباطن في مشاهدة أسرار الحق والظاهر في معاملة الخلق بحيث لا تشغله معاملة الظاهر عن مشاهدة الباطن، فيكون الكائن البائن وهذه هي الخلوة الحقيقية كما أشار إليه الله تعالى في قوله ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: الآية ٣٧].

وهذه الخلوة خاصة بالطريق النقشبندية لأن أربابها لا يختلون بالخلوة الظاهرة وإنما خلوتهم من حيث الباطن عند جمعية الناس كما قال الخواجة بهاء الدين النقشبندي قدس الله سره العزيز طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية، وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة لأن النبي ﷺ اختار الجمعية على الخلوة وقال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس.

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره ليس الكامل من صدر منه أنواع الكرامات وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوّج ويختلط بالناس ولا يغفل عن الله لحظة واحدة.

الكلمة الثامنة: (ياد كرد) ياد بمعنى الذكر وكرد أصله كردن وهو مصدر سقطت نونه للتخفيف. فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يذكر النفي والإثبات باللسان بعد وصوله إلى مرتبة المراقبة كل يوم بعدد معين مثل خمسة آلاف أو عشرة آلاف وغير ذلك.

وإنما شرطوا ذكر النفي والإثبات باللسان في هذه المرتبة لأن القلب بتعلقه بالعناصر يصدأ بصدأ العناصر فإذا ذكر النفي والإثبات باللسان ينجلي صدؤه ويترقّى في المراقبة حتى يصل إلى مرتبة المشاهدة.

وقيل: إنها عبارة عن تكرار الذكر مع الدوام سواء كان بالقلب أو باللسان وسواء كان اسم الذات أو النفي والإثبات إلى أن يحصل له الحضور بالمذكور ويجوز أن تكون كناية عن ذكر الله مطلقاً إذا حصل له النسيان عن الذكر أو الغفلة كما قال تعالى:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: الآية ٢٤] .

الكلمة التاسعة: (بازكشت) باز بمعنى الرجوع وكشت بالكاف الفارسي أصله كشتن وهو مصدر سقطت نونه فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يرجع في النفي والإثبات بعد إطلاقه نفسه إلى تخيل هذه الكلمة الشريفة، إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي وتخيل هذه الكلمة يؤكد معنى النفي والإثبات ويورث في قلب الذاكر سر التوحيد الحقيقي حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر.

فلذلك كانت الخواجكات النقشبندية يأمرون بها المريدين ليتصفوا بمضمونها بالمداومة عليها لأن من خاصية هذه الكلمة ظهور سر التوحيد وانكشاف حقيقة التجريد والتفريد. وقيل: إنها كناية عن رجوع الذاكر إلى الله تعالى عند الذكر بإظار العجز والتقصير فيه لأنه لا يقدر أحد على حق الذكر إلا بإعانته تعالى.

فلذلك ورد ما ذكرناك حق ذكرك يا مذكور وإن الذاكر لا يمكن له الحضور في الذكر ولا ينكشف له أسرار الذكر ولا يتيسر له الوصول إلى الله تعالى بالذكر إلا إذ ذكره به تعالى لا بنفسه فلذلك كانت كلمة (بازكشت) إشارة إلى رجوع الذاكر إلى الله تعالى حال ذكره ليحصل له الوصول بالذكر إلى المذكور عز وجل.

الكلمة العاشرة: (نكاه داشت) نكاه بمعنى الحفظ وداشت أصله داشتن وهو مصدر سقطت نونه فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يحفظ قلبه عند ملاحظة معنى النفي والإثبات عند الذكر لئلا تدخل فيه الخواطر فإن دخلت فيه الخواطر لا تحصل فيه نتيجة الذكر التي هي حضور القلب بالمذكور.

وقيل معناها أنه ينبغي للسالك أن يحفظ قلبه عن دخول الخواطر فيه مقدار ساعة أو ساعتين أو أقل أو أكثر وهذا المعنى يتحد بالوقوف القلبي.

(ثم اعلم) أن حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو بربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية لأن من قدر على ذلك فقد تصوف، لأن التصوف هو تخلية القلب عن دخول الخواطر وتعطيله عن الأفكار فمن قدر على هذين الأمرين فقد حفظ قلبه ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربه كما قال ﷺ من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال الشيخ أبو بكر الكتاني قدس سره كنت بوابا على باب قلبي أربعين سنة فصحت لغير الله تعالى حتى صار قلبي لا يعرف غير الله سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم حرست قلبي عشر ليال ثم حرسني قلبي عشرين سنة.

الكلمة الحادية عشرة: (ياد داشت) فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر

Marfat.com

يحفظ قلبه مع الحضور بالمذكور عند ذكر النفي والإثبات بحبس النفس وقيل هي كناية عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حال فحينئذ يتحد مع المراقبة. وقيل: هي كناية عن حفظ القلب على شهود تجلّي الذات.

(ثم اعلم) أن الحضور الحاصل من الذكر والمراقبة والصحبة والرابطة وكلمة ياد داشت متحدة من حيث الحقيقة لأن الحضور شهود أنوار الذات الأحدية لكنها مختلفة من حيث الكيف لا يعرف ذلك الاختلاف إلاّ الخواص.

(فصل)

وإذا وقع للمريد في أثناء الذكر والاشتغال تفرقة أو وسوسة أو قبض فينبغي له كما قاله الشيخ تاج الدين العثماني قدس سره أن يغتسل بالماء البارد، فإن لم يقدر على ذلك لعدم مساعدة المزاج فبالحار، وبعد ذلك يلبس قميصاً نظيفاً ويدخل الخلوة ويصلي ركعتين مع التضرّع والاستكانة ويستغفر الله تعالى من جميع ذنوبه ما علم منها وما لم يعلم ويعزم على أن لا يعود إلى شيء من ذلك، وحينئذ يتوجّه لحاله لزوال الوسوسة أو القبض أو عود وقته فإن لم يجد وقته واستمرّت التفرقة أو القبض معه فليحضر في خياله صورة شيخه الكامل المربي له، فإنه يرجي له زوال ذلك ببركته وإن لم يزل وبقيت تلك التفرقة أو القبض، فليقل: يا فعال بتشديد العين المهملة ومدها فإن لم ترتفع التفرقة بذلك فقل إن هذه التفرقة منه تعالى، وأذن في ذلك المفرق واستغرق فيه فتصير في عين الجمع حينئذ وقيل أن تبق التفرقة مع هذه الملاحظة فحيث كانت الخطرة معلقة بالأعمال كمثل الميل إلى شراء فراش أو نحوه مما يباح شرعاً فليبادر لفعله أو يخرجها من قلبه حتى تكون الخطرة له كعدو يبذل جهده في دفعه، ونفي ثلاثة خواطر لازم الخاطر النفساني والخاطر الشيطاني والخاطر الملكي.

ويثبت الخاطر الحقاني ومعرفة الخواطر وتمييزها عسير ولنبينها بعض بيان فإن حصول خاطر النفس من أرض القلب يعني من تحت القلب، وخاطر الشيطان من القلب والذي من الملك يكون من يمين القلب، والذي من الحق يكون من فوق القلب، وهذا يصح معرفته لمن تحلى بالتقوى والزهد والورع وأكل الحلال الطيب، وكان دائماً مراقباً خواطره ولا يترك خاطر الغير يمر ببال له والمقصود أن يكون لوقته فليس شيء أعز من الوقت فإن الوقت سيف قاطع، إذا فات الوقت لا يتدارك ويمكن حفظ الأوقات بالذكر والمراقبة والصلاة والتلاوة وأكابر السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم اختاروا من جملة وظائف تلاوة القرآن بالليل الفاتحة، وقل يا أيها الكافرون، وسورة الإخلاص والمعوّذتين وخواتيم سورة الحشر وخواتيم سورة البقرة، ومن جملة وظائف تلاوة

Marfat.com

القرآن بالنهار سورة يس.

قال حضرة الخواجة علي الداميتني قدس سره إذا اتفقت ثلاثة قلوب على إيجاد أمر حصل مراد العبد قلب العبد المؤمن بذلك وقلب القرآن يس. وقلب الليل يعني إذا قرأت يس التي هي قلب القرآن في التهجّد حصل ذلك.

ومن جملة وظائف صلاة النوافل التهجّد والإشراق والاستخارة والضحى فالتهجّد اثنتا عشرة ركعة على هذا الترتيب يقرأ في الركعة الأولى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: الآية ١١]، وفي الركعة الثانية إلى ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: الآية ٢١]، وفي الثالثة إلى قوله تعالى: ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: الآية ٣٢]، وفي الرابعة إلى قوله سبحانه: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: الآية ٤٠]، وفي الخامسة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: الآية ٥٠]، وفي السادسة إلى قوله عز وجل: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: الآية ٦١]، وفي السابعة إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: الآية ٧١]، وفي الثامنة إلى آخر السورة وإن لم يحفظ سورة يس فليقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ولا يصلي التهجّد أقل من أربع ركعات ووقت التهجد الثلث الأخير كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: الآيات ٢ـ ٤] قال صاحب قوت القلوب قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: الآية ١٧]، والهجوع النوم والتهجّد القيام فلا يكون التهجّد إلا بعد النوم.

وفي كتاب المبتغى لا يكون التهجّد إلا بعد النوم والتهجّد صلاة بعد النوم.

وقد روي عن النبي ﷺ فإذا صلى الصلاة المذكورة جلس جلوساً منوجهاً إلى القبلة إلى الصبح ويشتغل في توجهه بالمراقبة والذكر وإن غلبه النوم نام لكنه يقوم قبل الصبح ويتوضأ ثم يصلي سنة الصبح في بيته ويشتغل بالاستغفار بطريق الخفية كما ذكرنا هذه السلسلة ويذهب إلى المسجد مستغفراً في طريقه، وإذا صلى الصبح [illegible] جلس في موضعه مشتغلاً بوظيفته الباطنية إن وجد الجمعة [illegible] بوظيفته إلى أن تطلع الشمس، وبعد ذلك صلى ركعتين بنية الإشراق وقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثم يصلي بعد ذلك ركعتين بنية الاستخارة وهي معروفة وإذا كان له أمر مهم دنيوي كاكتساب معيشة توجه إليه مع الحضور واليقظة وبعد هذا الدعاء: اللهم كن وجهتي في كل جد ومقصدي في كل قصد وغايتي في كل مطلوب وملجئي وملاذي في كل هم ووكيلي في كل أمر وتولني بحسن [illegible]

Marfat.com

حال، ويكون دائماً متوجهاً للقلب الصنوبري كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُور: الآية ٣٧]، فإذا فرغ من مهماته الدنيوية توضأ وضوءاً جديداً ودخل خلوته وأوّل ما يجلس يستحضر صورة شيخه ثم يشتغل بوظيفته من المراقبة والذكر.

وأما صلاة الضحى فاثنتا عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص ثلاث مرات ولا يصليها أقل من أربع ركعات ولا ينبغي أن يصليها في أوّل وقتها بل يؤخرها إلى أن يمضي ربع النهار كما جاء في المشكاة عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أنه رأى قوماً يصلون الضحى فقال لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل. إن رسول الله ﷺ قال صلاة الأوّابين حين ترمض الفصال. رواه مسلم. ومعنى الرمض شدة الحر من وقع الشمس على الرمل ونحوه. أي إذا وجد الفصيل حر الشمس والفصيل ولد الإبل، وبعد صلاته إذا حضر الطعام تناوله وإن أكل مع الأصحاب كان حسناً وإلا فمع أهله وأولاده ولا يأكل وحده بقدر الإمكان وبعد ذلك يقيل ثم يحضر إلى المسجد أوّل وقت الظهر لصلاة الجماعة، ثم إن كان له شغل قضاه إلى صلاة العصر ثم يحضر المسجد أوّل الوقت أيضاً لصلاة العصر جماعة، ويجلس بعد صلاة العصر مكانه ويشتغل بوظيفته الباطنية ولا يضيع هذا الوقت بقدر الإمكان ويحاسب نفسه فيه.

وحفظ ما بين العشاءين عندهم من أهم المهمات، وبعد صلاة العشاء يقرأ في أثرها قل يا أيها الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوّذتين وآخر سورة الحشر وآخر سورة البقرة مع الحضور وينام مشتغلاً بالذكر. ويقول قبل نومه هذا الاستغفار ثلاثاً، أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

وهذه أحوال الصوفية ذوي الشغل لا الصوفي الفارغ البال فإن ذلك ينبغي له أن يكون في ليله ونهاره مستغرقاً ومستهلكاً في الحق سبحانه وتعالى كما قال أبو عباس القصاب رضي الله عنه، عندي لا مساء ولا صباح فإن باله غارق في لجة الفناء وظاهره حاضر لما يصدر من الأحوال والأفعال.

وأهل الفناء والبقاء بعد الطلب والمجاهدة تفردوا بالوصول إلى طمأنينة الوجدان والسرور والمشاهدة، وهم في عين المزاد رجعوا عن المراد بغير مراد ورأوا المقامات والكرامات حجاباً وأبعدوا مشرب القلب عن كل حظ جسماني وروحاني والوصول إلى مرتبة الفناء موهبة محضة واختصاص إلهي، والسنة الإلهية جارية على أن العطاء المحض الذي هو حقيقة الموهبة لا يكون عارية ولذلك كان لا رجوع فيه ولذلك قالوا

الفاني لا يرد إلى أوصافه.

وقال ذو النون قدس سره ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصل ما رجع انتهى.

(فصل)

واعلم أن المريد الصادق إذا اشتغل بالذكر على وجه الإخلاص يظهر عليه أحوال عجيبة وخوارق غريبة وهي ثمرات أعماله من فضل الله تعالى عليه، إما تطميناً لقلبه وتأنيساً وإما ابتلاء من الله تعالى وامتحاناً له. فالواجب عليه أن لا يلتفت إليها ولا يغتر بها لئلا ينقطع بها عن مقصوده ولهذا قال العارفون أكثر من انقطع من المريدين بسبب وقوعهم في باب الكرامات، بل الكرامات العظمى الوقوف على حدود الشريعة الغراء واتباع السنة الواضحة البيضاء.

(قال) سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره كما نقله العارف الجبلي قدس سره في الأسفار عنه، الكرامة من الحق من اسمه البر ولا تكون إلا للأبرار من عباده جزاء وفاقاً فإن المناسبة تطلبها وإن لم يقم طلب بمن ظهرت عليه وهي على قسمين حسية ومعنوية فالعامة ما تعرف الكرامة إلا الحسية مثل الكلام على الخواطر والأخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والأخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الأرض والاختجاب عن الأبصار وإجابة الدعوة في الحال فالعامة لا تعرف الكرامة إلا مثل هذا.

وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى، والعامة لا تعرف ذلك وهي أن يحفظ عليه أدب الشريعة وأن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق، واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل للناس من صدره والحسد والحقد، وطهارة القلب من صفة [illegible] بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي [illegible] قلبه ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب [illegible] الحضور هذه كلها عندنا هي كرامات الأولياء المعنوية [illegible] استدراج، فإن ذلك كله دليل على الوفاء بالعهد وصحة [illegible] الموجود، ولا يشاركك في هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون وأهل الله المصطفون الأخيار.

وأما الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر [illegible] فرضناها كرامة فلا بد أن تكون نتيجة من استقامة لا بد من ذلك وإلا [illegible]

Marfat.com

وإذا كانت الكرامة نتيجة استقامة فقد يمكن أن يجعلها الله تعالى حظ عملك وجزاء فعلك فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها.

وما ذكرناه من الكرامات المعنوية فلا يدخلها شيء مما ذكرناه فإن العلم يصحبها وقوّة العلم وشرفه يعطيك أن المكر لا يدخلها فإن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلهي فإنها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة والعلم يعصمك من العجب بعملك، فإن العلم من شرفه أنه يستعملك وما استعملك جردك منه وأضاف ذلك إلى الله تعالى، وأعلمك أنه بتوفيقه وهدايته ظهر منك ما ظهر من طاعته والحفظ لحدوده فإذا ظهر عليه شيء من كرامات العامة ضج إلى الله تعالى منها وسأل الله ستره بالعوائد وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم فإن العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل به فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالعلماء هم الآمنون من التلبيس، فالكرامة من الله تعالى بعباده إنما تكون للوافدين عليه من الأكوان ومن نفوسهم لكونهم لم يروا وجه الحق فيهما فأسنى ما أكرمهم به من الكرامات العلم خاصة لأن الدنيا موطنه، وأما غير ذلك من خرق العادات فليست الدنيا بموطن لها ولا يصح كون ذلك كرامة إلا بتعريف إلهي لا بمجرد خرق العادة وإذا لم يصح إلا بتعريف إلهي فذلك هو العلم، فالكرامة الإلهية إنما هي ما يهبهم من العلم به سبحانه.

سئل أبو يزيد عن طي الأرض فقال قدس سره: ليس بشيء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة وما هو عند الله بمكان.

وسئل عن اختراق الهواء فقال قدس سره: إن الطير يخترق الهواء والمؤمن عند الله أفضل من الطير فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر، وهكذا علل جميع ما ذكر له ثم قال: إلهي إن قوماً طلبوك لما ذكروه فشغلتهم به وأهلتهم له اللهم مهما أهلتني لشيء فأهّلني لشيء من أشيائك أي من أسرارك، فما طلب إلا العلم لأنه أسنى تحفة وأعظم كرامة. انتهى.

(تكميل) قال صاحب الحديقة وقد أمر شيخنا أعني حضرة مولانا ضياء الدين الشيخ خالد أمدّنا الله بمدده المريدين بقراءة صيغة جامعة من الصلاة على النبي ﷺ دبر الصلاة المفروضة وهي هذه: اللهم صلّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمّهات المؤمنين وذرّيته وأهل بيته وصحبه كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، اللهم وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وصحبه كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل إبراهيم في

Marfat.com

العالمين إنك حميد مجيد، وكما يليق بعظيم شأنه وشرفه وكماله ورضاك عنه وما تحب وترضى له دائماً أبداً عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضا نفسك وزنة عرشك أفضل صلاة وأكملها وأتمّها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلم تسليماً كذلك، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم والتابعين، وعلى أهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. وأمرهم بعشر صباحاً وعشر مساءً من قول اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك، عدد معلوماتك وبارك وسلم.

كذلك ولم يزل يحث المريدين على تصحيح العقائد الإسلامية بمقتضى آراء الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الأشعرية والماتريدية للشافعية والحنفية، وتعلم فروع الفقه والإكثار من الاشتغال بالاستفادة والإفادة للعلوم والإخلاص وترك الجدال والمراء وتعظيم العلماء وتطييب الكتب للفقراء والتعسف والقناعة والزهد والإعراض عما سوى الله تعالى بحسن الأخلاق والأدب وغير ذلك من الأمور الحسنة. وينهاهم عن ضد ذلك جزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء ورضي عنه يوم اللقاء آمين. انتهى.

أقول وقد أمرنا قدس سره أيضاً أن نقول ثلاثاً صبحاً وثلاثاً مساءً ومرة مرة يوم الجمعة أو ليلتها صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته. وأمرنا أن نتوكل كل يوم أربعين مرة يا صمد وأخبرنا بأن ذلك أمان من داء الجوع وأمرنا كل يوم بقراءة سبع وعشرين مرة رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات.

وأخبرنا قدس سره بأن ذلك من أعظم المكفرات للغيبة وأمرنا قدس الله سره إذا صلينا الصبح أن نجلس مع المريدين لقراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت نقرأ ختم الخواجكان ونتوجه للمريدين على الهيئة المعروفة وذلك بعد صلاة المغرب نفعل ذلك، ولكن لهذا الختم المبارك شرطان: **الأول**: أن لا يحضر [illegible] ليس داخلاً في طريقتنا، **والثاني**: أن يغلق الباب والدليل على ذلك [illegible] أوس بن شداد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ [illegible] والاستغفار خمساً وعشرين مرة أوله، والحاصل [illegible] قراءة الفاتحة سبع مرات ثم الصلاة على النبي ﷺ [illegible] أفضل ثم قراءة ألم نشرح لك صدرك تسعاً وسبعين مرة ثم قراءة قل هو الله أحد مرة وواحدة، ثم قراءة الفاتحة سبع مرات كما تقدم ثم الصلاة على النبي ﷺ [illegible] كما سبق. ثم يهدي ثوابها إلى صحيفة النبي ﷺ وإلى آله وأصحابه [illegible]

Marfat.com

والمشايخ والأحسن أن يدعو بالدعاء المنقول عن جناب حضرة سيدنا وشيخنا المكرم قدس الله تعالى سره وأفاض علينا فيضه وبره وهو بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك عدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك، وأوصل مثل ثواب ما قرأناه وما قرأه أحد من المؤمنين والمؤمنات عموماً والمنتسبين إلى الطريقة النقشبندية خصوصاً في آفاق العالم ومشارق الأرض ومغاربها بعد القبول إلى روح كل من صار سبباً لقراءته وكل من الحضار وآبائهم وأمهاتهم وكل مؤمن ومؤمنة، وكل ولي وولية وكل من سادة السلسلة النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية وكل من آباء كل وأمهاته ومشايخه وخلفائه ومريديه ومنسوبيه ومحسوبيه المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وثواباً مثل أضعاف ذلك كما تحب وترضى إلى ساحة سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وإلى روح كل من آله وأولاده وأزواجه وأصحابه وإخوانه من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وآل كل أجمعين واحشرنا معهم بفضلك آمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أبد الآبدين في كل لحظة وحين والحمد لله رب العالمين.

(فصل في الفناء والبقاء)

سألوا حضرة الخواجة نقشبند قدس سره عن الفناء كم وجه هو، فقال على وجهين، وإن قال الأكابر أنه أكثر من ذلك، لكن يرجع الكل إلى هذين الوجهين، **الأوّل**: الفناء عن الوجود الظلماني الطبيعي، **الثاني**: الفناء عن الوجود النوراني الروحاني. والحديث النبوي ناطق بهذين الوجهين، إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة فالفناء الأوّل هو أنه بواسطة ظهور الحق تعالى حتى يذهب الشعور بالسوي أعني موجودات العالم الظلماني، والفناء الثاني هو فناء الفناء، وهو أن يذهب الشعور بالفناء أيضاً فلا يبقى للوجود الروحاني شعور لأن الشعور من صفات الوجود الروحاني صفة لازمة، فإذا ذهب الشعور بالشعور لزم أن يذهب الوجود الروحاني في هذا المقام يكون الروح ذاكراً والقلب ساجداً وصحبة السالك في هذا المقام صحيحة.

وأما تربيته وطلبه للمريد فغير صحيح وذكر القلب هو أن يكون الحضور مع الحق سبحانه والحضور مع الخلق بالنسبة إليه سواء يعني أن يجمع هذا مع هذا وذكر اللسان لا يحتاج إلى بيان وذكر الروح هو أن يكون الحضور مع الحق عز وجل غالباً على الحضور مع الخلق.

Marfat.com

وذكر السر هو أن لا يكون له حضور مع غير الحق تعالى ولا يكون له خبر من الكون وذكر الخفي هو أن يخفي وجود الروح خفاء يكون في السر فلا يبقى غير المذكور والحاصل. إن الغير يذهب بتمام وجهته في الخفاء وفي هذا المقام يتحقق السير في الله تعالى، فإن العبد بعد الفناء المطلق الذي هو فناء الذات وفناء الصفات، يخلع عليه الوجود الحقاني حتى يتّصف في ذلك الوجود بالأوصاف الإلهية ويتخلّق بالأخلاق الربّانية.

وفي هذا المقام يتحقق بمرتبة بي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي وبي يعقل، فإن الذات والصفات الفانية في هذا المقام تتبدل بكون الوجود هو الباقي خارجة من قبر الخفاء في محشر الظهور وتصرفات جذبات الحق تعالى، حينئذ تستولي على باطن العبد ويذهب من باطنه جميع الوساوس والهواجس ويتصرف فيه الحق سبحانه حينئذ ويعزله بالكلية حينئذ عن تصرفه في نفسه وفي هذا المقام يكون العبد محفوظاً من مجاوزة الوظائف الشرعية من الأمر والنهي، وهو دليل على صحة حال الفناء والبقاء.

قال الشيخ أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى في هذا المعنى، كل باطن يخالفه الظاهر فهو باطل وبعد التحقق بالفناء والبقاء يعني السير إلى الله تعالى والسير في الله تعالى وهو الذي بعد الفناء يتحقق السير عن الله تعالى وبالله تعالى الذي هو مقام التنزّل إلى مبلغ عقول الخلق لدعوتهم إلى الحق.

وهذا مقام الخواص من الأنبياء والمرسلين وفي مقام التنزّل هذا يرجعون في كل أمر إلى الحق تعالى متضرعين مستغفرين والأولياء في هذا المقام لهم من متابعة الأنبياء نصيب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: الآية ١٠٨] لأن الشيخ في قومه كالنبي في أمته وفي هذا المعنى طلب المريد والتربية، صحيح بشرط إجازة الشيخ في هذا المقام كالمتصرف بفعل ما كان منسوباً له ولكنه ليس منه لأنه عزل عن التصرفات البشرية بالكلية إذ رميت، ولكن الله رمى، يمكن أن يكون بهذا المعنى.

(فصل في طريق التصرف في باطن المريد ودفع المرض)

اعلم أن الدخول في حمل الحملة عن الناس له طريقان:

فالطريق الأوّل: أنه إذا وقع بالشخص مرض أو ابتلي بمعصية فليس من الشيخ ويصلي ركعتين ويتوجه بالتضرّع والانكسار إلى الله تعالى ويطلب منه أن يدفع المدد عما عرض له ويزيله عنه.

Marfat.com

والطريق الثاني: أن يجعل صاحب المرض نفسه ويثبتها مقام صاحب المرض المذكور ويشغل خاطره في هذا المقام بتوجه همّته إلى دفع ذلك العارض عنه والأخذ في الضمان مكان ذا أيضاً فإذا كان الشخص نافع الخلق وأشرف على الموت وكان ذلك قبل نزول حضرة عزرائيل عليه السلام فإنه بعد نزوله رجوعه خالياً محال، ولا بد من بدل فعند ذلك يثبته مكان أعضائه ويتوجه بهمّته والمدد في المرض أنواع:

الأوّل: أن يتوجه بهمته إلى رفع ذلك المرض ودفعه عنه.

الثاني: أن يتحمل ذلك عنه في نفسه.

الثالث: أن يتوجه في دفع الخواطر المتفرقة عنه من غير أن يتعرّض لدفع المرض لما فيه من رفع الدرجات لأن المرض موجب لتنقية وتصفية القوى الدماغية وأن ذلك النور المطلق البسيط لا تحتمله الموجودات الذي هو مقصود جميع المكوّنات والخواطر مانعة لظهور هذا المعنى والتصرف في طالب الحقيقة هكذا أيضاً بأن يجلسه في مقابلته ويقول له فرّغ نفسك من كل خاطر ثم يتوجه لرفع الحجاب الظلماني ثم يتوجّه لرفع الحجاب النوراني.

وإذا حصلت له الغيبة فلا يتوجه له إلا إذا حصلت له عقدة فيزيلها والذي ينسب إلى شخص من الأحوال الآتية أنه إذا حضره أجنبي وحصل في الخاطر من مقتضيات أنفاسه لائح من إيمان أو صلاة أو صوم أو تحصيل علم ديني يقولون حصل منه نسبة الإسلام والديانة ونسبة العلم.

والحاصل أنه ظهر بسبب هذا الوصال هذا المعنى وكان وجوده في الخاطر من مقتضيات أنفاسه وإن ظهر من وصوله لائح المحبة والعشق يقولون ظهر منه نسبة الجذبة وفي معرفة أحوال الميت فإنه يجلس محاذي القبر ويقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص اثنتي عشرة مرة ويخلي نفسه من كل خاطر فكل ما لاح له بعد ذلك فهو منه.

وإذا وقع من المريد سوء أدب، فلا ينبغي للشيخ أن يسعى في سلب حاله ولكنه يتوجّه بهمته على الطريق المعهود في دفع الظلمة والكدورة عنه أو يأمره بذكر النفي والإثبات فترتفع عنه تلك الظلمة بهذا الطريق بأن يلاحظ في جانب النفي لجميع المحدثات بنظر الفناء وفي جانب الإثبات بنظر البقاء يتصوّر ذات المعبود الحق بالبقاء.

(فصل في الآداب الظاهرة مع الحق سبحانه)

هي أن يكون ذلك المريد دائماً قائماً بالأوامر الشرعية ويكون دائماً على الطهارة.

(قلت) وهي على اثني عشر وجهاً كما قال الإمام النيسابوري رحمه الله تعالى

Marfat.com

طهارة الفؤاد وهي صرفه عما دون الله تعالى وطهارة السر وهي رؤية المشاهدة وطهارة الصدر وهي الرجاء والقناعة، وطهارة الروح وهي الحياء والهيبة وطهارة البطن وهي أكل الحلال والعفة وطهارة البدن وهي ترك الشهوات وكسر الهوى وطهارة اليدين وهو الورع والاجتهاد وطهارة المعصية وهي الحسرة والندامة وطهارة اللسان وهو الذكر والاستغفار وطهارة التقصير وهو خوف الخاتمة.

قال أبو يزيد منعت الحائض الصلاة لنجاستها فكيف بنجاسة المعصية فكما أنها ممنوعة من الخدمة فمخوف أن يكون العاصي ممنوعاً من الخدمة. انتهى.

وأن يكون دائماً مستغفراً محتاطاً في جميع الأمور متبعاً لآثار السلف الصالح عاملاً بها والآداب الباطنة هي أن تحفظ قلبك من خطور الأغيار سواء كان خيراً أو شراً، فإنهما في الحجاب سواء آداب النبي ﷺ على هذا القياس وآداب الأولياء هي أنك في مجالستهم تحفظ خواطرك ولا تتكلم بحضرتهم بصوت عال ولا تشتغل بحضورهم بصلاة النوافل، وإن صلّيت معهم فحسن ولا تتكلم في أثناء كلامهم بل لا تتكلم معهم من غير أن يسألوك وكل ما يكرهونه اجعله مكروهك ولا تنظر في بيوتهم إلى أسبابهم وحوائجهم ولا يخطر ببالك رواحك إلى شيخ آخر وأخذك عنه، بل اعتقد أن شيخك هذا هو الذي يوصلك إلى مولاك ولا تعلق قلبك بسواه، فإن ذلك موجب لتفرقك.

والحاصل أن كل ما يكون طبع الإنسان فارقه وتجنبه فإن سوء الأدب مع المشايخ خاصة يقتضي بعد الطريق وعدم حصول الفيض فينبغي لك أن لا يكون في قلبك ونفسك غير الحق واسمه وكن دائماً مع الحق ولا تجد الغفلة إليك سبيلاً. وما أحسن ما قيل

إذا كنت في وقت عن الحق غافلاً فأنت به في الكفر لكن بخفية

فإن دمت في ذا الحال صاحب غفلة ينالك من الإسلام بعد بجفوة

وخطور الأغيار إنما يكون من رؤية الألوان والأشكال، ويكون من مطالعة الكتب ومن الصحبة المعروفة، فينبغي للسالك أن يكون أياماً بغير ملاحظة لأغيار في حضرة شيخه صاحب صولة، ويتم له به سعادة المعية، ليحصل له بركته ومحبته والجمعية، فمن ملك الحضور حصل له الرضا والتسليم للقضاء وهو غاية العبادة وكمال الإسلام في التسليم والتفويض فإن صاحب التسليم لو طرق في قلبه طروق اللعنة كإبليس لكان راضياً من حيث أنه قضاء الحق وتقديره مثل رضا عبده بإسلامه لأن الطالب الصادق راض بقضاء الله تعالى وقدره، لا يفعل نفسه وإذا وقع للطالب مكروه وحصل التفاوت عنده فهو عبد نفسه، وإن لم يحصل عنده تفاوت فهو عبد ربه وهذا أصل كل أمر وأساسه فبهذا ينبغي لك أيها السالك أن تكون دائماً له عبداً

كما أنه تعالى وتقدّس دائماً لك رب ولله درّ القائل:

إذا كان في مدح وذم تفاوت لديك فأصناماً لعمري تعبد

وهذا أصل اتفق عليه أكابر الخواص في سائر الطرق وذكروه في كتبهم كما قاله الشيخ تاج الدين قدس سره، وفي الأسفار للعارف الجيلي قدس سره.

واعلم أن النفس الناطقة التي هي الأمر العاقل المدرك من الإنسان هي التي تستحضر المذكور وتتوجه إليه حالة الذكر، فبسبب إعراضها عن الهيكل وأحواله بلزوم الخلوة وتعطيل القوى ودوام التوجه والمراقبة، تنسلخ عن الهيكل وتلتحق بالملا الأعلى وليس انسلاخها عنه إلا نفس التفاتها إلى حقيقتها بواسطة الإعراض عنه، لأنها لما تعلقت به وغرقت في بحر محبته واشتغلت بتدبيره وعشقت ما حصل لها بواسطة من طريق الحواس غفلت عن نفسها حتى أنها لم تثبت إلا إياه لشدة اتحادها به، وصح في حقها قول أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فإذا أعرضت عنه واشتغلت بما هو خارج عن عالم الأجسام، بل من عالم الإمكان لظهور قبائحه عندها وتحققها بأنه من الغابرين وتحكم هذا فيها امتازت عنه من حيث أن اتحادها به ما كان إلا من حيث الشعور ولا يتحكم هذا فيها إلا إذا ثابرت عليه وصار ملكة لها، وهو لا يصير ملكة لها إلا إذا لم تتوجه إلى غيره ولا تلتفت إليه أصلاً وتدوم على ذلك بحيث يستغرقها هذا التوجه ويأخذها عن غيره وعند ذلك تمتاز عن الهيكل وتدبره باختيارها وتصير نسبة سائر الأجسام إليها كنسبته إليها، ولهذا تؤثر في أيّ جسم أرادت مثل ما تؤثر فيه وإذا وصلت إلى هذه المرتبة وارتقت عن شهود الأجسام ولوازمها ولم يبق لها مشهود إلا إمكانها وأحكمت التوجه إلى من هو خارج عن عالم الإمكان في هذه الحالة وتحكم سلطانه فيها أدى ذلك إلى انحجاب إمكانها عنها لاستغراقها في الواجب بالتوجه إليه، فاتحدّت به مثل اتحادها السابق بالهيكل وقالت أنا الحق وسبحاني ما أعظم شأني وما هذا إلا لمغلوبية شعورها، فإنها لم تتحد بالواجب سبحانه وتعالى بل استغرقت في التوجه إليه بحيث غفلت عمن سواه، فظنت أنها هو كما ظنت أوّلاً أنها عين الهيكل وهي غيره فافهم فإنه من لباب المعرفة والله أعلم. انتهى.

Marfat.com

(خاتمــة)

نسأل الله تعالى حسنها، وفيها ثلاثة فصول:

الفصل الأول

في بعض مناقب إمام الطريقة وغوث الخليقة العالم الرباني والهيكل الصمداني حجة الله على العارفين ونعمة الله على العالمين محيي سنة سيد المرسلين وملاذ الفقراء والمساكين معدن الأسرار الصدّيقية ومركز دائرة المعارف البسطامية من بدايته النهاية ونهايته ليس لها غاية بهاء الحق والحقيقة والدين المعروف بشاه نقشبند الشيخ محمد الأويسي البخاري قدس الله سره وأفاض علينا وعلى السائرين فيضه وبره.

قال في الرشحات كانت ولادته في المحرم سنة ثمان عشرة وسبعمائة في زمان الخواجة علي الرامتيني عليه الرحمة والرضوان بناء على أنه كانت وفاة الخواجة علي في شهور سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وكان مولده ومدفنه في قصر العارفين وهي قرية من بخارى على فرسخ منه، وكانت آثار الولاية وأنوار الكرامة من أياه المفتولية ظاهرة على جبهته نقل عن والدته أنها قالت: قال ولدي بهاء الدين وكان ابن أربع سنين أن هذه البقرة تلد عجلاً تكون جبهته بيضاء فولدت البقرة بعد أشهر كما قال وكان الخواجة من مقبولي الخواجة محمد بابا السماسي كما مر وكان تعليم آداب الطريقة له على حسب الظاهر من الأمير كلال لكن في الحقيقة كان أويسياً ربته روح الخواجة عبد الخالق الغجدواني.

(واعلم) أن من زمان الخواجة محمود انجير الفغنوي إلى زمان لا... يجتمعون للذكر بالجهر فلما جاء الخواجة نقشبند ترك ذكر الجهر ... كان مأموراً من روح الخواجة عبد الخالق الغجدواني بعض أهل ... فاجتنب الذكر الجهري حتى أنه كان يخرج وقت جمع خلقه ... كلال، وكان يثقل هذا المعنى منه على أصحابه ويغارون منه ... يلتفت إليهم ولا يتوجه إلى إصلاح خواطرهم ولا يترك من خدمة الأمير ... مقدار خردلة وكان مستسلماً ومنقاداً لأمره والأمير كان ملتفتاً إليه ...

Marfat.com

التفاته إليه حتى إن كثيراً من أصحابه دخلوا خلوته ونسبوا إليه بعض النقصان من الغيرة، فما أجابهم الأمير كلال بشيء حتى أنه ذات يوم اجتمع أصحابه الصغار والكبار لعمارة المسجد فبعد الفراغ من شغل العمارة اجتمعوا كلهم عند الأمير، فالتفت الأمير إلى الذين كان لهم سوء ظن بالخواجة نقشبند وكانوا ينسبون التقصير إليه عند الأمير، فقال لهم تظنون بالخواجة بهاء الدين كذا وكذا، إن هذا الظن كله غلط وغير صحيح، قد قبله الله تعالى ولكنكم ما عرفتموه ونظري والتفاتي تابع لقبوله تعالى.

وبعد الفراغ من هذا الكلام طلب الخواجة بهاء الدين، وكان يحمل اللبن للعمارة فلما جاء التفت إليه وقال: يا ولدي قد وفيت وصية الخواجة محمد بابا السماسي في حقك، وأشار بثديه وقال جففت ثديي في تربيتك لكن استعدادك رفيع قوي فأجزت لك أن تروح وتدور في الملك فإن تجد المشايخ فاطلب منهم على حسب استعدادك، فقال الخواجة نقشبند رحمه الله تعالى عليه أن هذا النفس من الأمير صار سبب ابتلائي.

ثم صحب الخواجة سبع سنين مولانا عارفاً ثم صحب قثم شيخ ثم صحب خليل اتا إلى اثنتي عشرة سنة وسافر إلى الحجاز مرتين وفي السفر الثاني كان الخواجة محمد بارسا معه، فلما وصل خراسان أرسل الخواجة محمد بارسا وغيره إلى نشابور بطريق باورد وتوجه الخواجة إلى تاياباد لزيارة مولانا زين الدين التايبادي وصحبه ثلاثة أيام، ثم إلى الحجاز واجتمع مع الأصحاب في نشابور وبعد الحج راح إلى مرو وأقام فيه مدة ثم إلى بخارى وجلس فيه إلى آخر عمره، وأوصى الأمير كلال في مرض موته لجميع أصحابه باتّباع الخواجة نقشبند رحمه الله تعالى، فقالوا له إن الخواجة نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه، فقال إن كل ما أعطاه الله تعالى فيه حكمة، فلا تخالفوه. انتهى.

وقال الشيخ أحمد بن علان في مقاماته: نقل حضرة الخواجة علاء الدين العطار قدس الله سره عن لفظ حضرة الخواجة المقدس أنه كان يقول: من عنايات حضرة الحق تعالى بي أني تشرّفت في أيام الطفولية بنظر حضرة الشيخ الكبير الخواجة بابا السماسي قدس الله روحه وقبلني أن أكون له ولداً.

ونقل عن جد حضرة الخواجة أنه لما مضى ثلاثة أيام من ولادة ولدي بهاء الدين وصل حضرة الخواجة بابا السماسي قدس الله سره مع جمع من أصحابه إلى قصر الهندوان ولي بحضرته إرادة ومحبة تامة، وكان من محبيه في ذلك الموضع ناس كثير فخطر ببالي أني أذهب إليه بولدي هذا فجعلت على صدره شيئاً من النذر وذهبت به إليه بتمام التضرّع والانكسار.

Marfat.com

فقال رضي الله تعالى عنه هذا ولدي وأنا قبلته ثم بعد ذلك توجه بوجهه إلى الأصحاب وكان في ذلك المجلس حضرة السيد كلال قدس سره فتوجه إليه بالخطاب وقال: كم مرة وصلت إلى هذا الموضع وكنت أقول لكم أن تلك الرائحة زادت، وكان ذلك المولود ولد فإن الرائحة تجيء أكثر وهذا الولد ذلك الرجل أرجو أن يكون هذا الولد مقتدي العالم.

نقل عن حضرة الخواجة علاء الدين طيب الله ثراه أنه في أيام دولة حضرة الخواجة قدس الله سره كان بعض أصحاب حضرة الخواجة محمد بابا السماسي نوّر الله مرقده في قصر الهندوان وكان يقول إنه قبل ولادة حضرة الخواجة بهاء الدين قدّس الله سره كان حضرة الخواجة بابا يأتي لقصر الهندوان كثيراً ويذكر في مجالس صحبته أنه عن قريب يصير قصر الهدوان قصر العارفين والحمد لله قد ظهر في هذا الزمان نفس حضرة الخواجة بابا المبارك.

ونقلوا أن الخواجة علاء الدين قدس سره نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه قال: كنت في سن ثمانية عشر أو أكثر وكان جدي عليه الرحمة يسعى أني[1] بالسرعة أتأهل فأرسلني لحضرة الشيخ الكبير خواجة محمد بابا قدس سره بسماس بستدعاء منه، وحين وصلت إلى تلك البقعة الشريفة وتشرفت بلقائه كان وقت المغرب، فصحبته وحصل لي من بركة صحبته أن وجدت في نفسي تضرّعاً ومسكنة تامة، وقمت في آخر الليل وتوضأت ودخلت ذلك المسجد الذي فيه جماعته وصلّيت ركعتين ووضعت رأسي في السجدة ودعوت وتضرّعت كثيراً فمر بلساني في أثناء ذلك إلهي أعطني قوّة تحمل البلاء وتحمل محنة المحبة، فحين حضرت الصبح عند حضرة الخواجة بابا قدس سره توجه إليّ وأخبرني بالفراسة ما صدر مني وقال: يا ولدي ينبغي أن تقول في الدعاء إلهي الذي فيه رضاك اعطه لهذا العبد الضعيف، فإن رضا حضرة الحق سبحانه أن لا يكون عبده في بلاء وإن أرسل بحكمته إلى حبيبه بلاء فيعطي حبيبه تحمل ذلك ويظهر له حكمته فطلب البلاء بالاختيار مشكل، فلا ينبغي للعبد أن يدعو بالبلاء ذلك مدّت السفرة وحيث أكلوا الطعام أعطاني حضرة الخواجة بابا قدس سره فامتنعت من قبوله في الباطن فقال لي اقبله فإنه سينفعك فأخذت ذلك الكرص وذهبت في ركابه إلى طريق قصر العارفين وكنت في ذلك الطريق أمشي عقب حضرته بالإخلاص التام. لكن مرات كان يذهب الخاطر في هوى الحس، فكلما وقعت هذه التفرقة التفت

---

(١) قوله: (يسعى أني) الخ. هكذا في الأصل وحرر العبارة اهـ. مصححه

Marfat.com

إلي وقال لي: ينبغي حفظ الخاطر، وكان يحصل لي من مشاهدة هذه الأحوال كمال اليقين وتزداد محبتي لحضرته وفي ذلك الطريق وصلنا لموضع كان فيه بعض محبي الخواجة، فذهبنا إلى منزله فقابله ذلك المحب بالبشاشة التامة والتضرّع والمسكنة، فلما نزل حضرة الخواجة بابا في المنزل حصل له الاضطراب، فقال له الخواجة، ما حقيقة الحال، تكلم بالصدق، فقال ذلك المحب الحال أن عندي لبناً حاضراً وليس عندي خبز فتوجه إليّ الخواجة فقال هات ذلك القرص فقد نفع في الآخر، وهذا وأمثاله في المجيء والرواح كأن تقع مشاهدته لي، فازددت محبة واعتقاداً فيه قدس سره.

نقل عن الخواجة علاء الدين قدس سره من لفظ حضرة الخواجة قدس سره أنه قال لما توفي الخواجة محمد نوّر الله مرقده، ذهب بي الجد إلى سمرقند وكل مكان فيه درويش وصاحب قلب كان يوصلني إليه وكان يكثر التضرّع لكل واحد منهم، وكان ينالني من كل واحد منهم النظر بعين اللطف، وبعد ذلك جاء بي إلى بخارى وأتمّ تأهلي هناك، وكنت أقيم في قصر العارفين وفي تلك الأثناء من الألطاف الإلهية وصل إلى قلنسوة العزيزان، فتغير حالي وصرت قوي الأمل وفي هذه الفرصة حصل التشرف بوصول حضرة السيد كلال قدس سره وقال: إن حضرة الخواجة محمد بابا أوصاني أنك لا تبقي جهداً في تربية ولدي بهاء الدين ولا في الشفقة عليه، ولست مني بحلّ إن قصّرت في ذلك، فقال حضرة السيد كلال، لست برجل إن قصّرت في وصية حضرة الخواجة.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أني في تلك الأيام رأيت الحكيم أتا قدس الله روحه الذي كان من أكابر مشايخ الترك يوصي بي درويشاً، فلما انتبهت كانت صورة ذلك الدرويش في خاطري ولي جدة صالحة ذكرت لها ذلك المنام، فقالت يا ولدي يكون لك من مشايخ الترك نصيب، وأنا كنت دائماً طالباً لملاقاة ذلك الدرويش.

ففي يوم من الأيام في بخارى حصل لي ملاقاة ذلك الدرويش فعرفته واسمه خليل ولم يتيسر لي في ذلك الحال مصاحبته، فذهبت إلى المنزل وأنا مشغول الخاطر فعند المغرب قيل لي إن الدرويش خليل يطلبك فأسرعت بأخذ المعاملة وذهبت إليه بالتضرع والانكسار التام، وحيث تشرفت بصحبته أردت أن أذكر له ذلك المنام فقال لي بالتركي الذي في خاطرك عندي عيان فلا حاجة إلى البيان فصار لي من سماع كلامه حال آخر ومال خاطري إليه كثيراً والأحوال العالية كانت تشاهد في صحبته فاتفق بعد مدة صارت سلطنة ما وراء النهر مسلمة إليه.

وكان يقال له السلطان خليل فحصل لي بواسطة أمر الاجتماع به في زمان سلطنته فلزمني ملازمته وخدمته وكنت أشاهد منه في أوقات سلطنته أيضاً أحوالاً عظيمة، وكان

Marfat.com

خاطري يميل إليه أكثر وكان يشفق عليّ كثيراً تارة باللطف وتارة بالعنف، وكان يعلمني آداب الخدمة وكان يصل إليّ من ذلك فوائد كثيرة في معرفة الآداب في مقام السير والسلوك انتفعت بها في هذه الطريق كثيراً، وكنت مدة ست سنين من سلطنته على هذا الطريق في خدمته، كنت في الملأ أراعي آداب خدمته وفي الخلاء محرم صحبته الخاصة، وكان كثيراً ما يقول في حضور خواص أصحابه كل من يخدمني لأجل رضا الحق تعالى يصير في الخلق عظيماً، وكنت أنا أعلم من مقصوده بهذا الكلام وما مقصوده يشير إليّ أن إعزاز وإجلال السلاطين لا ينبغي أن يكون لأجل أبهتهم وعظمتهم الظاهرة بل ينبغي أن يعظموا لأنهم مظهر لجلال حضرة مالك الملك على الإطلاق.

وبعد مدة صارت مملكته إلى الزوال وفي لحظة صار ذلك الملك والخدم والحشم هباءً منثوراً، وبرد قلبي من كل الدنيا وأشغالها، فوصلت إلى بخارى وسكنت في زيورتون قرية من قرى بخارى نقل الخواجه علاء الدين عطّر الله تربته من لفظ حضرة الخواجه المبارك قدس الله روحه أنه قال أن مبتدأ يقظتي وانتباهي وتوبتي وإنابتي أني كنت في خلوة مع شخص يميل خاطري إليه وأنا ألتفت إليه وأكلمه فوقع في سمعي حينئذ صوت أما آن وقت أن ترجع عن الكل وتتوجه بوجهك إلى حضرتنا، فحصل لي حال آخر من ذلك الصوت، فخرجت من ذلك البيت وليس لي قرار وكنت في ذلك القرب ماء فاغتسلت منه وغسلت ثيابي وفي حال ذلك الانكسار صليت ركعتين، ومر بعد ذلك الصلاة سنون وأنا أرجو أن يحصل لي مثل تلك الصلاة فلم أقدر على ذلك.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه قال قيل لي في بداية الجذبة: كيف تدخل في هذا الطريق. فقلت على أن يكون كل ما أقول وأريد، فوصل الخطاب أن لي ما تقول ينبغي أن يفعل، فقلت ما لي طاقة على هذا إن كان كل شيء قوله يصير يمكنني أن أضع في هذا الطرق قدمي، وإن لم يكن كذلك فلا أقدر وقع السؤال والجواب على هذا الوجه مرتين، وبعد ذلك تركني ونفسي إلى مدة خمسة عشر يوماً، فحصل لي يئست من نفسي، فبعد ذلك اليأس وقع الخطاب الذي تريده يكون.

وفي بعض الروايات أن حضرة الخواجه قال بعد ذلك [illegible] تريده يكون وفي بعض الروايات أن حضرة الخواجه قال بعد ذلك [illegible] دخلها تشرف بمقام الوصول وفي ذلك بشرى عظيمة للمتمسك بطريقته.

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال كنت في أوائل الأمر [illegible] وغلبات الشوق والجذبة وعدم القرار أدور في الليل في نواحي بخارى وأذهب إلى [illegible] من فرار من القبور، ففي ليلة وصلت إلى ثلاثة مزارات من المزارات المشهورة [illegible]

Marfat.com

منها أجد سراجاً مسرجاً، وفي ذلك السراج دهن واف وفتيلة لكن الفتيلة ينبغي أن تحرك قليلاً حتى يخرج الدهن ويتجدد لها نور فلا تنطفىء.

ففي أوّل الليل وصلت إلى مزار الخواجة محمد بن واسع رحمه الله رحمة واسعة فوقعت الإشارة بالتوجه إلى مزار الخواجه أحمد جفريوي، وحيث وصلت إلى ذلك المزار جاءني شخصان وربطا سيفين على وسطي وأركباني على حمار وجعلا عنان الحمار إلى مزار مزداخن وسيّراه إلى ذلك المحل، فلما وصلت في آخر تلك الليلة إلى مزار مزداخن كان السراج والفتيلة بتلك الصفة، فجلست متوجهاً للقبلة وحصل لي في ذلك التوجه غيبة، وشاهدت في تلك الغيبة أنه انشق الجدار من جانب القبلة وظهرت دكة عظيمة وفوقها رجل عظيم وأمامه ستارة منشورة وحوالي تلك الدكة جماعة حاضرون، ورأيت الخواجة محمد بابا في ذلك الجمع، فعرفت أنه من الذين تقدموا ولكن خطر في قلبي من ذلك العظيم وتلك الجماعة فقال لي واحد من أولئك الجماعة ذلك العظيم حضرة الخواجة عبد الخالق الغجدواني وهؤلاء الجماعة خلفاؤه وعدّ أسامي الخلفاء، وأشار إلى كل واحد منهم الخواجة أحمد الصديق والخواجة أولياء الكبير والخواجة عارف الديوكيري والخواجة محمود أنجير الفغنوي والخواجة علي الراميتيني قدس الله أسرارهم، ولما وصل إلى الخواجة محمد بابا السماسي أشار إليه وقال: هذا قد واجهته في حال حياته ورأيته وهو شيخك وأعطاك قلنسوة فهل تعرفه؟ فقلت: نعم أعرفه. وكانت مرت مدة من قصة القلنسوة وليس لي شعور بها، فقال: تلك القلنسوة في بيتك وحصل بها كرامة لك أن نزل بك بلاء اندفع ببركة تلك القلنسوة. فعند ذلك قال لي أولئك الجماعة اصغ بأذنك واسمع مليحاً فإن حضرة الخواجة الكبير قدس الله روحه يريد أن يتكلم بكلام ليس لك في سلوك طريق الحق عنه مندوحة.

فطلبت من أولئك الجماعة أن أسلم على حضرة الخواجة، فأزالوا تلك الستارة من الوجه وسلمت على الخواجة فبين حضرة الخواجة وذكر ما يتعلق بأول السلوك ووسطه ونهايته. وأخذ يقول أن تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية كانت لك بشارة وإشارة إلى أن لك استعداداً وقابلية هذه الطريق لكن ينبغي لك أن تحرك فتيلة الاستعداد حتى تستنير وتظهر الأسرار، فينبغي العمل على مقتضى القابلية حتى يحصل المقصود.

وأيضاً قال وبالغ وحرض في ذلك المقال أنك ينبغي أن تضع قدمك في جميع الأحوال على جادّة الشريعة والاستقامة والأمر والنهي وتعمل بالعزيمة وتبعد عن الرخصة والبدعة وتجعل دائماً أمامك أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وتفحص عن أخبار وآثار الرسول والصحابة الكرام.

وبعد تمام هذ الكلام قال لي خليفة الخواجة أن الشاهد على صدق هذه الحالة أنك تذهب إلى مولانا شمس الدين الأنبيكوتي وتقول أن فلاناً التركي يدعى على السقا والحق في طرف ذلك التركي وأنت تراعي جانب السقا وإن أنكر السقا حقية جانب التركي فقل للسقا يا سقا عطشان وهو يعرف معنى هذا الكلام، والشاهد الثاني أن السقا فسق بواحدة ولما ظهرت النتيجة من ذلك الفسق أسقطها ودفنها في الموضع الفلاني تحت كرمة. ثم قال: إذا أوصلت هذه الرسالة إلى مولانا شمس الدين ينبغي في اليوم الثاني في وقت الصبح أن تأخذ ثلاث زبيبات وتذهب إلى نسف من طريق خاص عينه، وتذهب إلى خدمة السيد كلال، وإذا وصلت إلى محل عينه في الطريق يحصل لك ملاقاة بشيخ ويعطيك ذلك الشيخ قرصاً حاراً فخذ منه ذلك القرص ولا تكلمه وإذا جاوزته وصلت إلى قافلة فإذا جاوزتها قابلك فارس وستنصحه وتكون توبته على يدك، واذهب بقلنسوة العزيزان التي عندك لخدمة السيد كلال.

وبعد ذلك حركني ذلك الجمع وردوني إلى وجودي وفي صبح ذلك اليوم بالتعجيل التام توجهت إلى المنزل بزيورتون وسألت أهلي عن قصة القلنسوة، فقالوا تلك القلنسوة لها في ذلك الموضع مدة، فحين رأيت قلنسوة العزيزان حصل لي حال آخر وبكيت كثيراً وعزمت في تلك الساعة إلى أنبيكتة وصليت الصبح في مسجد مولانا شمس الدين وقمت بعد الصلاة وقلت أنا مأمور بأداء رسالة، وذكرت لمولانا القصة فحصل التحير لمولانا وكان السقا حاضراً وأنكر الحقية لجانب التركي المدعي فقلت للسقا أحد شهودي أنك سقا عطشان ليس لك من عالم المعنى نصيب، فسكت، وشاهدي الثاني أنك فسقت بواحدة والنتيجة التي حصلت من ذلك أمرت بإسقاطها ودفنتها تحت كرمة في الموضع الفلاني فأنكر السقا ذلك، وذهب جماعة المسجد إلى ذلك الموضع وتفحصوا فوجدوا هناك سقطاً مدفوناً فصار السقا في مقام الاعتذار فبكى مولانا وجماعة المسجد وظهر منهم حال عظيم، ولما مضى ذلك اليوم توجهت في اليوم الثاني عند طلوع الشمس إلى نسف من تلك الطريق المخصوصة كما أمرت به في الواقعة، وأخذت في يدي ثلاث زبيبات، فأخبروا مولانا بتوجهي فقال لا ولاطفني كثيراً، وقال أنت حصل لك ألم الطلب وظهر فيك وشغلك عشقك، فسكت عندنا حتى نؤدي حق تربيتك ونوصلها إلى محلها، فمد على لساني في جوابه أني لا غيركم فإن وضعتم ثدي التربية في فمي فلا أبغيه وأعضه، فسكت حضرة مولانا وأجازني بالسفر. وفي أول ذلك اليوم ربطت وسطي برباط وأحكمت الربط وأمرت شخصين أن يسحبوا من الطرفين ذلك الربط لأجل شدة إحكامه ودخلت بعد ذلك في الطريق، وحيث وصلت إلى موضع مخصوص من الطريق لقيت شيخاً سمعت من

والدي المرحوم أنه الخضر، فأعطاني قرصاً حاراً فأخذته ولم أكلمه ولما جاوزته وصلت إلى قافلة فسألني أهل القافلة من أين جئت، فقلت: من أنبيكتة، فقالوا أي وقت خرجت من هناك، فقلت وقت طلوع الشمس وتلك الساعة التي وصلت إليهم فيها كانت وقت الضحى، فتعجّبوا من ذلك وقالوا من تلك القرية إلى هذا الموضع أربعة فراسخ ونحن خرجنا من هناك أول الليل، ولما جاوزتهم قابلني ذلك الفارس فلما وصلت إليه سلّمت عليه، فقال لي ذلك الفارس من أنت فإني أخاف منك، فقلت له أنا ذلك الشخص الذي ينبغي لك أن تتوب على يدي، فنزل من مركبه سريعاً وتضرّع كثيراً وتاب وكان معه حمول خمر فأراقها جميعها ولما جاوزته وصلت إلى النسف ووصلت إلى موضع خدمة السيد كلال قدس سره، وتشرّفت بخدمته ووضعت قلنسوة العزيزان بين يديه فسكت السيد وبعد مدة كثيرة قال: هذه قلنسوة العزيزان، فقلت نعم، فقال وقعت الإشارة أن تحفظ هذه القلنسوة في وسط عشرة أغشية، فقبلت ذلك وأخذت القلنسوة وبعد ذلك لقّنني السيد الذكر بالنفي والإثبات بطريق الخفية وأمرني بالاشتغال بذلك وتابعته على ذلك مدة. ولأجل أني أمرت في تلك الواقعة بالعمل بالعزيمة لم أعمل بذكر العلانية.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أني بعد تلك الواقعة كل واحدة من تلك الكلمات التي سمعتها من حضرة الخواجة كان يظهر أثرها في محلها، وفي ذلك المحل كانت تظهر معاينة بنتيجة تلك الأعمال وأثرها، وحيث كنت مأموراً بالتفحص عن أخبار الرسول ﷺ وآثار الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، لازمت العلماء وقرأت الأحاديث وتعلّمت آثار الصحابة، وكنت أعمل بجميع ذلك وأشاهد نتيجته فيّ بعناية الله تعالى.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أني في أوائل حالي في الجذبة كنت قريباً من مزار مزداخن ومعي الدرويش محمد زاهد وكان متكئاً ففي ذلك الحال فارقت روحي قلبي وذهبت إلى طرف السماء وهي بتلك الصفة وصلت إلى السماء الأولى ومن هناك إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة وكذلك رجعت إلى الأرض، ودخلت في قالبي وليس لمحمد زاهد خبر من هذه الأحوال.

ونقل حضرة الخواجة علاء الدين قدس سره عن حضرة الخواجة قدس سره أني كنت ليلة في مبادىء الأحوال في مسجد زيورتون وكنت متوجهاً عند الأسطوانة لجهة القبلة فشرع أثر غيبة الفناء يظهر واستولى عليّ قليلاً قليلاً، حتى انمحيت عني بالكلية وفي حالة ذلك المحو والفناء الكلي قالوا لي: استيقظ فإنك حصلت ما هو المقصود والمطلوب ووصلت إلى ذلك وبعد مدة ردوني من تلك الحالة إلى وجودي.

نقل حضرة الخواجة علاء الدين نور الله مشهده من لفظ حضرة الخواجة قدس

Marfat.com

سره المبارك أني في مبادىء الأحوال بعد قصة زيورتون كنت يوماً في ذلك البستان وأشار إلى ذلك البستان الذي هو الآن محل ضريحه وجماعة من المتعلقين بي معي في ذلك البستان فظهُرت في آثار الجذبات الإلهية ولطف العناية الربانية وحصل لي اضطراب وعدم قرار ولم يمكني أن أشتغل وأنا مستريح، فقمت بلا قرار وجلست مستقبل القبلة، فحصل لي في ذلك التوجّه غيبة واتّصلت تلك الغيبة إلى الفناء الحقيقي، وأوصلت إلى حقيقة الفناء في الله عز وجل وعاينت في ذلك الفناء أني في صورة نجم في بحر من نور بلا نهاية، وأني انمحيت فيه ولم يبق أثر من الحياة الظاهرة في قالبي، وكان أهلي والمتعلقون بي يبكون في تلك الحالة ويضطربون إلى أن ردوا بشريتي عليّ شيئاً فشيئاً وتلك الغيبة والفناء الكلي كان نحو ست ساعات نجومية.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه في الأواخر كان يحكى عن ابتداء حال سلوكه وتوجهاته إلى الأرواح الطيبة من مشايخ الطريقة وكبراء الحقيقة قدس الله أرواحهم ويبين أثر التوجّه إلى روحانية كل واحد منهم. وقال إن التوجه لروحانية أويس القرني رضي الله تعالى عنه له أثر تام في الانقطاع التام والتجرّد الكلي من العلائق الظاهرة والباطنة، وإذا توجهت لروحانية الخواجة الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس سره روحهما وجدت أثر تلك المشاهدة عدم الصفة المحض، وفي ذلك العدم لا يرى أثر ولا غبار.

قال جامع هذه المناقب الخواجة صلاح رضي الله عنه أني في سنة تسع وثمانين وسبعمائة كنت عند حضرة الخواجة قدس سره وكان يقول إن لي اثنتين وعشرين سنة وأنا في متابعة طريقة الخواجة محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس الله روحهما وهو كان بلا صفة وأنا الآن أيضاً بلا صفة.

نقل صلاح أن في أوائل حال حضرة الخواجة قدس سره كانت له رياضة وكان هذا المعتقد يصل إلى صحبته الشريفة في بعض الأوقات فاتفق في الشتاء وكان الوقت في غاية البرد أن وصل حضرة الخواجة في وقت السحر إلى منزلي وأثر الرياضة والتحير في السير التام ظاهر عليه، فقال في تلك الساعة لي ثمانية أشهر، وأنا متحير في هذه الحالة خرجت من صفته القرني رضي الله عنه وأسير في صفته وفي هذه اللحظة خرجت من صفته.

نقل حضرة الخواجة علاء الدين العطار عطر الله روضته عن حضرة الخواجة قدس سره أنه كان يقول كثيراً أن فعل سالك الطريق البذل والمسكنة وعلو الهمة أنا أدخلوني من هذا الباب وكل ما لقيته لقيته من هنا.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره إنه قال إني كنت ليلة في زيورتون سائراً

Marfat.com

فوصلت إلى أكمة فتصرفت في حالة عجيبة فوقع في قلبي إلهاماً اطلب من حضرتنا ما أردت فقلت من طريق المسكنة والتواضع، إلهي أعطني ذرة من بحار رحمتك وعنايتك فوصل إليّ إلهاماً تطلب من كرم حضرتنا ذرة فصار لي حال آخر وتحرك فيّ علو الهمة فضربت بتمام قوتي وجهي بيدي حتى بقي أثر ألم تلك الضربة إلى أيام، فقلت بعد ذلك يا كريم أعطني بحار الرحمة والعناية وهب لي قوّة تحملها فظهر لي في الحال أثر العناية والموهبة ومن بركة ذلك رأيت ما رأيت. وقال بيتاً بالفارسي معناه أن الهمة توصلك إلى شرفات الكبرياء لا تطلب لهذا السقف أحسن من هذا السلم.

نقل الخواجة علاء الدين طيب الله تربته عن حضرة الخواجة قدس الله سره فيما يحكيه عن زمان بداية أحواله أنه قال: كنا مائتي شخص وضعنا القدم في الطريق وكان في همتي أني أجاوز الجميع فوصلت عناية الحق إليّ فجاوزتني عن الجميع وأوصلتني إلى المقصود.

نقل الخواجة علاء الدين نوّر الله مرقده عن حضرة الخواجة قدس سره أنه قال في هذا الطريق نفي الوجود وعدم رؤية النفس أمر عظيم وهو رأس مال دولة الوصول والقبول.

وأنا في هذا الطور نسبت نفسي إلى كل طبقة من طبقات الموجودات فرأيت كل واحد منهم أحسن مني في الحقيقة حتى وصلت إلى طبقة الفضلات فرأيت فيها منفعة ولم أر في نفسي منفعة فوصلت إلى فضلة الكلب فقلت لا تكون فيها منفعة. فقررت في نفسي ذلك فعلمت في آخر الأمر أن فيها أيضاً منفعة، وعلمت بالتحقيق أنه ليس فيّ منفعة أصلاً.

نقل الخواجة علاء الدين عطر الله روضته عن حضرة الخواجة قدس الله سره أنه من كمال شفقته وعنايته التي كانت له في حق سالكي الطريق أنه كان يعلمهم علو الهمة ويقول: أنا لا أحل لكم إلا أن تكون همتكم في طلب المقصود، أن تضعوا أقدامكم على رأسي وتتجاوزوا.

قال الخواجة صلاح صاحب الجمع في كلام حضرة الخواجة قدس سره هذا إشارة إلى أن الشيخ بحسب الظاهر والباطن في جميع المقامات والمنازل معراج للمريد، فالترقي من كل حال وصفة الواقع للمريد بواسطة مرقاة الشيخ ولطفه الظاهر والباطن لأن همّته متوجهة أن يركب المريد على براق الهمة ويصعد به من حضيض البشرية إلى أوج البقاع الملكية، وقد أمر النبي ﷺ أمير المؤمنين علياً رضي الله تعالى عنه بأن يضع قدمه على كتفه المبارك ليرمي الصنم من جدار الكعبة وفيه إشارة إلى هذا

المعنى.

قال رجل من أهل العلم كان محبّاً لحضرة الخواجة قدس سره إني حين كنت في بخارى مشغولاً بطلب العلم رأيت في آخر النهار شخصاً من أصحاب الخواجة فقال لي: لم لم تسارع إلى الوصول لحضرة الخواجة، فاعتذرت له بأنه قد مضى النهار اليوم ومر في خاطري أن الوصول لحضرة الخواجة يحتاج إلى إحرام مستقل وأيضاً كيف ألوّث مجلسه الشريف بوجودي الكثيف، فذهبت إلى المنزل وتوجهت وقت الصبح من منزلي إلى حضرة الخواجة، ولما تشرّفت بلقائه توجه حضرة الخواجة إلى بعض أصحابه وقال: كان لي محب من أهل العلم وكان يصل أحياناً إلى صحبتي، فقلت له يوماً لماذا نتشرف قليلاً بصحبتكم فقال ذلك العالم ما أريد أن ألوّث مجلسكم الشريف بوجودي الكثيف. فقلت لذلك الشخص ليس الحال كذلك، تعال حتى ترى مصاحبي فذهبت به إلى طرف فأريته كلباً أجرب كنت أصاحبه فقلت لذلك الشخص مصاحبي هذا الحيوان، فما هذه الحكاية التي تقولها.

ثم أنشد بيتاً بالفارسي معناه أن الكلب أحسن حالاً من شخص يرى لروحه محلاً ونقابه قدراً، فانظر يا أخي هذا التواضع العظيم من هذا الرجل العظيم. وبهذا نال ما نال وارتقى إلى ما ارتقى ومبني طريقه على ذلك وقد أشار الشيخ أبو مدين إلى هذا المعنى في حكمه حيث قال: من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيد عن طرقات المعاملة.

وقال الشيخ ابن عطاء الله في حكمه أيضاً أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، أي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه وأي علم لعالم يرضى عن نفسه فهذا هو الترياق المجرّب لنسم القتال فداو سموم قلبك بهذا الترياق تنل الشفاء.

نقل الخواجة علاء الدين روّح الله روحه عن حضرة الخواجة قدس سره من كلام كبراء الحقيقة أن سالك الطريق إن لم ير نفسه أقل من كل أحد في كل حين منها مائة مرة فليس هو في الطريق.

نقل رجل من أهل العلم في ذلك الزمان الذي وصل فيه عسكر عظيم من طرف صحراء القبجاق إلى بخارى وذلك الجمع الكثير الذي في ولاية بخارى دخلوا في الحصار، ومن غاية الازدحام جعلوا الأسطحة مبارز لقضاء الحاجة فيوماً كان حضرة الخواجة قدس سره جالساً مع جمع من الفقراء الذين كانوا في تلك الحادثة في حجرة

Marfat.com

في السطح الذي جعله مسجداً وكان يصلي فيه الجماعة، فاتّفق أن دخل علينا شخصان من طلبة العلم وكانا من جملة المحبين لحضرة الخواجة، فأمرهم حضرة الخواجة أن ينظفوا هذه الأسطحة التي جعلوها مبارز حواليه. وقال إني نظّفت جميع مبارز مدارس بخارى.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه قال في أوائل الجذبات والطلب حصل لي ملاقاة واحد من المحبين لله تعالى، فخاطبني وقال لي: يظهر أنك من الأصحاب، فقلت أرجو من بركة نظر الأحباب أن أكون من الأصحاب فسألني ذلك العزيز المحب لله كيف تعامل الوقت، فقلت إن وجدت شكرت وإن لم أجد أصبر فتبسم ذلك العزيز فقال هذا الفعل الذي تفعله سهل والشأن أن تروّض نفسك أنها لو فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لا تعصى عليك ولا ترفع رأسها. فتضرعت وطلبت المدد من ذلك العزيز فأمرني أن أدخل في الصحراء حتى تنقطع النفس بالكلية عن الخلق وأسلك على هذا القدم ثلاثة أيام، فإذا صار اليوم الرابع فإنك ستصل إلى طرف جبل فيلقاك هناك فارس على مركوب عار فسلم عليه وجاوزه فإذا جاوزته ثلاثة أقدام فإنه يقول لك يا شاب عندي قرص خذه فلا تلتفت إليه فدخلت الصحراء على مقتضى إشارته وذهبت على تلك الطريق ولما مضى ثلاثة أيام وصلت في اليوم الرابع إلى طرف جبل فواجهني ذلك الفارس على تلك الكيفية، فسلمت عليه وجاوزته فعرض عليّ قرصاً فلم ألتفت إليه ثم أمرني ذلك العزيز أن أشتغل بتحصيل جبر الخواطر وخدمة المطروحين والضعفاء والمنكسرين والذين لا يلتفت إليهم أحد من الخلق وأجعل الانكسار والمسكنة أمامي، فاشتغلت بهذا الأمر على حسب إشارته وسلكت مدة من الزمان على هذه الصفة، ثم أمرني ذلك العزيز أنه ينبغي لك أن تسعى في خدمة الحيوانات وتكون في ذلك على قدم المسكنة والإخلاص، فإن هؤلاء أيضاً خلق الله تعالى ونظر الربوبية واقع عليهم أيضاً وإن رأيت جراحة أو قرحة على ظهر واحد منهم فاجتهد في علاجه بنفسك فقمت بهذه الخدمة على مقتضى أمره وواظبت على ذلك مدة وكان إذا لاقاني في الطريق حيوان وقفت حتى يمر هو أوّلاً ولا أتقدم عليه فمكثت على ذلك سبع سنين ثم أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالإخلاص والانكسار وأطلب منهم المدد وقال إنك ستصل إلى كلب بينهم يصلك منه سعادة كبيرة. فاغتنمت هذه الخدمة على حسب إشارته حتى وصلت في ليلة إلى كلب فصار لي حال آخر فتضرعت عند ذلك الكلب فاستولى عليّ بكاء عظيم، فرأيت في ذلك الحال أن ذلك الكلب وضع ظهره على الأرض وجعل وجهه إلى السماء ورفع قوائمه الأربع وكنت أسمع منه صوتاً حزيناً

Marfat.com

وتأوّهاً وأنا من طريق المسكنة والتضرّع رفعت يدي وكنت أقول آمين حتى سكت ذلك الحيوان ورجع إلى حالته.

وأيضاً في هذه الأوقات خرجت في زمن الحر من المنزل إلى بعض الجهات فرأيت في أثناء الطريق حرباء مستغرقة في رؤية جمال الشمس فحصل لي من صفتها ذوق. فخطر لي أن أطلب منها أن تشفع لي في هذه الحضرة فوقفت بتمام الأدب والحرمة والانكسار ورفعت كلتي يدي فرجع ذلك الحيوان من استغراقه ووضع ظهره على الأرض وجعل وجهه إلى السماء مدة وأنا أقول: آمين.

ثم أمرني بخدمة الطرق وقال لي: إن رأيت شيئاً في الطريق مما يكرهه الخلق نظفه وارفعه عن نظرهم. ومكثت في هذا الشغل سبع سنين، لم يكن في وقت كمي ولا ذيلي خالياً من التراب الذي أنظفه عن الطرق، وكل عمل أمرني به ذلك المحب لله فعلته من طريق الصدق، وشاهدت نتيجة كل واحد من تلك الأعمال في نفسي ورأيت الترقي التام في أحوالي.

فانظر يا أخي إلى هذا السلوك وتأمّل هذه الشمائل وتحلّ بذرة منها لعلك تنال شمة من هذه الطريق فإن هذه طريق لا تنال بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما تنال بالفناء التام وقطع العلائق عن الخلائق.

ولذلك قال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره إخواني ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم، ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم وتواضع وسلامة الصدر وكلامه رضي الله عنه مبين ومحقق لما تقدم، فإن التقطع للخلق عن مولاهم علاقة الدنيا والنفس ولا حجاب أعظم منها فبالكرم تزول علاقة الدنيا وبالتواضع تزول علاقة النفس وبسلامة الصدر تنمحي الأغيار عن القلب ويصير العبد قريباً من مولاه، كما قال ابن عطاء رضي الله عنه في حكمه.

اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك تتحقق بما دعيت له مجيباً ومن حضرته قريباً.

وقال بعض العارفين ليس الشأن أن تطوي تلك المسافة لتعتقد أنك قد طويت نحوها وإنما الشأن أن تطوي أوصاف نفسك فتكون عند ربك

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه كان في النهاية يحكي عن بعض أحواله في البداية أني كنت في فصل الشتاء وكان الهواء في غاية البرودة وجميع الصيد قد جمد فكنت في ليلة مع الأصحاب في منزل بزيورتون فحصل لي الاحتياج إلى العسل في تلك الليلة، فخرجت من ذلك المحل وأي محل توجهت إليه لم أجد فيه لشدة البرد

الجليد لأخذ الماء وأغتسل به، ولم أرد أن يتشوش أحد من الأصحاب بسببي فلم أُعلم أحداً، وكان معي فرو عتيق فخرجت في ذلك البرد من زيورتون إلى قصر العارفين، ولما وصلت إلى المنزل ولم أرد أن يطلّع أحد من المتعلقين بي على حالي، نظرت إلى أطراف المنزل فلقيت آخر الأمر على طرف حوض بقرب المسجد دباء يغترف بها فكسرت الجليد بها بالمشقة التامة وانجرحت يدي بسبب ذلك، فأخذت بتلك الدباء الماء واغتسلت به فأثّر البرد فيّ إلى الغاية فلبست ذلك الفرو العتيق وفي ذلك الليل في ذلك البرد رجعت من قصر العارفين إلى زيورتون.

فتأمل يا أخي هذا العارف في اهتمامه بشأن إصلاح ظاهره وتقيده بدقائق الشريعة حيث لم تسمح نفسه بأن تمضي عليه تلك الليلة وهو على غير طهارة، ولم يأخذ بالرخصة من التيمم حيث أمر بالعزيمة في الواقعة السابقة، وكيف تحمل المشقة وخصّ بها نفسه ولم يشعر أحداً من أصحابه ولم يكلفهم الحركة في ذلك البرد، وكيف كتم أمره عنهم وعن أهله حتى يتم إخلاصه ومعاملته مع مولاه. تجد من ذلك الكبريت الأحمر في طريق السلوك وتفهّم كمال اعتناء القوم بمراعاة دقائق الشريعة وتفهم سماحتهم بأنفسهم في طريق مولاهم فضلاً عن المال وغيره وكيف انقطاعهم عن السوى وليس لهم همّ إلا خدمة المولى.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه قال: كنت في تلك الجذبات والغيبات أذهب إلى كل ناحية وتجرحت رجلي من الشوك وكان على كتفي فرو عتيق فاتفق أن كان فصل الشتاء والهواء في غاية البرودة فحصلت لي ليلة جاذبة صحبة السيد كلال رحمه الله فلما وصلت إلى المنزل كان السيد والفقراء جالسين في موضع، ولما وقع نظره المبارك عليّ سأل من هذا، فلما عرفني أشار أن أخرجوه من هذا المنزل سريعاً، فلما خرجت من المنزل قاربت نفسي أن ترفع رأسها وتعصي وتأخذ مني عنان التسليم والإرادة، فصاحبتني في تلك الحالة إرادة الله وعنايته فقلت هذا الذل أحتمله لرضاء الحق سبحانه وتعالى، الباب هو هذا وليس عن هذا الباب مندوحة فوضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة المعز وقلت: أي حال يقع لي لا أرفع رأسي عن هذه العتبة، وكان الثلج يجيء قليلاً قليلاً والهواء في غاية البرودة، فلما قرب الصبح خرج السيد كلال من المنزل ووضع قدمه على رأسي ورفع رأسي من العتبة ودخل المنزل وأدخلني معه وبشّرني وقال لي: يا ولدي لباس هذه السعادة على قدك وبيده الشريف أخرج ما في رجلي من الشوك والقشاش ونظّف الجراحات ونظر إليّ بعين اللطف كثيراً.

Marfat.com

تعلم أيها الطالب الصادق طريق الطلب وآدابه من هذه الحكاية وانظر ما احتمله من مشقة الإخراج من المنزل على هذا الوجه كيف قابله بوضع الرأس على الأعتاب حتى تشرف بمنازل الأحباب.

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي وتقبلوني على عيبي ونقصاني
فإن رضيتم فيا عزّي ويا شرفي وإن أبيتم فمن أرجو لعصياني

ولا تظن يا أخي أن حضرة السيد كلال جهل حضرة الخواجة حيث أمر بإخراجه، وأنه فعل ذلك في ذلك الوقت إهانة له، بل عرف أن ذهب الخواجة الخالص لا يزيده اشتعال نار المجاهدة والمشقة إلا حسناً، فالذهب الخالص إذا أريد أن يجعل في التيجان ويصير سكة نافذة على ممر الزمان لا بد له من نار تذيب أوساخه.

فكذلك أرباب السلوك لا بد لهم من نار المجاهدات والخدمة. فاخلص ذهب إرادتك يا أخي عند التشرف بأمثال هؤلاء الرجال وخلّ نار أوامرهم ونواهيهم تشتعل فيك حتى تذيب ما خالطك من قبيح الخصال واعكف بناديهم وعاد من يعاديهم تظفر بالكنز الذي لا ينفد.

نقل حضرة الخواجة علاء الدين طيب الله مرقده عن حضرة الخواجة قدس الله سره أنه لما كان يحكى عن رياضاته ومجاهداته ذكر فتور الطالبين، وقال في الآخر كل صبح إذا خرجت من المنزل أقول لعل طالباً يكون واضعاً رأسه على الأعتاب فأجد العالم كلهم شيوخاً ليس فيهم مريد.

أشار الخواجة رضي الله تعالى عنه إلى أن شرط المريد وآدابه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، ليس له إرادة ولا اختيار بل يدع نفسه للشيخ يتصرف فيه كتصرف الغاسل في الميت حتى يتنظف من الأوساخ الظاهرة والباطنة، وهذا المعنى في المريدين أعز من الكبريت الأحمر فلذلك لا ينتج ويسير في السلوك إلا الفرد بعد الفرد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والحكاية السابقة عن حضرة الخواجة [illegible] وتوضح هذا المعنى فما لم يكن المريد على هذا الوصف فهو بمعزل عن [illegible] المريدين متمسكون بخيالات اعتقادات. فإذا وجدوا من المشايخ خلاف معتقدهم تركوه وخالفوا، ففي الحقيقة هم مريدوا معتقداتهم ومتخيلاتهم لا مريدوا مشايخهم ومن كان كذلك كان شيخاً لا مريداً ولذلك قال قدس سره كلهم شيوخ ليس فيهم مريد.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه قال: كنت في بخارى وكان حضرة السيد كلال في نسف فحصلت لي جاذبة صحبته الشريفة فتوجهت إلى جهة نسف فلما وصلت إلى خدمته، قال لي: يا ولدي جئت في وقت مليح، قد هيأنا المطبخ ونريد من يجمع

Marfat.com

لنا الحطب، فشكرت هذه الإشارة وذهبت أحطّب وجئت بالحطب المشتمل على الشوك على ظهري إلى المطبخ وذكر بيتاً بالفارسي معناه أن جمال كعبة المقصود وكان يجري بي بالنشاط حتى أني أحس بخشونة شوك الحطب كأنه حرير. وهذا منه قدس سره موضح ومبين لما مر من الآداب حيث حمل بمجرد إشارة الشيخ الحطب المشتمل على الشوك على ظهره وهو فرح مسرور بذلك، يراه كأنه حرير ولذلك نال ما نال وارتفع وترقّى حتى عرّج به إلى سماء الوصال، فإن لم تستطع يا أخي أن تسلك هذه المسالك فتضرّع وانكسر بين أيديهم بظاهرك وباطنك واغسل نجاسة المخالفات بماء الاستغفار وتحل بحلية الاعتذار، فما لا يدرك كله، لا يترك كله.

نقل عن حضرة الخواجة قدس سره أنه لما كان في قصر العارفين مشغولاً بعمارة المسجد كان يحمل الطين على رأسه المبارك إلى سطح المسجد ويترنّم ببيت بالفارسي مضمونه، اعمل بروحي عملك كيف لا أعمل وأرفع على رأسي حملك كيف لا أرفع وفي هذا العمل منه قدس سره اقتداء بفعله ﷺ في الخندق وفعل أصحابه.

فإن مدار طريقه قدس سره على المتابعة وفيه إشارة إلى أن الكامل لا يترفع عن خدمة مولاه بل يعدها من أعظم سعاداته وأرفع علاه. انتهى.

وفي الرشحات وقال مولانا محمد مسكين الذي كان من عظماء وقته أنه لما مات الشيخ نور الدين حضر الخواجة بهاء الدين تعزيته في مدينة بخارى ففزع أصحابه بأصوات كريهة فحصل الكراهة للحاضرين بفزعهم ومنعوهم وكل من كان من أهل المجلس تكلم بشيء، فقال الخواجة نقشبند حين يجيء أجلي أنا أعلمكم طريق الموت.

قال مولانا محمد فكنت منتظراً إلى آخر وقته فلما مرض الخواجة نقشبند مرض الموت خرج من بيته ودخل الرباط وجلس في الخلوة وكان أصحابه عنده وهو ينضح لهم بطريق الشفقة إليهم ويلتفت إليهم كثيراً وفي النفس الأخير مد يديه بالدعاء زماناً طويلاً ثم مسح بيده على وجهه ثم انتقل.

وقال[1] سيدنا ومولانا قال الخواجة علاء الدين الفجدواني كنت حاضراً في وقت سكراته ونزعه فلما وقع نظره علي قال يا علاء الدين احضر سفرة الطعام وكل الطعام، فلامتثال أمره أكلت لقمة أو لقمتين وغمض عينيه، ثم فتح فرآني فقال كل الطعام أربع مرات، وكان في خاطرهم أن الخواجة إلى من ينسب أمر الخلافة وتربية المريدين

(١) يعني الخواجه عبيد الله احرار اهـ.

Marfat.com

وإرشادهم، فقال بالفراسة لا تشوشوني في هذا الوقت فإن هذا الأمر ليس بيدي فإن أعطاكم الله تعالى ذلك الحال فهو المرخص لكم بتربية الناقصين.

وقال الخواجة علي أمرني الخواجة بحفر القبر فلما فرغت من حفره حضرت عنده فجاء في خاطري أنه من يعين مكانه فقال بفراسته كلامي هو الذي قلته في سفر الحجاز، يعني من يريد أن يلحقني فليلحق بالخواجة محمد بارسا ثم انتقل في اليوم الثاني منه.

وقال الخواجة علاء الدين العطار وقت احتضاره بدأت بقراءة سورة يس فلما قرأت نصف السورة ظهرت أنوار كثيرة فتركت قراءة يس واشتغلت بالكلمة الطيبة ثم انقطع نفسه وكان سنه ثلاثاً وسبعين سنة ومات ليلة الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

ولا يخفى عليك أن أكمل وأفضل خلفاء الخواجة بهاء الدين الخواجة علاء الدين والخواجة محمد بارسا، وكان له أصحاب كثيرون ولكني لا أذكر إلا من نقل عنه سيدنا ومولانا كلاماً واجتمع به وإن كان الخواجة علاء الدين من أعظم خلفائه وأجلّ أصحابه، لكن أذكره بعد ذكر جميع الأصحاب لأن له توابع ولواحق كثيرة. انتهى.

(الفصل الثاني)

في بعض مناقب الإمام الربّاني قدس الله تعالى سره[1]

هو معدن أكارم السلف والخلف حائز المحامد والمكارم والشرف العلم الربّاني والكامل الصمداني درة إكليل الأولياء المنتخبين وغرّة جبين الأصفياء الغر المحجلين الذي تشرف هذا العصر بوجوده وابتسم ثغر الدهر بأفضاله وجوده المرشد الكامل المكمل والمنقذ المخوّف المؤمل داعي الخلق بالحق إلى الحق وهو القطب الأوحد والعلم المفرد الأمجد المحبوب السبحاني والإمام الربّاني مجدد الألف الثاني، سد

---

(١) نقل حفيده الشيخ محمد المظهر عن المناقب الأحمدية والمقامات السعيدية وغيرها عن والده الرباني قدس الله سرهما. فقال: هو سيدنا ومولانا الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد بن الشيخ زين العابدين بن عبد الحي بن محمد بن حبيب الله ابن الإمام الشيخ الفقيه بدر الدين بن الشيخ الفقيه سليمان بن يوسف بن عبد الله بن إسحاق بن عبد الله بن شعيب بن أحمد بن يوسف بن شهاب الدين المعروف بفرخ شاه الكابلي بن نصير الدين بن محمود بن سليمان بن مسعود بن عبد الله الواعظ الأصغر بن عبد الله الواعظ الأكبر ابن أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر بن عبد الله ابن أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ الثاني سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين وعنا بهم، امين.

Marfat.com

ومولانا الشيخ أحمد العمري الفاروقي نسباً الحنيفي مشرباً الحنفي مذهباً النقشبندي طريقة السرهندي مولداً.

قال الشيخ محمد باقر بن شرف الدين العباسي اللاهوري خادم الإمام موصوم قدس سرهما في كنز الهدايات ولد قدس سره يوم عاشوراء سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة سرهند، من أعمال اللاهور في الهند، وأخذ العلوم كلها معقولها ومنقولها، عن والده مولانا الشيخ عبد الأحد قدس سره وعن غيره من محققي زمانه.

واشتغل بالطرق الثلاث القادرية والسهروردية والجشتية على والده قدس سره، وأذن له بالإرشاد والاستخلاف في الطرق المشار إليها وكان سنه وقتئذ سبعة عشرة سنة، فلم يزل مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف وتربية السالكين وهداية المريدين وإرشاد الطالبين، ولكن في نفسه شغف عظيم لتحصيل نسبة الطريقة العلية النقشبندية لعلمه بفضلها على سائر الطرق وعلو نسبتها على كافة النسب حتى اجتمع بالعارف الكبير والمرشد المنير مولانا الخواجة محمد الباقي وكان قد أرسله شيخه الإمام الشهير والهمّام النحرير مولانا الخواجكي الأمكنكي قدس سره من بخارى إلى الهند لتربيته فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ولازمه فنال المرغوب في مدة شهرين وبضعة أيام حتى شهد له شيخه قدس سره بالمرادية والمحبوبية والكمال والتكميل، وفوّض إليه إرشاد مريديه، بل طلب منه الإفادة لنفسه وقال في حقه إنه القطب الأعظم فجلس للإرشاد وهداية العباد، وعمّ نفعه الحاضر والباد، كيف لا وقد أخبر بوجوده رسول الله ﷺ كما أورده السيوطي في جمع الجوامع، يكون في أمتي رجل يقال له صلة يدخل بشفاعته كذا وكذا ويدل له ما كتبه قدس سره في أحد مكاتيبه، الحمد لله الذي جعلني صلة بين البحرين ومقتبساً لأنوار النيرين.

وذكر الشيخ الكامل مير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين الخواجة محمد الباقي، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام على المنبر وهو يثني على الشيخ أحمد السرهندي ويقول: إني أباهي وأفتخر بوجوده في أمّتي وأن الله تعالى جعله مجدداً في أمّتي وقد بشّر بظهوره كبار الأولياء، كما في المناقب فمن ذلك ما نقله الشيخ بدر الدين السرهندي عن الشيخ الأكمل السيد أحمد الجامي قدس سره أنه قال: يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يسمّون بأحمد آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم وأجمع جم غفير من أهل الكشف، على أن المراد به المجدد قدس سره ومنه ما قاله مولانا الخواجكي الأمكنكي لخليفته الأكمل محمد الباقي قدس سره، أنه يخرج رجل من الهند يكون إمام عصره ويصير فتوحه على يديك فأسرع إليه فإن أهل الله منتظرون

قدومه، فلما توجه من بخارى إلى الهند واجتمع به المجدد وأخذ عنه قدس سرهما قال له: أنت ذلك الرجل المبشّر به، وقال له أيضاً لما وصلت إلى سرهند رأيت رجلاً قيل لي هو قطب زمانه، فلما رأيتك عرفتك بتلك الحلية والصورة.

وقال له أيضاً: لما دخلت سرهند رأيت هناك مشعلة أوقدت في غاية العظمة والرفعة حتى كأنها وصلت إلى السماء وقد امتلأ العالم من نورها شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منها سراجاً سراجاً.

قال وهذا شأنك ومنه أن قدوة الكاملين شاه كمال الكتيلي قدس سره أودع الجبة المباركة التي قيل إنها مورثة من الغوث الأعظم عبد القادر الجيلي قدس سره عند حفيده العارف الربّاني شاه اسكندر. وقال له احفظها حتى يظهر صاحبها، فلما ظهر المجدد قدس سره أمره في الواقعة أن يوصلها إليه فإنه أهلها، فلم يوصلها ثم خاطبه في سره فلم يفعل فعاتبه في المرة الثالثة، فجاء بها إليه وألبسه إياها فترتبت على ذلك أمور عظيمة ومنه أن تاجراً صدوقاً أميناً على وجهه أنوار الصلاح ذكر أنه كان في بدايته عظيم المحبة والاعتقاد في غوث العالم عبد القادر الجيلي قدس سره. قال وكان يظهر لي أحياناً ويبشرني بأمور ويعينني بمهماتي فقال لي يوماً في الواقعة: إنك أخذت مدداً عظيماً، ولكن لا بد من شيخ في الظاهر، فقلت له فإلى من أرجع، فقال إلى الشيخ أحمد السرهندي فإنه اليوم الجامع بين الظاهر والباطن وهو قطب زمانه، فلما اجتمعت به رأيت منه عجائب الكرامات وغرائب الكمالات ودخل رجل من أكابر بلخ إلى سرهند فلما رأى المجدد قدس سره قال إني كنت في بلخ فحضرت جنازة اجتمع عليها أولياء ما وراء النهر من السلف والخلف، مثل القطب الربّاني عبد الخالق الغجدواني والخطب الخواجة بهاء الدين نقشبند قدس سرهما وهم منتظرون لقدوم كبير فسألت رجلاً عن ذلك فقال: هذه جنازة قطب، وهم منتظرون قطب الأقطاب فبينما نحن كذلك إذ جاء رجل كبير نوراني فقدموه فأمّهم، فسألت عنه فقيل لي إنه الشيخ أحمد السرهندي سره، وقد اعترف بفضله فحول علماء زمانه وأذعن لتجديده أكابر [illegible] أنواع العلوم الدينية وتبيينه المعارف اليقينية في الآفاق وإيضاحه [illegible] والرسالة وكمالات أولي العزم ودرجات الخلة والمحبة وبيان [illegible] الإلهية بما لم يسبق إليه وخصه الله تعالى بمواهب لدنية وأذواق عالية غيبية. ثم [illegible] قدس سره منها أنه كان يقول اعلم أن العناية الإلهية جذبتني جذب المرادين أولاً ثم يسّرت لي طي منازل السلوك ثانياً، فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية، ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول

Marfat.com

وسريان، ثم وجدته سبحانه معها بمعية ذاتية ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رأيته سبحانه وما رأيت شيئاً، وهو المعنى بالتوحيد الشهودي وهو المعبّر عنه بالفناء، وهو أوّل قدم توضع في الولاية وأسبق كمال في البداية وهذه الرؤية في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الآفاق ثم ثانياً في الأنفس، ثم ترقّيت إلى البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فرأيت الأشياء ثانياً، فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي، ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي، ثم رأيت الأشياء وما رأيت الله تعالى أصلاً وهي النهاية التي هي الرجوع إلى البداية والعود إلى مرتبة العوام، وهذا المقام هو أتم مقامات دعوة الخلق إلى الحق وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة إلى الخلق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة وكان يقول قدس سره العلوم والمعارف الصادرة عني هي خارجة عن طور الولاية وإنما هي مقتبسة من مشكاة أنوار النبوّة على مصدرها الصلاة والسلام، جددت بتجديد الألف الثاني بطريق التبعية والوراثة تعجز أرباب الولاية كالعلماء عن إدراكها لأنها وراء علوم العلماء ومعارف الأولياء، بل علوم هؤلاء بالنسبة إلى تلك العلوم قشر وتلك العلوم لبابها ولا تخالف الشريعة بل هي أساس الدين وخلاصة علم الذات والصفات تعالت وتقدّست وما تكلم بها أحد من العظماء ولا الكبراء استأثر الله سبحانه بها هذا العبد، فصاحب هذه العلوم والمعارف مجدد هذا الألف وكان يقول قدس سره قد كشف لي التوحيد الوجودي وأفيضت عليّ علوم كثيرة ومعارف جمة ورقائق وافية من هذا المقام ولاحت لي معارف الشيخ الأكبر رضي الله عنه وتشرّفت بالتجلّي الذاتي الذي بيّنه الشيخ وجعله نهاية العروج وخصّه بخاتم الولاية مفصلاً ومشروحاً وكان قدس سره يقول بشّرني رسول الله ﷺ بأنك من المجتهدين في علم الكلام ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة، وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة وقال لم أكتب قبل لأحد مثله.

وكان قدس سره يقول كشفت لي خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطعات الفرقانية فوجدت تحت كل حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذات العلية، لو أظهرت شيئاً منها لقطع مني الحلقوم.

وكان قدس سره يقول كشف لي عن أسماء من يدخلون في سلسلتنا من الرجال والنساء إلى يوم القيامة.

وكان قدس سره يقول روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال: إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، لكن بين من يجدد المائة ومن يجدد الألف

Marfat.com

فرق عظيم كالفرق بين المائة والألف، بل أعظم من ذلك.

وكان قدس سره يقول لما صحبت القائم اليوم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل إلى نهاية النهاية البالغ أقصى درجات الولاية قطب مدار الخلائق كاشف أسرار الحقائق الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقق الجامع لكمالات الولاية المحمدية مسند أهل الإرشاد والهداية مرشد طريق درج النهاية في البداية زبدة العارفين قدوة المحققين، شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجل العارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى حصل لي ببركة توجهه الجذبة التي تشعبت بعد الاستهلاك في صفة القيومية وشرفت باندراج النهاية في البداية.

ثم حصلت لي مراتب السلوك ووصلت إلى النهاية التي هي عبارة عن الوصول إلى الاسم الرب بمدد أسد الله الغالب كرم الله تعالى وجهه، ثم ترقّيت إلى القابلية الأولى التي هي عبارة عن الحقيقة المحمدية بمدد الخواجة نقشبند قدس سره ثم إلى مقام إجمال تلك القابلية وهو مقام الأقطاب المحمدية بمدد الروح المقدسة النبوية وفي أثناء ذلك حصل لي مدد يسير من الخواجة علاء الدين العطّار قدس سره ولما وصلت إلى ذلك المقام أعطيت خلعة القطبية من الحضرة المحمدية ثم جذبتني العناية الإلهية، فعرجت إلى مقام الأصل الممتزج بالظل الذي هو فوق مقام الأقطاب المختصّ بالأفراد ثم أدركتني الغاية الصمدانية فأوصلتني إلى مقام الأصل الخاص وفي هذا العروج وصل إلي من الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره مدد عظيم، وتصرف قوي أوصلني إلى مقام أصل الأصل، ثم نزلت إلى العالم المعبّر عنه بالسير عن الله بالله وحينئذ مررت على مقامات مشايخ السلاسل سوى النقشبندية والقادرية، فاستقبلوني بالإعزاز والإكرام وألقوا عليّ من نفائس نسبتهم وخصائص مواجيدهم وانكشفت لي حقائق كل منها وتفاوت درجاتها فكان حصول العلوم اللدنية لي من روحانية المصطفى على نبينا وعليه السلام قبل وصولي إلى مقام الأقطاب المذكور سابقاً، وبعد وصولي إلى ذلك المقام يأخذ الواصل العلوم من حقيقة نفسه كل ذلك بوراثته صلى الله عليه وسلم وكان قدس سره يقول: إن الله أعطاني قوة عظيمة في أمر النفي حتى إني لو سقطت من السماء توجهت إلى خشبة يابسة لاخضرّت وكان يقول نسبتي هذه تبقى إلى آخر الدنيا إلى يوم القيامة حتى أن الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة.

وكان يقول طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة، فالواجب أن يزين المؤمن باطنه بنسبتهم ويزين ظاهره كله بمتابعة السنة المطهرة، وكان يقول الباطن متمم للظاهر ومكمّل له، ليس بينهما مخالفة أصلاً فالأمور التي تشاهدها في الظاهر

Marfat.com

الطريق مخالفة للشريعة فمبناها سكر الوقت وغلبة الحال ولو ترقّى السالك من هذا المقام إلى مقام الصحو لما رأى مخالفة أصلاً، وكان قدس سره يقول كنت مرة في حلقة أصحابي فخطر لي أني في قصور ونقص، فبينما أنا كذلك إذ ألقي في سري أني قد غفرت لك ولمن توسّل بك إلي بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة.

وكان قدس سره يقول: كثيراً ما كان يقع إلي العروج في هذه الأيام فوق العرش المجيد، ولقد عرج بي مرة فلما قطعت من المسافة مثل ما بين مركز الأرض إلى العرش رأيت مقام الإمام الخواجة نقشبند قدس سره ورأيت فوق ذلك قليلاً بعض المشايخ منهم الشيخ معروف الكرخي والشيخ أبو سعيد الخراز وبعض المشايخ في مقامه وتحته الشيخ نجم الدين الكبري والشيخ علاء الدين وسائر المشايخ دونه، وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت والخلفاء الراشدين وسائر الأنبياء فوقهم على طرف من مقام نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ومقامات الملائكة على طرف آخر ومقامه ﷺ أرفع وأعلى.

واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي، وربما يقع من غير قصد.

وكان قدس سره يقول كان تكويني من بقية طينة حبيبه ﷺ وكان يقول المقصود من الطريقة ازدياد علوم الشريعة، حتى يتخلص من البرهان إلى الكشف.

وكان يقول علم اليقين شهود الدلائل وعين اليقين شهود الحق بعد كونه معلوما بالدليل وهو يستلزم الفناء وحق اليقين عبارة عن شهود الحق بعد ارتفاع اليقين واضمحلال المتيقن. وهذا البقاء بالله في مقام بي يسمع وبي يبصر الخ اهـ.

وفي المعربات للشيخ يونس قدس سره ومن ألفاظه القدسية ما قاله في معارف الصوفية. اعلم أن معارفهم وعلومهم في نهاية سيرهم وسلوكهم إنما هي علوم الشريعة لا أنها علوم أخر غير علوم الشريعة، نعم تظهر في أثناء الطريق علوم ومعارف كثيرة ولكن لا بد من العبور عنها ففي نهاية النهايات علومهم علوم العلماء وهي علوم الشريعة والفرق بينهم وبين العلماء أن تلك العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية وبالنسبة إليهم كشفية وضرورية.

وقال في الشريعة اعلم أن الشريعة متكفلة بجميع السعادات الدنيوية والأخروية ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة، وأما الطريق والحقيقة فهما خادمان للشريعة وتحصيلهما لتكميل الشريعة لا غير وأما الأحوال والمواجيد والمعارف التي تظهر للصوفية في أثناء الطريق فليست من المقاصد بل هي أوهام وخيالات لأن تربي بها أطفال الطريقة، فلا بد من العبور عنها في النهاية.

وقال في القلب اعلم أن المدار على القلب فلا ينتج من مجرد الأعمال الصورية

Marfat.com

شيء وسلامة القلب إنما تكون بعدم التفاته إلى السوي. وقال في علاج القلب أحسن المصاقل التي تصقل من القلب محبة السوي متابعة المصطفى ﷺ.

وقال في التوحيد اعلم أن التوحيد قسمان توحيد شهودي وتوحيد وجودي. والذي لا بد منه هو التوحيد الشهودي الذي يتعلق به الفناء والتوحيد الشهودي لا يخالف العقل ولا الشرع بخلاف التوحيد الوجودي فإنه يخالفهما، ويتضح ذلك بمثال. وذلك أنه إذا قال شخص عند طلوع الشمس واختفاء الأنجم ليس في السماء إلا الشمس، فهذا القول صحيح لا يخالف العقل ولا الشرع إذ لا يرى حينئذ إلا الشمس لضعف بصره فلو أعطى حدة البصر لرأى الأنجم مع الشمس بخلاف ما لو قال ذلك قبل طلوع الشمس فإنه يكذبه العقل والشرع.

وأما أقوال المشايخ التي وردت في التوحيد فلا بد أن تحمل على التوحيد الشهودي حتى لا تخالف العقل ولا الشرع، فالتوحيد الوجودي في مرتبة علم اليقين والتوحيد الشهودي في مرتبة عين اليقين التي هي مقام الحيرة كقول الحلاج: أنا الحق وقول أبي يزيد سبحاني وأمثالهما. فإنها كلها في مقام عين اليقين الذي هو مقام الحيرة قبل الوصول إلى حق اليقين، فإذا عبروا من ذلك ووصلوا إلى مقام حق اليقين يتحاشون من أمثال هذه الأحوال كما وقع لشيخنا ولهذا الفقير ابتلاء بها في أثناء الطريق ثم العبور عنها في النهاية وقال في وجود الحق تعالى وفي نبوة نبينا ﷺ وما جاء به من عند الله تعالى.

اعلم أن وجود الحق تعالى وكذا وحدته بل نبوة محمد ﷺ بل جميع ما جاء به من عند الله تعالى لا يحتاج إلى فكر ولا دليل، والنظر والفكر فيها ما دامت العلة موجودة والآفة ثابتة، وبعد النجاة من مرض القلب ودفع الغشاوة البصرية لا يبقى غير البداهة. مثلاً الصفراوي ما دام مبتلى بعلة الصفراء فحلاوة السكر عنده تحتاج إلى دليل، والأحول يرى الشخص الواحد اثنين ويحكم بعدم وحدته فهو معذور، وما دام الآفة فيه لا يخرج وحدة الشخص من البداهة ولا يجعله نظرياً.

ومعلوم أن ميدان الاستدلال ضيق واليقين الذي يحصل من طريق الأدلة متعذر جداً، فلا بد في تحصيل الإيمان اليقيني من إزالة المرض القلبي فكما أن السعي في إزالة علة الصفراء للصفراوي لتحصيل اليقين له بحلاوة السكر أهم من السعي في إقامة الأدلة لتحصيل اليقين بحلاوته، فكذلك ما نحن فيه فإن النفس الأمارة منكرة بالذات للأحكام الشرعية وحاكمة بالطبع بنقاضتها فتحصيل اليقين بهذه الأحكام الصادقة بالأدلة مع وجود إنكار وجدان المستدل متعذر جداً، فلا بد في تحصيل اليقين من تزكية النفس

Marfat.com

وتحصيل اليقين من غير تزكيتها مشكل لآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: الآيتان ٩، ١٠] فعلم أن منكر هذه الشريعة الباهرة والملة الطاهرة الظاهرة مثل منكر حلاوة السكر.

فالمقصود من السير والسلوك وتزكية النفس وتصفية القلب إزالة الآفات المعنوية والأمراض القلبية كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: الآية ١٠] حتى يتحقق بحقيقة الإيمان فإن وجد إيمان مع وجود هذه الآفات فهو بحسب الصورة فقط، فإن وجد أن الإمارة حاكمة بخلافه ومصرة على حقيقة كفرها ومثل هذا الإيمان والتصديق الصوري مثل إيمان الصفراوي بحلاوة السكر، فإن وجدانه شاهد بخلافه فكما أنه لا يحصل اليقين الحقيقي بحلاوة السكر إلا بعد إزالة مرض الصفراء فكذلك لا تحصل حقيقة الإيمان إلا بعد تزكية النفس والاطمئنان. وحينئذ يكون وجدانياً وهذا القسم من الإيمان محفوظ من الزوال ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون صادق في شأنهم شرفنا الله تعالى بشرف هذا الإيمان الكامل الحقيقي.

وقال في بيان فضل الطريقة النقشبندية وإنها هي طريقة الصحابة وفي بيان فضلهم رضي الله عنهم، اعلم أن طريقة الخواجكات قدس سره أسرارهم مبنية على اندراج النهاية في البداية.

قال الشيخ النقشبندي قدس سره نحن ندرج النهاية في البداية وهذه الطريقة بعينها طريقة الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. فإن الصحابة تيسر لهم في بداية صحبتهم مع النبي عليه السلام ما لم يتيسر لغيرهم في نهايتهم فلهذا لما تشرّف وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنهما في بداية إسلامه مرة بصحبة النبي ﷺ كان أفضل من أويس القرني الذي هو خير التابعين، فالذي تيسر لوحشي في بداية تلك الصحبة ما تيسر لأويس في نهايته.

وقال في بيان أن الجذبة التي قبل السلوك ليست من المقاصد والتي بعدها من المقاصد.

اعلم أن للوصول طريقين الجذبة والسلوك، وبعبارة أخرى التزكية والتصفية والجذبة التي قبل السلوك ليست من المقاصد والتصفية التي قبل التزكية ليست من المطالب، والجذبة التي تكون بعد تمام السلوك والتصفية التي تكون بعد حصول التزكية الكائنة في السير في الله من المقاصد المطلوبة فالجذبة والتصفية السابقة لأجل تسهيل السلوك على السالك وبدون السلوك لا ينال المطلوب وبلا قطع المنازل لا يظهر جمال

Marfat.com

المحبوب فالجذبة الأولى كالصورة للثانية، وفي الحقيقة لا مناسبة بينهما، فالمراد من اندراج النهاية في البداية اندراج صورة النهاية وإلا فحقيقة النهاية لا تسعها البداية وتحقيق هذا المبحث مفصل في رسالة الجذبة والسلوك فلا ينبغي الاكتفاء عن الحديقة بالصورة بل لا بد من العبور عن الصورة إلى الحقيقة اهـ. وتوفي قدس سره سابع عشري صفر سنة ألف وأربع وثلاثين أعاد الله علينا من بركاته.

(الفصل الثالث)

في جملة من مناقب شيخنا أبي البهاء ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي قدس الله سره العزيز قال في الحقيقة اعلم أن شيخنا أمدّنا الله بمدده وبارك لنا في مدده على ما ترجمه أحد الإخوان بما ملخصه هو أبو البهاء ذو الجناحين ضياء الدين حضرة مولانا الشيخ خالد الشهرزوري الأشعري عقيدة الشافعي مذهباً النقشبندي المجددي طريقة ومشرباً القادري السهروردي الكبروي الجشتي إجازة ابن أحمد بن حسين العثماني نسباً ينتهي نسبه إلى الولي الكامل بير ميكائيل صاحب الأصابع الست المشهور بين الأكراد بشش انكشت، يعني ست أصابع، لأن خلقة أصابعه كانت هكذا.

وهذا الولي معروف الانتساب إلى الخليفة الثالث منبع الإحسان والحياء ذي النورين عثمان بن عفان الأموي القرشي رضي الله تعالى عنه العالم العلامة والعمدة الفهامة مالك أزمة المنطوق والمفهوم ذو اليد الطولى في العلوم من صرف ونحو وفقه ومنطق ووضع وعروض ومناظرة وبلاغة وبديع وحكمة وكلام وأصول وحساب وهندسة واصطرلاب وهيئة وحديث وتصوّف، العارف المسلك مربي المريدين ومرشد السالكين ومحط رحال الوافدين وأمه ينتهي نسبها إلى الولي الكامل الفاطمي بير خضر المعروف النسب والحال بين الأكراد قدس سره سنة ألف ومائة وتسعين تقريباً[1]. بقصبة قره دغ من أكبر سناجق بابان وهي عن السليمانية نحو خمسة أميال تشتمل على مدارس وتكتنفها الحدائق وتنبع فيها عيون عذبة السلسال ونشأ فيها وقرأ ببعض مدارسها أوائل والمحرر للإمام الرافعي في فقه الشافعية ومتن الزنجاني في التصرف [illegible] وبرع في النثر والنظم قبل بلوغ الحلم مع تدريب لنفسه على [illegible] والعفة والتجريد والانقطاع على قدم أهل الصفة.

ثم رحل لطلب العلم إلى النواحي الشاسعة وقرأ فيها كثيراً من العلوم الشرعية ورجع إلى نواحي وطنه فقرأ فيها على العالم العامل والنحرير الفاضل ذي الأخلاق

---

(١) الذي تحققته بعد الفحص أنه ولد سنة ثلاث وتسعين فلذا قال تقريباً اهـ مصححه.

Marfat.com

الحميدة والمناقب السديدة، السيد الشيخ عبد الكريم البرزنجي رحمه الله تعالى وعلى العالم المحقق الملاّ محمد صالح وعلى العالم المحقق الملاّ إبراهيم البياري والعالم المدقق السيد الشيخ عبد الرحيم البرزنجي أخي الشيخ عبد الكريم والعالم الفاضل الشيخ عبد الله الخرباني، ثم رحل إلى نواحي كوى وحرير وقرأ شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على العالم الذكي والنحرير الألمعي الملاّ عبد الرحيم الزيادي المعروف بملاّ زاده وأخذ في تلك النواحي غير ذلك عن غيره فعاد إلى قصبة كوى للأخذ عن العالم العامل الورع الكامل ذي الفضل الجلي الملاّ عبد الرحمن الجلي رحمه الله تعالى فصادفه مريضاً مرضه الذي توفي فيه ورجع إلى السليمانية ثانياً، فقرأ فيها وفي نواحيها الشمسية والمطوّل والحكمة والكلام وغير ذلك، وقدم بغداد وقرأ فيها مختصر المنتهى في الأصول ورجع إلى محله المأهول.

وحيث حل من المدارس كان فيها الأتقى الأورع السابق في ميادين التحقيق. كل فارس لا يسأل عن مسألة من العلوم الرسمية إلا ويجيب بأحسن جواب، ولا يمتحن بغويصة من تحفة ابن حجر أو تفسير البيضاوي إلا ويكشف عن وجوه خرائد الفوائد النقاب، وهو يستفيد ويفيد ويقرر ويحرر فيجيد إلى إنصاف وذكاء خارق وقوّة حافظة بذهن حاذق ومهما دقق في درسه على ما يريد يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه القائل: لسان حاله هل من مزيد.

وطال ما ألقى السؤال واستشكل الأشكال فلم يكن المجيب إلا هو بأبدع منوال. هذا مع تصاغره لدى الأساتذة والأقران وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان، حتى أنه يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك إلى قراءته بتحقيق يتحير فيه أهل مادته. فاشتهر خارق علمه وطار إلى الأقطار صيت تقواه وذكائه وفهمه إلى أن رغب بعض الأمراء في نصبه مدرساً قبل التكميل في إحدى المدارس. وأن يوظف له وظائف ويخصه بالنفائس فلم يجبه إلى هذا المرام زهداً فيما لديه من الحطام قائلاً: إني الآن لست من أهل هذا المقام. فرحل بعدها إلى سندج ونواحيها وقرأ فيها العلوم الحسابية والهندسية والاصطرلابية والفلكية على العالم المدقق جغميتي عصره وقوشجي مصره من في إشارته شفاء كل داء ونجاة كل عليل بالجهل سقيم الشيخ محمد قسيم السنندجي وكمل عليه المادة على العادة فرجع إلى وطنه قاضي الأوطار وصيته إلى أقصى الأقطار. طار فولي بعد الطاعون الواقع في السليمانية سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر تدريس مدرسة أجلّ أشياخه المتوفين بالطاعون المذكور الشيخ السيد عبد الكريم البرزنجي فشرع يدرس في العلوم وينشر المنطوق منها والمفهوم غير راكن إلى الدنيا ولا إلى أهلها

Marfat.com

مقبلاً على الله تعالى متبتلاً إليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها، لا يتردّد إلى الحكّام ولا يحابي أحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الأحكام، لا تأخذه في الله لومة لائم وهو نافذ الكلمة محمود السيرة يأخذ بالعزائم حتى صار محسود صنفه عزيزاً في وصفه مع الصبر على الفقر والقناعة واستغراق الأوقاف بالإفادة والطاعة إلى أن جذبه سنة ألف ومائتين وعشرين شوق الحج إلى بيت الله الحرام وتوق زيارة روضة خير الأنام عليه الصلاة والسلام فتجرّد عن العلائق وخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله الصادق فرحل هذه الرحلة الحجازية من طريق الموصل وديار بكر والرها وحلب والشام، واجتمع بعلمائها الأعلام وصحب في الشام ذهاباً وإياباً العالم الهمام شيخ القديم والحديث ومدرّس دار الحديث الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى وسمع منه وأخذ عليه فقرّبه وقرّ به عيناً وفاز بما لديه من علوم الإسناد وإجازات المسلسلة الجليلة المفاد. وصحب تلميذه كذلك الأخص الأصفى الشيخ مصطفى الكردي متع الله الطلاب بطول حياته فأجازه كشيخه بأشياء منها الطريقة العلية القادرية فخرج منها على جادة العزائم بأحسن قدم يطعم ولا يطعم فوصل المدينة المنورة ومدح الرسول ﷺ بقصائد فارسية بليغة محررة ومكث فيها قدر ما يمكث الحاج وصار حمامة ذلك المسجد الوهّاج.

قال: وكنت أفتش على أحد من الصالحين لأتبرك ببعض نصائحه لعلّي أعمل بها كل حين، فلقيت شيخاً يمنياً مترضياً عالماً عاملاً صاحب استقامة وارتضا فاستنصحته استنصاح الجاهل المقصّر من العالم المستبصر فنصحني بأمور منها: لا تبادر في مكة بالإنكار على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة.

فلما وصلت إلى الحرم وأنا مصمم على العمل بتلك النصيحة البديعة بكّرت يوم الجمعة إلى الحرم لأكون كمن قدم بدنة من النعم، فجلست إلى الكعبة الشريفة قد الدلائل إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زي العوام قد أسند ظهره إلى الشبّاك ووجه إليّ من غير حائل، فحدثتني نفسي أن هذا الرجل لايتأدب مع الكعبة عتبه. فقال لي يا هذا أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة، فلماذا تعترض على استدباري الكعبة وتوجهي إليك. أما سمعت نصيحة من في المدينة وأكّد عليك، فلم أشك في أنه من أكابر الأولياء وقد تستر بأمثال هذه الأطوار عن الخلق، فانكببت على يديه وسألته العفو وأن يرشدني بدلالته إلى الحق، فقال لي فتوحك لا يكون في هذه الديار وأشار بيده إلى الديار الهندية وقال تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في هاتيك الأقطار فأيست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني إلى

Marfat.com

المرام ورجعت بعد قضاء المناسك إلى الشام. انتهى.

فاجتمع ثانياً بعلمائها وحل في قلوبهم محل سويدائها فأتى إلى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات، وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وعده الحسنات الأول سيئات مستقيماً على أحسن الأحوال متشوّقاً إلى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال، إلى أن أتى السليمانية شخص هندي من مريدي شيخه الآتي وصفه فاجتمع به وأظهر احترافه واشتياقه لمرشد كامل يسعفه. فقال الهندي إن لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عاملاً عارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك نقشبندي الطريقة محمدي الأخلاق علماً في علم الحقيقة فسر معي حتى نرحل إلى خدمته في جهان أباد وقد سمعت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المراد فانتقش القول في قلبه وأخذ بمجامع لبه وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس والوظائف فرحل سنة ألف ومائتين وأربعة وعشرين الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري يطوي بأيدي العيس بساط البيد أسرع طي فوصل طهران وبعض بلاد إيران، والتقى مع مجتهدهم المتضلّع بضبط المتون والشروح والحواشي إسماعيل الكاشي فجرى بينهما البحث الطويل بمحضر من جمهور طلبة إسماعيل فأفحمه إفحاماً أسكته وأنطق طلبته بأن ليس لنا من دليل وقد أشار إلى هذه الواقعة في قصيدته العربية متخلصاً لمدح شيخه الآتية أوصافه العذبية.

ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور وزار إمام الطرائق البحر الطامي الشيخ أبا يزيد البسطامي قدس سره ومدحه بمنظومة فارسية وزار من في تلك البلاد من الأولياء الأمجاد حتى وصل طوس وزار بها مشهد السيد الجليل المأنوس نور حدقة البتول والمرتضى الإمام علي الرضا ومدحه بقصيدة غراء فارسية أذعن لها الشعراء الطوسية ولظهور البدع فيها عجل الارتحال والقيام إلى تربة شيخ مشايخ الجام شيخ الإسلام الشيخ أحمد النامقي الجامي فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة فدخل بعدها بلدة هراة من بلاد الأفغان واجتمع مع علمائها بالجامع فجاروه في ميدان الامتحان فوجدوه بحراً لا ساحل له وأقرّ كل منهم بالفضل له فانثنى يحل لهم ما أشكل عليهم من المسائل بأبلغ مقال. ولما رحل عنهم ودّعوه بمسير أميال لما شاهدوه فيه من بديع الحال فسار في مفاوز يضل فيها القطا ويخفق قلب الأسد مخافة خوارج الأفغان المقتحمين مهالك السطا حتى وصل قندهار وكابل ودار العلم يشاور فاجتمع بجم غفير من علماء البلد المذكور وامتحنوه بمسائل من علم الكلام وغيره ورأوه فيها كالسيل الهائل والغيث الهاطل.

ثم رحل إلى بلد لاهور فسار منها ووصل إلى قصبة فيها العالم النحرير والولي

Marfat.com

الكبير أخو شيخه في الطريقة والإنابة إلى مولاة الشيخ المعمر المولى ثناء الله النقشبندي فطلب منه الإمداد بالدعاء، قال فبت في تلك القصبة ليلة فرأيت في واقعة أنه قد جذبني من خدي بأسنانه المباركة يجرني إليه وأنا لا أنجر فلما أصبحت ولقيته قال لي من غير أن أقصّ عليه الرؤيا سر على بركة الله تعالى إلى خدمة أخينا وسيدنا الشيخ عبد الله مشيراً إلى أن فتوحي سيكون عند الشيخ المقصود وهنالك تؤخذ المواثيق والعهود وتنجز الوعود فعرفت أنه قد أعمل همّته الباطنية العلية ليجذبني إليه فلم يتيسر لقوّة جاذبة شيخي المحول فتحي عليه، فرحلت من تلك القصبة أقطع الأنجاد والوهاد إلى أن وصلت دار السلطنة الهندية دهلي المعروفة بجهان إبان بمسير سنة كاملة ولقد أدركتني نفحاته وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة وهو أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي إلى أعتاب قبابه وليلة دخوله بلدة جهان أباد أنشأ قصيدته العربية الطنانة من بحر الكامل يذكر فيها وقائع السفر ويتخلص لمدح شيخه قدس الله سره الأنور ويستعطفه سائلاً من الله القبول شاكراً له على الوصول مطلعها:

كملت مسافة كعبة الآمال ... حمداً لمن قد منّ بالإكمال
وأراح مركبي الطريح من السري ... ومن اعتوار الحطّ والترحال
وأزاح عني قيد حب مواطني ... وعلاقة الأحباب والأموال
وهموم أمهتي وحسرة إخوتي ... وغموم عم أو خيال الخال
وتشاحن الأقران في رتب العلا ... وملامة الحساد والعذال
وأعاذني من فرقة أفاكة ... وأجارني من أمة جهال
أعني روافض أذربيجان الأولى ... هم أشنع المخلوق في الأفعال
ومضلها الكاشي إسماعيل إذ ... قد حار لما شب نار جدال
سحقاً له من مدع متزخرف ... بعداً له من منكر مضلال
وغلاة فرس في حديث مسند ... قد بشروا بإطاعة الدجال
وشرار أهل الطوس من سمو الرضا ... ونفوسهم سمم أحم
وفساد قطاع الطريق بخيبر ... ومن المجوس ومن أتى من
منعوا الآذان رعاية الإسلام إذ ... ضلوا وخاضه أبحر الإضلال

(ومنها متخلصاً)

وأنالني أعلى المآرب والمنى ... أعني وصال المرشد المفضال
من نوّر الآفاق بعد ظلامها ... وهدى الخلائق بعد طول ضلال
نجم الهدى بدر الدجى شمس التقى ... كنز الفيوض خزانة الأحوال

Marfat.com

كالأرض حلماً والجبال تمكناً والشمس ضوءاً والسماء معالي
عين الشريعة معدن العرفان والـ إحسان والإيقان والإفضال
قطب الطرائق قدوة الأوتاد بل غوث الخلائق رحلة الأبدال
شيخ الأنام وقبلة الإسلام صد ر للعظام ومرجع الأشكال
هاد إلى الأولى بهدي مختف داع إلى المولى بصوت عال
محبوب رب العالمين من اهتدى بهداه نال السبق للأمثال
أخفاه رب العرش جل جلاله في قبة الإعزاز والإجلال

(ومنها يخاطب السالك)

واسكن بذا الوادي المقدّس خالعاً نعلي هوى الكونين باستعجال
حجر مقامك بالمقام بلا صفا من طوف حضرة كعبة الآمال

(ومنها):

من شام لمعا من بروق دياره بمشام روض الشام كيف يبالي
آنست من تلقاء مدين مصره ناراً تهيج البال بالبلبال
فهجرت أهلي قائلاً لهم امكثوا ارجع إليكم غب الاستشعال
ونويت هجران الأحبة كلهم وركبت متن الأجرد الصهال
فطوى منازل في مسيرة منزل عواها لجار سابح شملال

(ومنها):

سلب الهوى لبى فما في خاطري غير الحبيب وشوق طيف وصال
قد حان حين تشرفي بوصاله من لي بشكر عطية الإيصال
فكما قضيت الهنا في أشهر طيا لبعد مسافة الأحوال
ووهبت أقداماً على طي الفلا ونزول غور وارتقاء جبالي
ورزقتنا تقبيل عتبة قبلة فاز المقبل منه بالإقبال
فارزق إله العالمين بحقه أدباً يليق بذا الجناب العالي
وأمدنا بلقائه وبقائه وعطائه ونواله المتوالي
زدنا حضوراً في حضور قبابه آدم الورى بحماه تحت ظلال

(ومنها):

زد كل يوم في فؤادي وقعه ما دمت حياً في جميع الحال
وأمتن مرضياً لديه وراضياً عنه رضا يجدي مفاز مآل
فالحمد للفتاح أبواب العطا القادر المتقدّس الفعّال

Marfat.com

ثم الصلاة على الرسول المجتبى خير الورى والصحب بعد الآل

وهي طويلة اكتفينا بذكر هذا القدر منها وفيه الكفاية لطالب الدراية والرواية وله غيرها من المقاطيع العربية ومن الفارسية قصائد ومقاطيع كثيرة أنسية. منها قصيدة غراء في مدح شيخه قدس سره أيضاً وبعد وصوله تجرد ثانياً عما عنده من حوائج السفر، وأنفق كله على المستحقين ممن حضر فأخذ الطريقة العلية النقشبندية بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها على شيخ مشايخ الديار الهندية، ووارث المعارف والأسرار المجددية سباح بحار التوحيد سياح قفار التجريد قطب الطرائق وغوث الخلائق ومعدن الحقائق ومنبع الحكم والإحسان والإيقان والرقائق العالم النحرير الفاضل والعلم الفرد المكمل الكامل المتجرّد عما سوى مولاه حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره واشتغل بخدمة الزاوية مع الذكر الملقن مع المجاهدة.

فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة وبشره شيخه ببشارات كشفية قد تحققت بالعيان وحل منه محل إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم وكسره لدواعي النفس بالرياضات الشاقة وتكليفها خطط العدم فلم تكمل عليه السنة حتى صار الفرد الكامل العلم والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا غرو فإن من السالكين من وصل في لحظة، ومنهم من وصل في ساعة، ومنهم من وصل في يوم، ومنهم من وصل في أسبوع، ومنهم من وصل في شهر، ومنهم من وصل في سنة، ومنهم من وصل في سنين كما هو مذكور في كتاب منهاج العابدين.

وشهد له شيخه عند أصحابه وفي مكاتيبه المرسولة إليه بخطه المبارك بالوصول إلى كمال الولاية وإتمام السلوك العادي مع الرسوخ والدراية والفناء والبقاء الأتمين المعروفين عند الأولياء وأجازه بالإرشاد وخلفه الخلافة التامة في الطرائق الخمسة النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية وأجاز له جميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوّف وأحزاب وأوراد واجتمع بإشارة من شيخه قدس سره بالعالم الفاضل المدرس الواعظ الصوفي الكامل صاحب التأليف النفيسة في [illegible] الروافض بأبلغ تحرير الشيخ المعمر المولى عبد العزيز الحنفي [illegible] العامل المولى الكامل ولي الله الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى فأجاز له روايات الصحاح الستة وبعض الأحزاب وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله صاحب الهمة العلية في طلب الحق.

ثم أرسله بعد ملازمته سنة بأمر مؤكد لم يمكنه التخلف عنه إلى هذه الأقطار والبلاد ليرشد المسترشدين ويربي السالكين بأتقن إرشاد وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال

Marfat.com

ليأتي أوطانه ممتثلاً للأمر الواجب الامتثال سائراً في طريقه براً مدة وبحراً نحو خمسين يوماً لم يطعم طعاماً فيه ولم يشرب الماء متغذياً متروياً بالعبادة والذكر والمشاهدة والزهادة حتى خرج من بندر مسقط إلى نواحي شيراز ويزد وأصفهان يعلن الحق أينما كان وكم مرة تجمع بعض الروافض لضربه وقتله بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله فهجم عليهم بسيفه البتار فنكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار.

ثم أتى همذان وسبندج فوصل السليمانية سنة ألف ومائتين وستة وعشرين باستقبال أعيان وطنه معززاً مكرماً فقدم في تلك السنة بإشارة من شيخه بلدتنا الزوراء ليزور الأولياء فنزل في زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره الأقوم، وابتدأ هناك بإرشاد الناس على أحكم أساس فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً في علمي الباطن والظاهر ولما اطّردت سنة الله في الذين خلواً من قبل أن يجعل حساد الكل من تفرّد بالفضل وكلما كان الكمال والمحبوبية الإلهية أسد كان الإنكار والحسد أشد هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعداوة والبهتان ووشوا عليه عند حاكم كردستان بأشياء تنبو عن سماعها الآذان وهو بريء من كلها بشهادة البداهة والعيان، فلم يقابل صنيعهم الشنيع إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع فلم تخب نارهم وما زاد إلا شرهم وعوارهم وقد قيل:

كل العداوات قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك عن حسد

فخلاهم وشأنهم في السليمانية ورحل إلى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين مرة ثانية فألف الذي تولى كبر البهتان من المنكرين رسالة عاطلة من الصدق والصواب ومهرها بمهور إخوانه المنكرين مشحونة بتضليل الشيخ المترجم وتكفيره ولم يخشوا مقت المنتقم الشديد العقاب وأرسلها إلى والي بغداد سعيد باشا يحرضه على إهانته وإخراجه من بغداد بسعايته فبصره الله تعالى بدسائسهم الناشئة من الحسد والعناد وأمر بعض العلماء بردها على وجه السداد فانتدب له العالم النحرير الدارج إلى رحمة الله القدير محمد آمين أفندي مفتي الحلة سابقاً، وكان مدرس المدرسة العلوية لاحقاً بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها إعجازهم فولتهم الإدبار ثم لا ينصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ومهرت بمهور علماء بغداد وأرسلت إلى المنكرين فسلقتهم بالسنة حداد، فخبت نارهم وانطمست آثارهم ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية محفوفاً بالكمالات الإحسانية وبالجملة انتفع به خلق كثيرون من الأكراد وأهل كركوك وإربل والموصل والعمادية وعينتاب وحلب والشام والمدينة المنوّرة ومكّة المعظمة وبغداد وهو كريم النفس حميد الأخلاق باذل الندا حامل الأذى حلو المفاكهة والمحاضرة رقيق

Marfat.com

الحاشية والمسامرة ثبت الجنان بديع البيان طلق اللسان لا تأخذه في الله لومة لائم يأخذ بالأحوط والغرائم يتكفل الأرامل والأيتام شديد الحرص على نفع الإسلام وله من المؤلفات شرح لطيف على مقامات الحريري لكنه لم يكمل وشرح على حديث جبريل جمع فيه عقائد الإسلام إلا أنه باللغة الفارسية وأكثر شعره فارسي وله فيه ديوان نظم بديع ونثر يفوق أزهار الربيع وهو الآن أعني تاريخ ترتيب هذه الرسالة وهو سنة ألف ومائتين وثلاثة وثلاثين يدرس العلوم من حديث وأصول وتصوّف ورسوم ويحيى للأولياء الرسوم ويداوي الكلوم ويربي السالكين على أحسن حال وأجمل منوال.

وقد مدحه أدباء عصره من مريديه وغيرهم بقصائد فارسية وعربية ورحل إليه كثير من الأقطار الشرقية والغربية وبابه محط رحال الأفاضل ومخيم أهل الحاجات والمسائل لا يشغله الخلق عن الحق ولا الجمع عن الفرق لا زال ظله ممدوداً ولواء ترويج الشريعة والطريقة بوجوده معقوداً آمين أن الذي قلت بعض من مناقبه:

ما زادت إلا لعلي زدت نقصاناً

ولقد حبب إلي أن أثبت هنا قصيدة نظمتها سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين في مدحه مستنداً مستجيزاً من فيض فتحه حتى تتخلّد في الدفاتر وتبقى من المآثر وهي هذه برمتها:

تبدّت لنا أعلام علم الهدى صدقاً ... فصار لشمس الدين مغربنا شرق
وأشرق منها كل ما كان آفلاً ... وأصبح نور السعد قد ملأ الأفق
سقى الله من ماء المحبة وابلا ... قلوباً به هامت فقل كيف لا تسقى
لقد زهدوا فيما سواه فأصبحت ... قلوبهم مملوءة للقى شوق
لقد غرقوا في بحر حب الهمم ... فناهيك من بحر وناهيك من غرقى
إذا ما سرت للسر أسرار شوقهم ... لسيدهم زادوا لرؤيته حرق
قلوب سرت نحو الهدى بمعسكر ... فعادت سهام الحب ترشقهم رشقا
وجاء من التوحيد جيش عرمرم ... فأفنى الذي أفنى وأبقى الذي أبقى
هم القوم لا يشقى جليسهم غدا ... وهل أحد يحظى بقربهم يشقى
أبا خالد ذلّت لديك عصابة ... فوالاهم حباً وأدناهم وقى
لك الله يا شمساً أضاء بنورها ... من الدين ما قد كان أظلم أو زوى
سقيت قلوباً طالما شفها الظما ... فأمطرتها من ماء علم الهدى وروى
فأحييت منها كل ما كان ميتاً ... ورقيت منها كل ما كان لا يرقى
وأخرجتها من كل جهل وظلمة ... فمهما دجا ليل ألحت له برقا

Marfat.com

وأدخلتها حصن التوكّل مخلصاً وأمسكتها للعز بالعروة الوثقى
شفيت بأنوار الغيوب قلوبنا فاسمك تنشق القلوب له شقا
وقد كان سلطان الهوى متمكناً فأوسعها ذلاً وعبدها رقا
فأعتقتها من رقها بتلطّف فجوزيت من خير منحت الورى عتقا
إذا استبقت بالعارفين خيولهم فخيلك بالتوحيد قد حازت السبقا
وإن ركبوا نحو المعارف مركبا ركبت إليها في بحار الهوى عشقا
سموت بنور الله عن كل ناظر فصرت ترى في الغيب ما لا ترى الزرقا
فأنت إمام العارفين ونورهم ومنطقهم مهما أردت بهم نطقا
فعطفاً على من لا يلوذ بغيركم بأن ترشقوه من ندى فيضكم رشقا
فأنتم كرام لا يضام نزيلكم بجاهكم لا تمنعوا الوصل والعتقا
عليك سلام الله ماذر شارق وما صدحت شجواً لموكرها ورقا
وصل على المختار من آل هاشم كما جاء بالحق الذي أظهر الحقا

ومن خوارقه أن من جالسه ولازمه وراعى الآداب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظه واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ووجد تأثير ذلك في الحال وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال واستيقظ من نومه وأفاق متفكراً في المآل وكاد أن يهجر الأهل والعيال وهذه الخاصية لا توجد إلا عند الكمل من الرجال فالحمد لله الذي شرفنا برؤيته وأدخلنا في زمرته وأسأل من رب العباد أن يمن على المريدين بحصول المراد إنه كريم رحيم جواد ونعم ما قيل:

ومن بعد هذا ما تجل صفاته وما كتمه أحظى لديّ وأجمل

انتهى. قلت ثم ارتحل قدس سره من بغداد إلى الشام بأهله وعياله واستوطن دمشق واشترى داراً رفيعة بالمحلة المشهورة بالقنوات ووقف بعضها مسجداً لله تعالى وأقام فيه صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة وعمر فيها كثيراً من المساجد الخربة وأحيا فيها كثيراً من الجوامع المندرسة وذلك عام ثمان وثلاثين ومائتين وألف ولم يزل متردياً برداء الجود والكرم ناشراً للعلم والفضائل والحكم وامتدحه جمع من شعرائها وأدبائها بقصائد لطيفة ومقاطيع منيفة فمنها ما مدحه بعضهم بها في عام قدومه دمشق وذلك سنة ١٢٣٨.

يا ملاذاً قد حبانا بالنوال وبدا إرشاده يحكي الهلال
وسما بين البرايا عندما بالهدى جاء على نهج الكمال
مرشد القوم إمام كامل وإليه منهج الإرشاد آل
حبذا مولى به نلنا الهدى قد أدام النفع فيه ذو الجلال

Marfat.com

فاح عرف الفتح لما جاءنا وعليه النور يعلوه الجمال
بل طبيب القوم في حان الهدى عارف بالله لا يثنيه حال
بحر علم من لدن رب العلى سار بالتحقيق أهل الاتصال
نوره يهدي إلى الحق فقل عنده ما شاء ربي المتعال
وبه الشام غدت باسمة إذ غدا عرفانه السحر الحلال
نقشبند العصر مناح الهدى مذ أتانا قلت مه يا للرجال
هذا من دانت له أهل الحمى في دمشق الشام أرباب النوال
زين عقد العارفين الفضلا شمس فضل ماله حقاً مثال
عين هذا الدهر نور واضح ليس يثنيه لإرشاد ملال
كنز فضل الهدي مصباح الورى ليس في مجلسه تلقى جدال
أشرقت بلدتنا فيه كما أشرقت شمس التهاني بالوصال
جل أستاذاً تسامى رفعة ولي العرفان إذ نال المنال
ارفعي المعيّ ذو تقى جامع الشرع لنا حالاً وقال
كوكب العز بدا مبتسماً في دمشق الشام مذ فيها استطال
لذ شربا ورده في حانه فابتغ الورد لديه لا تبال
فهو بحر مورداً طاب وكم من مريد مدحه السامي أطال
ثق به إن رمت أسنى منحة من إله في علاه متعال
فهو حبر جهبذ سادت به عصبة الذكر فحقق ما يقال
خمره المجلّى شفاء قد غدا فاحتسي يا طالباً صافي الزلال
وارتشف من خمره ثم اجتنى ثمراً ينفي به الداء العضال
الزم الذكر بسرّ ترتقي رتباً جلت كمالاً عن مثال
والتزم نور الهدى مرشدنا تلق حقاً درسه مجلى جمال
سادتي لا تهجروني وارفقوا بفتى علاه وجد والنجاح
ليس يرجو في الورى الأكم لا ولا يبدي إلى الغير سؤال
فاسعفوه وانجدوه كرماً فلكم في بابكم حفت رحال
واعذروني فقصوري ظاهر واصفحوا فالصفح من حسن الخصال
دمت للإرشاد ما قال امرؤ يا ملاذاً قد حبانا بالنوال

ومنها ما مدحه بها الأديب الأريب الشيخ شاهين العطار وذلك سنة ١٢٣٩ وهي هذه

روّح فؤادك من رضاب الساقي واغرس مرادك في رياض الباقي

Marfat.com

واغنم صفا الأيام قبل غروبها وأحيي نياط القلب بالأشواق
واسلك طريق العارفين بلا مرا وابري سموم الجهل بالترياق
فإذا استنار حشاك من شمس البقا وبدت لك الأنوار بالإشراق
فاشهد جمال مصوّر طول المدى واجني ثمار الوصل بالأذواق
واقبل على كنز العلوم وحصنها الطاهر المعروف بالمصداق
إن الغرام مقرّه في خالد وشعاعه ضاو على العشاق
كالشمس تغرب عند عين حمأة وإذا بدت عمت على الآفاق
صور المحامد أحصرت بكماله فأنارها بمحاسن الأخلاق
مالت له الأرواح منذ ألستها وبحبه سعدت على الإطلاق
ما في العوالم حكمة الإله شرح كنظم الدر بالإعتاق
طوبى لمن علقت يداه بذيله وسعى لحضرته على الأحداق
قطر المكارم غيثه من بحره وأجازه الصدّيق بالإنفاق
يا مظهر القرآن حبك شاغلي عن كل ممدوح وعن إرفاق
ولذا أتيتك راجياً بالمصطفى وبآله الوافين بالميثاق
فامنن عليّ بنظرة أغني بها فقراً أذاب الجسم بالإحراق
واسلم ودم تحيي الأنام ببث ما تحرويه من علم العليم الباقي

فلما سمعها الأديب اللبيب الشيخ موسى السباعي وذلك في عام تاريخها شرع يضاهيها بقصيدة أبسط منها في مدح إمامنا المذكور قدس الله تعالى سره العزيز فقال:

كن بالصبابة والع الأشواق وادلج بليلك وانح ركب عراق
واحضر بقلبك ثم غب عن خاطر وإرادة وارتع ببيد سباق
ودع السوى يكشف عن القلب الغطا وتلوح شمس الفتح بالإشراق
وبنار شوقك لن فؤاداً قاسياً واركب مطايا السهد للإلحاق
والزم حمى التجريد للتوحيد إن رمت ارتشافاً من مدام الباقي
واخرج بكلك عنك في سبل الهدى تسقى من الآداب والأذواق
واحرق بنار الجهد نفسك وادّرع ثوب افتقار وابك بالآماق
وارتع بروض الذكر تجن ثماره والحق بركب السادة العشاق
وارقب مع الأوراد وزّاد الصفا بموارد الإمداد والأرزاق
وأحي الفؤاد بوارد الغيب الذي يدني المريد إلى الطريق الواقي
واحلل بوادي الإنس تشهد مشهد الـ أسرار فيك بسيرك المصداق

Marfat.com

فإذا انجلت عين البصيرة أشهدت ... لك الجمّ فرداً في سما الإشراق
وادخل بروحك حضرة قدسية ... جلت عن الإفصاح بالأوراق
فهناك تمنحك الحقائق كشفها ... وتزول حجب الرق بالإعتاق
وترى استتار القلب بعد فناك في ... شمس البقايا واحد الآفاق
واخلع نعالك إن حللت بحيّ من ... هو في طريق الله أكمل راق
هو خالد التمكين عارف وقته ... ملجأ الرجال بحضرة الإطلاق
النقشبندي الكامل البحر الذي ... لذوي الهدى والحب أضحى الساقي
هو ذو الحقائق والمعارف والهدى ... عين الزمان حديقة الأحداق
بدر المطالع جامع العرفان إذ ... يعلوه نور الفضل بالأذواق
شمس بدت للعارفين وأشرقت ... بدمشق فهو الطيب الأعراق
عقد السلوك المرشد الفرد الذي ... فاق الأنام بأطيب الأخلاق
فاستل سيف العزم واقصد حيه ... تنجو به من قاطع معواق
واصرف له دينار فكرك طالباً ... منه الطريق ذخيرة الإنفاق
إياك عنه تحيد وأنشد معلناً ... كن بالصبابة والع الأشواق

ومنها ما مدحه بها بعض الأدباء حين قدم من الحج الشريف مهنئاً له به وذلك سنة ١٢٤٢ :

كأس الزمان بخمر الإنس قد طفحا ... والعندليب بروض الحب قد صدحا
وجاوبته زهور الروض باسمة ... والدهر أصبح في نيل المنى فرحا
وشمس حسن الهنا بالبشر مشرقة ... وطالع الفتح أهدى للورى منحا
والطير غرّد والأغصان راقصة ... والسعد والى قطب بالبسط والشرحا
أما ترى ساجعات الورق صادحة ... فوق الغصون وعرف الورد قد نفحا
إن سالمتك الليالي استل عزمك من ... غمد الخمول وكن بالصدق ممتنحا
واكرع بكأس مدام طاب منهله ... والثم ثغوراً حلت واستحث [illegible]
وانظر فواضل أرواح النسيم ترى ... عند المرور لحسن [illegible]
في دوحة أشبهت راحا ونحن بها ... والنرجس الغض إذ طرفي له لمحا
صدغ تنمنم أو ثغر تنظم أو ... خدّ تكلم أو طرف الرشا سحرا
وغادة بابي أفدى إذا برزت ... تختال عجباً بأذيال إليها مرحا
إذا بدت أحجلت شمس الضحى وغدت ... تأسو على مغرم من وجده شفحا
سألتها الوصل قالت وانثنت عجباً ... لا كان هذا ولا يعده [illegible]

Marfat.com

إلا بمدح الإمام النقشبند ومن ... به سبيل الهدى للسالك اتضحا
قد جاء والشام في هرج وفي مرج ... فكان خير إمام بالهدى نصحا
الوافي عهد القمع النفس قام وفي ... كفيه سيف الهدي المسلول لا برحا
فكم أماط حجاباً بالسلوك وكم ... أنار قلباً بميدان التقى صرحا
وكم مريد حماه من هواه وكم ... تراه بالحق باب الرشد قد فتحا
رعياله من همام مسعف كرما ... بصدق عهد تراه منجداً سمحا
زينت به الشام لما حلّ ساحتها ... وربعها بلقاه لم يزل فرحا
طوبى لكم سالكي طريق عهدته ... كم فاز بالقرب صب أمه ونحا
إذ لاح يتلو بإرشاد دروس هدى ... ومتن منهج قرب الحق قد شرحا
هذا ووجدان وجدي في محبته ... وكأس شوقي إلى لقياه قد طفحا
لم أنس إذ حج بيت الله معتمراً ... وزار طه وفيه كان منشرحا
طوبى له هجر الأوطان ممتثلاً ... أداء فرض له الرحمن قد سمحا
أهلاً به طاف بيت الله معتمراً ... نال المنى في منى ثم العلا ربحا
طوبى له بذل الأموال محتسباً ... بالله لا لثواب يبتغي جنحا
بل خالصاً مخلصاً والحق بغيته ... يرقي العلا بزناد الشوق قد قدحا
ونال من روضة المختار مأمله ... ولاح في صدق عهد الله متّشحا
أهلاً به حينما قال السلام على ... طه الشفيع ملاذي أنت شمس ضحا
بهتيك ذلك يا بحر الهداة ويا ... بدر الكمال كفيت الهم والترحا
فاسلم بأطيب عيش سيدي كرما ... في الهدى تسمو وما طير الهنا صدحا
ما قال صب لك البشرى بحجتكم ... تاريخها جل فضل الله قد صلحا

ومنها ما مدحه العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ محمد الجملة الحنفي الدمشقي الخلوتي وذلك سنة ١٢٤٠ فلما نظرها حضرة شيخنا قدس سره أعجبته ألفاظها ومعانيها وصارت عنده في حيز القبول ثم لما انتهى قدس الله سره إلى التاريخ أعجبه وسرّ به وقال لو كان التاريخ في عام قدومنا إلى دمشق سنة ١٢٣٨ لكان أنسب فغيره وسبكه في قالب آخر ليوافق العدد الذي أشار إليه امتثالاً لأمره واحتشاماً لقدره فقال:

أضحت دمشق ببهجة ومسرّة ... والنور والإشراق منها صاعد
والطير غنى والغصون روافض ... تهتز من طرب وهن موائد
والوقت طاب وهيمنت أهل الصفا ... والزهر يحدق والعنا متباعد
مذ حل بالشام الشريفة سيد ... وعليه من حلى الكمال فرائد

Marfat.com

فسألت عنه بين أرباب الهدى ... قالوا ضياء الدين هذا خالد
وهو المجدد بل هو الداعي إلى ... سبل الرشاد فنعم ذاك الماجد
فلقيته فوجدته كالليث في ... سطواته وهو الإمام الواحد
فدهشت منه مهابة وجلالة ... واصطادني فلانه هو صائد
وملئت منه محبة ولطافة ... وأتت إليّ منافع وفوائد
وأزيل عن قلبي الصدا بلقائه ... وانحل ما هو قبل ذلك عاقد
عالي الجناب فباله من عارف ... بالله وهو مجاهد ومكابد
بحر غدا تمتدّ منه أبحر ... يدري بذا الشهم الذكي الواجد
يلقي العلوم بداهة من صدره ... وبه عليه فيه منه شاهد
في كل علم ماهر متمكّن ... متحقّق متضلع ومجاهد
في عصرنا ما إن رأينا مثله ... والفضل لا يخفيه إلا الحاسد
من أم ساحته ينل ما يبتغي ... من فيضه ما خاب فيه القاصد
وإذا أتاه حائر بطريقه ... يهديه منه نوره المتزايد
فتراه من نفحاته في نشوة ... بغدوّه ورواحه متواجد
ويمده في القلب من عرفانه ... ويذوب منه كما يذوب الجامد
مصباح رشد لائح من وجهه ... وجليسه منه يطيب الوارد
والهدى والإرشاد فاض على الورى ... لا ينكرن هذا التقيّ العابد
هذا جليّ ظاهر لم يخفه ... إلا غبي جاهل ومعاند
ولنقشبند قطبنا هو ينتمي ... أعني بهاء الدين ذاك الواحد
من صدقه وتقاه فانظر يا فتى ... كم من زوايا عمّرت ومساجد
ومدارس درست فأحياها بذكـ ... ـر الله مذ وافى وقام القاعد
وبه طريقته العلية قد نمت ... من كل ناحية أتى الوافد
فلأنها طبق الكتاب وسنة الـ ... ـمختار مافي ذاك يختلف اثنان
لما أتانا فيه قرّت أعين ... فازت بنور هدى له تهتدي
وله تلامذة بدوا ككواكب ... من نورهم حفّ يزان الشارد
جمعتهم أسرار حضرة شيخهم ... وعلى العبادة والعفاف ربّوا
وهم أولو وجد بطاعة ربهم ... ما منهم إلا تقيّ زاهد
قد حل فيهم منه إكسير الصفا ... فصفوا وصافوا إذ عليه عاهدوا
فعليهم مني جزيل تحية ... ما خرّ للمرحوم عبد ساجد

Marfat.com

والسالكين طريقه أهل الهدى طول المدى ما إن تنبه راقد
إن قيل من قطب الورى أرخ بقي قطب الورى يا سائلي هو خالد

ومنها ما مدحه بها الأديب الفاضل الشيخ موسى السباعي قبل وفاته قدس سره وذلك سنة ١٢٤٢.

إن روض الشام أضحى بالبها مشكاة نور
مذ حوى خير إمام قد سما أهل الحضور
حضرة الفرد المفدى حبه ملء الصدور
خالد المرشد حقاً نجم أبناء الدهور
نقشبندي ذو المزايا الـ أكبريه في الأمور
قام بالحق جهارا في بطون وظهور
يهدي لله بصدق إذ غدا بحر البحور
لفناء وبقاء وشهود بسرور
ورده سرّ مصون عن جهول ذي غرور
ذو صفاء ووفاء مرضي الرب الغفور
نعم وردا وطريقا فيه إمداد القدير
قد رويناه حقيقاً عن أساتيذ بدور
حبر طرق القوم حقاً قد تحاشى عن كدور
موصل أرباب صدق بحمى المولى الكبير
كامل البحر ملاذي عند غيبي بحضور
مذ أتى الشام علاها نور فتح مستنير
وغدا يروى علوماً من لدن رب خبير
كف يا منكر جهلاً ضقت ذرعاً بالأمور
فهو وارث علم طه بهجة الفيض الوفير
ملجأ القاصد حقاً والضعيف المستجير
عمّ نفعاً بهداه لمريد وفقير
يا رعاه من إمام في قضاياه جسور
قد أدام النفع فيه بصفاء وحبور
ما سرت نسمة صبح حملت عرف عبير

وكان قدس سره يبعث خواص مريديه إلى عامة الأقطار ينشرون أزهار أنوار

Marfat.com

الطريقة العلية النقشبندية على الصغار والكبار ومن بعض وصاياه التي كان يبعث بها لبعض خواص خلفائه في بعض البلاد.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى من العبد الساعي في هلاك نفسه المتلهي بشغل يومه عن جزاء غده وذنوب أمسه خالد إلى مخاديمه السيد عبد الغفور والملا محمد الجديد وموسى الجبوري السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيد بشدّة التمسك بالسنة السنية والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع الردية وعدم الاغترار بشطحات الصوفية وترك تصحب العوام المسمين أوباشاً بالترجي لهم عند وزير أو أمير أو باشا لأنه ينجر إلى اتهامكم بالشين وإذا تعارضت المفسدتان فارتكاب أهونهما لازم والسعيد من اتعظ بغيره فلا يوهمنكم أن قضاء حاجة الإخوان من أعظم العبادات لأنه مخصوص بما إذا لم يتولد منه ما هو أكبر منه ولا تداخلوا مع الملوك والأمراء والأغواث وأعوانهم فإنكم لستم ممن له قوّة إصلاح هؤلاء ولا تغتابوهم ولا تسبوهم بطراً أو غروراً بزعم أنهم ظلمة وأنتم صلحاء فإنه عجب وجهل إذ ما منا أحد ليس بظالم بل عليكم بالدعاء لولي الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح فقد روى الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بإسناده [illegible] قال لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح اهـ.

ولا تدخلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحداً منهم ومن أعوانهم ولا من [illegible] المتفكهين بالدنيا المنهمكين في الشهوات ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الخلق وجمع الحطام ولا من البطالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة ليحملوا أثقالهم إلى رقاب الناس باسم الصلاح والإرادة ولا من [illegible] تيسر لهم رتبة من مناصب الدنيا وثبوا إليها وثبة النمر وقد كانوا يغضبون إذ [illegible] أحد من الخلفاء فضلاً عن غيرهم من المريدين ولا من الذين يريدون [illegible] لما رأوا أن بعض الناس صارت لهم الشهرة وجمع الفلوس بسبب [illegible] أحبكم إليّ أقلكم اتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا وأخفكم مؤنة وأشدكم [illegible]

وقد ورد في بعض الأحاديث ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع وحب الشهرة والجاه وأخذ الدنيا بأيدي وجميع هذه النيات فسادها غني عن البيان ولا يخدعكم الشيطان بأن فائدة [illegible] وقدرة إلقاء الجذبات إيصال النفع إلى الخلق وبأنكم إذا ما كثرت أشغالكم [illegible]

لكم الختوم القرآنية كل يوم لأني تركت لكم الطلاّب الصادقين الذين لا يتّصفون بشيء من الذمائم المارة وهم وإن كانوا نادرين لكن واحداً منهم أحسن من ألوف من البطالين وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريداً مع أنه يمكن بالمخلصين من الجيران وإن لم يتيسر فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وليترك تردد النساء إلى بيت عبيد الله أفندي للتوجه فإنه لخروجه عن الطريقة ودخوله فيما دخل بطوعه صار له هبوط عظيم وسادة هذه الطريقة لا يتلاعب بهم وأمر عبيد الله بسبب وقوع اسم الخلافة عليه وزعم كونه أقدم من غالب الخلفاء لا يشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا ولا الذي لم يدخل وهو من أهل الدنيا من المحبين كأخيه المرحوم طاب ثراه أئمة هذه الطريقة طرد والمريدين بأدنى انصراف بعد الإرادة فضلاً عن الخلافة فراجعوا الرشحات عند رد إمام الطريقة بهاء الدين النقشبند وعبيد لله أحرار لبعض من استأذن للحج أو قبل التدريس في بعض المدارس من المريدين فإن خالفتم فلستم على عهدي وأنتم تعلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُعَرَاء: الآية ٢٢٧] أضعف العباد خالد النقشبندي المجددي، ومن بعض وصاياه قدس سره أيضاً لبعض مريديه.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فأوصيك بتقوى الله تعالى وطاعته وترك إيذاء الناس ولا سيما في الحرمين الشريفين ولا تغتب أحداً وإن اغتابوك ولا تأخذ من أحد لنفسك شيئاً من حطام الدنيا إلا أن يحكم بأخذه الشرع فخذه واصرفه في سبيل البر ولا تتفكه بصرفه في الشهوات وإخوانك المؤمنون جاعة عالة ولا تحتقر أحداً ولا تعتقد نفسك فوق أحد وابذل جهدك في العبادات القلبية والبدنية واحسب إنك ما عملت خيراً إذ النية روح العبادات ولا نية بلا إخلاص ولا إخلاص لأكبر منك فضلاً عنك وإنا والله لا أعتقد إني عملت خيراً منذ ولدتني أمي وأنت تعتقدني خيراً منك فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل فإذا وجدتك مفلساً فلا تقنط لأن فضل الباري تعالى خير للعبد من أن يكون له عمل الثقلين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما أي يكسبون ولا تجعل فضله تعالى سبباً لترك العبادات كمن لعب بعقولهم الشيطان وداوم على ذكر القلب ولا تفتر عنه ولو في المشي وتمسك بحول الله تعالى وقوّته في كل أمر واستمدّ من روحانية السادات الكبار قدس الله تعالى أسرارهم وأكرم حملة العلم وحفظة القرآن واشتغل بالقراءة بحسب التيسير واشتغل بعلم الفقه أكثر من غيره ولا يصرفنك الحضور القلبي عن ذلك فإنه علامة ضيق المشرب

Marfat.com

وقصر الباع ولا تدخل في أمور أهل الحكم ولو طلبوا منك ذلك وادع بالصلاح والإصلاح لإمام المسلمين ووزرائه وأمرائه، واطلب من الله تعالى أن ينصر الإسلام على الكفرة والمبتدعة وعليك بترك الوجود بذل المجهود والقناعة بالموجود والتمسك بسنة صاحب المقام المحمود صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أبد الآبدين والحمد لله رب العالمين وعليك بالمداومة على صلوات النافلة من التهجد والإشراق والأوّابين والضحى ودوام الوضوء وقول سبحانه الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ثلاث مرات ولما قرب ارتحاله قدس سره من دار الفناء إلى دار البقاء وآن أوان إجابة روحه الزكية لأمر ربها راضية مرضية كان الله تعالى كشف له عن ذلك فأمر بحفر القبر المبارك وعين مكانه في الصالحية خارج دمشق الشام في تل تحت جبل قاسيون مقابل مقام الأربعين فاستقاموا في حفره ثلاثة أيام فبعد أن تم الحفر بيوم أو يومين ابتدأه المرض يوم الثلاثاء حادي عشر شهر ذي القعدة سنة ألف ومائتين واثنتين وأربعين وتوفي ليلة الجمعة رابع عشرة بالطاعون.

فجمع الله له بين شهادات متعددة الطاعون والجمعة والغربة وطلب العلم لأنه قدس سره كان دائماً ناشراً للعلوم الدينية الشرعية ناصراً للملة الحنيفية قامعاً للبدعة الردية، وأقام قبل وفاته وصياً على أولاده وعلى طريقته قائماً مقامه وناتباً منابه سيدنا ومولانا الشيخ إسماعيل بن عبد الله الكردي قدس سره وقال قدس سره أحب أن لا يخرج خلفائي من رأى إسماعيل.

وقال قدس سره أنا ما مت حيث تركت لكم الشيخ إسماعيل وقال أن أضمن لكم من يلازم خدمته وامتثال أمره يعني الشيخ إسماعيل أن ينال ما لا يحيط به عقل العقلاء ويقصر عنه علم العلماء فجزاه الله عنا وعن سائر الأمة المحمدية خير الجزاء [illegible] حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام وفقنا للطاعة ومن [illegible] بالاستقامة وانفعنا به وبعلومه الباطنة والظاهرة وأمدّنا بإمداده في الدنيا والآخرة [illegible] بركات أنفاسه الطاهرة واحشرنا مع سائر الإخوان في زمرته وثبتنا على [illegible] واجعلنا من أخص أحبّته باتباع هديه وسيرته ورثاه بعض [illegible] وهي:

ما للجبال الراسيات تميل ... ما للبلاد يسري سهمل أفل
ما للظلام يجرّ ذيل ردائه ... فوق الضياء فلم يضاه مقيل
ومخدرات الحي تنثر لؤلؤاً ... من دمعها فوق الخدود يسيل
والورق أكثرت النواح مخففاً ... كف البطانح دمعها المهمول

Marfat.com

والدهر ألبس أهله حلل الغنا وعلا رياض الشام منه ذبول
والحزن قام على منابر حينا أبداً خطيباً لا يكاد يزول
والأرض ترجف والنوائب أدهمت والبين يهجم والخطوب تجول
هذا مصاب ليس يحدث مثله تالله كم دهشت لديه عقول
ماذا بدا في الكون يا أهل النهي هل مخبر عني الشكوك يزيل
هل كان يوم الصعقة الأولى وهل دهم الورى بالصور إسرافيل
أم زلزلت تلك القيامة وانطوت حجب الحياة وعاجل التهويل
أفصح لنا عما بدا يا ذا الحجا فغدا لسان الحال منه يقول
قف وانتبه ما قد بدا فيما استوت فيه الخلائق عالم وجهول
قد مات كهف العلم سلطان التقى حبر له المعقول والمنقول
سند السيادة والرياسة للورى قاص ودان فضله مأمول
صدر المجالس إن بدا فكأنه الـ نعمان يروى عن عطا ويقول
بحر أفاض على الورى مدراره فروى العطاش زلاله المعسول
وتفجرت منه ينابيع حلا منها لوزّاد الهدى التعليل
بكت العيون على فراقك سيدي وبكاؤها لك بالدماء قليل
وافى ضياء الدين بدر زمانه قطب الوجود وللعلى إكليل
عند المليك الحي قد أضحى له في مقعد الصدق الأجلّ مقيل
هيهات إن جاد الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل
يا خالداً في حضرة القدس التي كم طاح دون فنائها مقتول
أدناك ربك منزلاً ترقّى به فلك الشهود وكم بذاك نزول
وأباح روحك حضرة قدسية عند المهيمن ما لها تبديل
وأناخ سحب الفضل تهطل دائماً بفناء رمسك لا تكاد تزول
ما قال إسماعيل يرثي سيداً ما للجبال الراسيات تميل

وما ذكرناه من مناقب حضرة شيخنا الإمام قدس سره قطرة من بحر وشذرة من قلادة نحر ولولا خوف الملالة والسآمة لجمعنا من شمائله المباركة وأخلاقه الكريمة مجلداً ضخماً بعون الله تعالى، ولكن في هذا القدر كفاية للمعتبر المتبصّر وقد ألّف في مدحه رسالة حافلة العالم العامل والفاضل الكامل الشيخ حسين الدوسري خليفة شيخنا قدس سره في بلاد الحسا وهي رسالة غريبة عجيبة لم نر مثلها وكان تأليفها في حياة حضرة شيخنا قدس سره وكانت عنده بمنزلة وسماها الأساور العسجدية في المآثر

Marfat.com

الخالدية وعلى كل حال كان جناب حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا قدس سره نخبة الزمان وفريد العصر والأوان ملجأ للقاصدين ومحطاً لرحال الوافدين عوناً للفقراء وحصناً للمساكين أمدنا الله تعالى بإمداداته الطاهرة ونفعنا بأنوار علومه الباطنة والظاهرة في الدنيا والآخرة.

اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترديها الفتى وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقي بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء، اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن قصر رأيي وافتقرت إلى رحمتك وأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير من في البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور.

اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فأنا أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين.

اللهم اجعلناها دين مهديين غير ضالين ولا مضلين حرباً لأعدائك وسلماً لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك.

اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك إلا من يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود إنك رحيم ودود أنت تفعل ما تريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي الجود والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه.

اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في سمعي ونوراً في بصري ونوراً في معرفتي ونوراً في بشري ونوراً في لحمي ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً من خلفي ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي.

اللهم زدني نوراً وأعطني نوراً واجعل لي نوراً.

اللهم أيد الإسلام والمسلمين وانصر وأعلِ كلمة الحق والدين ببقاء دولة عبدك وابن عبدك الخاضع لعزك وجلالك وسلطان مجدك السلطان المعظم والخاقان المفخم

المحفوف بعناية الملك المعبود مولانا السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان نصره الله اللهم انصره وانصر عساكره وكن اللهم مؤيده وحافظه وناصره يا مالك الدنيا والآخرة وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(قال المؤلف) قدس الله سره قد فرغت من تبييضها يوم الثلاثاء بعد العصر في سبع وعشرين خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف.

Marfat.com

فهرس المحتويات

ترجمة المصنف ٣
ترجمة المؤلف ٥
خطبة الكتاب ٧
المقدمة في بيان معتقد أهل هذه الطريقة العلية وما تبنى عليه ٩
كتاب الآداب ٢٥
باب في بيان آداب المريد مع الشيخ ٣٨
باب في بيان آداب المريد مع إخوانه ٤٣
باب في بيان المشيخة وآدابها ٤٧
كتاب الأذكار ٥٨
فصل فيما ورد من الآيات الكريمات في تخصيص القلب بالإيمان والإنابة والخشية والذكر والتقوى والسلامة ٥٩
فصل في كيفية أخذ الشيخ العهد على المريد ٦٠
فصل فيما إذا أراد الشيخ الشروع في أخذ العهد على أحد ٦٢
فصل في بيان طرق الوصول إلى الله تعالى والغناء به عند السادة النقشبندية وهي أربعة طرق ٦٣
الطريقة الأولى وهي الأقوى والأعلى صحبة الشيخ الحقيقي الكامل ٦٤
الطريقة الثانية الرابطة ٦٤
تنبيه في بيان من يصلح أن يكون رابطة ومن لا يصلح ٦٠
تكميل في إثبات الرابطة بالأدلة والنصوص ١٠
الطريقة الثالثة الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار: الذكر الأول [illegible] ١٣
تتميم في أن المراد من الذكر حضور القلب مع المذكور ١٥
فائدة في بيان مأخذ اللطائف ١١
الذكر الثاني بالنفي والإثبات ١٧
تنبيه في بيان شروط النفي والإثبات ١٨

Marfat.com

الطريقة الرابعة التوجه والمراقبة ٧٩
فصل في بيان مصطلاحات القوم بالفارسية وترجمتها بالعربية ٨٠
فصل في بيان ما إذا وقع للمريد في أثناء الذكر تفرقة أو وسوسة أو قبض ٨٦
فصل فيما يظهر على المريد من الأحوال العجيبة والخوارق الغريبة إذا اشتغل بالذكر بالإخلاص ٨٩
تكميل في بيان صيغ الصلوات والوظائف التي أمر بها حضرة مولانا وعمل الختم الخواجكان الشريف ٩٠
فصل في الفناء والبقاء ٩٢
فصل في طريق التصرف في باطن المريد ٩٣
فصل في الآداب الظاهرة مع الحق سبحانه وتعالى ٩٤
خاتمة وفيها ثلاثة فصول ٩٧
الفصل الأول في بعض مناقب حضرة مولانا بهاء الدين محمد شاه نقشبند قدس سره ٩٧
الفصل الثاني في بعض مناقب سيدنا الإمام الربّاني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي الحنفي السرهندي قدس سره ١١٣
الفصل الثالث في ذكر نبذة من مناقب حضرة مولانا أبي البهاء ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي العثماني قدس سره ١٢١
فهرس المحتويات ١٤٣



Marfat.com